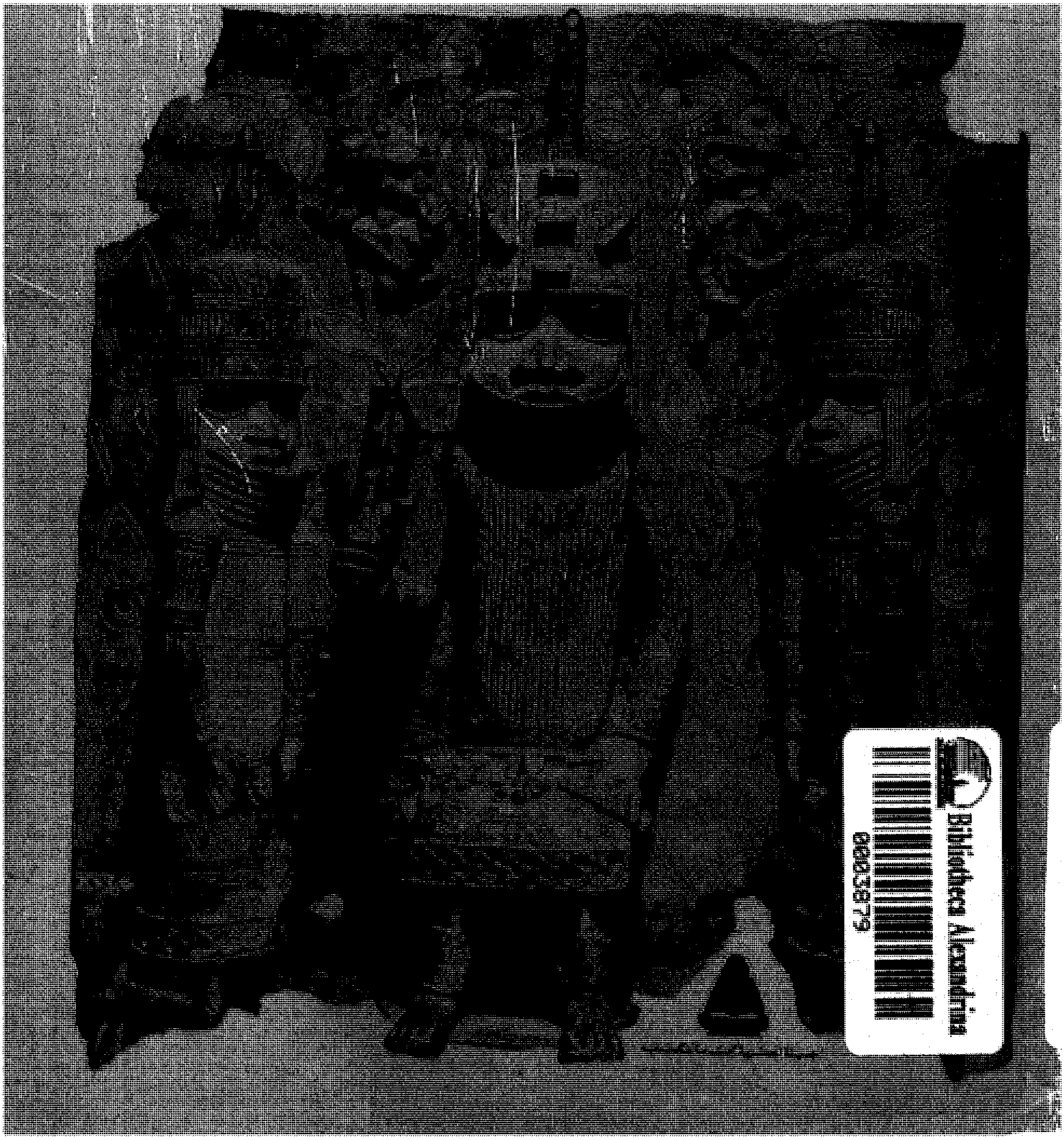
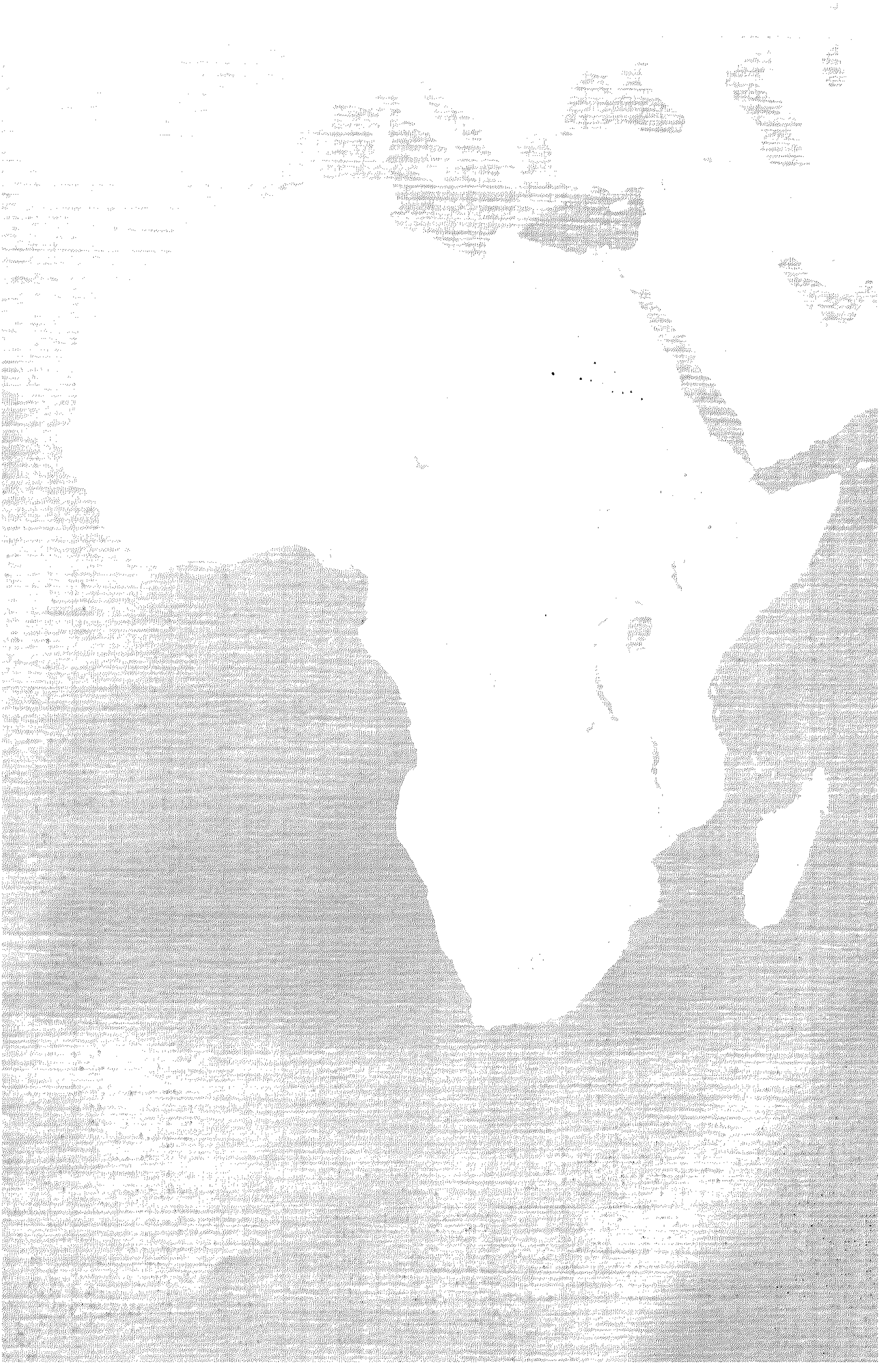
أطلس التاريخ الافريقي

تأليف: كولين ماكيڤيدى   ترجمة: مختار السويفي





أطلس التاريخ الافريقي

الغلاف والاخراج الفنى
سـعـد عبدالوهـاب

أطلس التاريخ الافريقي

تأليف: كولين ماكيڤيدى

ترجمة: مختار السويفى

مراجعة: محمد العزب موسى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

هذه ترجمة لكتاب :

THE PENGUIN
ATLAS OF
AFRICAN HISTORY.
BY: COLIN MCEVEDY.

---

* الصور الداخلية منقولة من كتاب :

THE ART OF BENIN
BY : PAULA BEN - AMOS

● مقدمة المترجم :

عرفت نهر النيل لأول مرة فى الأربعينات . وكنت آنئذ تلميذاً بالسنة الثانية بمدرسة خليل أغا الابتدائية الأميرية . وكنت أفضل حصص الجغرافيا عن بقية حصص العلوم الأخرى . وأذكر جيداً كيف جاهد أستاذ الجغرافيا لإفهامنا أن النيل « نهر » وليس بحراً كما نقول . . فقد كان الشائع أيامئذ تسميته ببحر النيل . . بل وكان يسمى فى أغلب الأحيان « البحر » فقط دون إقرانه بكلمة النيل .

وعندما كان يفيض هذا النهر العظيم كل عام . . كان الأطفال من الصبيان والبنات ، فى كل القرى والمدن المصرية ، وفى جميع الأزقة والحارات والشوارع ، يغنون أغنية شعبية ذات لحن عذب وكلمات بسيطة ، وإن كان بعضها غير مفهوم : « البحر زاد . . عوفى الليه . . فاض ع البلاد . . عوفى الليه » . . !

أما الآباء والأمهات فقد كانوا يمسكون أنفاسهم وقت الفيضان ، فهو الوقت الذى يزمت فيه الجو ويمتلىء بالرطوبة ، وينتشر فيه بين الأطفال مرض جلدى عارض اسمه « حمو النيل » . . !

وفى يوم ما ، قال لنا أستاذ الجغرافيا : إن نهر النيل ينبع من قلب أفريقيا . . وكانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة أفريقيا ، التى كانوا يصفونها دائما ، سواء فى الكتب أو فى الدروس الملقاة على تلاميذ المدارس بأنها : القارة السوداء . . القارة المظلمة . . القارة المجهولة . . أرض الغابات حيث تصبح الدنيا كلها أشجاراً فى أشجار . . وحيث

الأسود والنمور والوحوش الضارية تتجول فى كل مكان ، والثعابين والحيات الضخمة التى يصل طولها إلى تسعة أمتار . . وملايين القرود تتسلق كـل شىء . . أما النـاس الأفريقيون ، فكلهم سود مثل سواد الفحم ، وأغلبهم يأكلون لحوم البشر ، وبعضهم أقزام لا يزيد طول الفرد منهم عن متر واحد . . !

هذا بالضبط ما كان يريد الاستعمار الخبيث أن يبثه فى عقول الناس فى جميع قارات العالم الأخرى ، بل وبما فى ذلك قارة أفريقيا نفسها ، خصوصاً بالنسبة لسكان المناطق العربية شمال الصحراء الكبرى .

وهكذا تخفى الفكر الاستعمارى وراء أفلام طرزان ، يدعم بها أكاذيبه التى كان يطلقها عن أفريقيا والأفـريقيين . . حيث تـظهر القبـائل الأفـريقية فى صـورة الهمج المتوحشين ، وحيث يظهر الفرد الأفريقى فى شكل قبيح بشع مخيف ، يدل على أنه بدائى جاهل مخرف وغير متحضر ، عدوانى الطبع ، يتلذذ بتعذيب الرجل الأبيض قبل أن يقتله بأبشع أنواع القتل والإعدام ، تمهيداً لالتهامه وأكله بالهناء والشفاء . . !

ومامن قارة من قارات العالم حاقت بها وبتاريخها الأكاذيب مثل أفريقيا . وللأسف الشديد فإن معلومات الناس فى مختلف أنحاء العالم عن قارة أفريقيا ، كانت عن طريق تلك الأكاذيب التى حاكتها الدول الاستعمارية الأوربيـة ، التى تكالبت كـالوحـوش الضارية على جسم القارة وأجسام أهلها . . تتنازع فيما بينها لتنهش أكبر نصيب مستطاع من تلك القارة ، التى تمزقت أوصالها بالفعل بين أنياب الدول البيضاء التى كانت تدعى دائما أنها جاءت إلى القارة لتحضر هؤلاء الهمج البدائيين ، وتخرجهم من الظلمات إلى النور . . وهذا فى حد ذاته كذب وافتراء . فقد كان دخول المستعمر الأبيض إلى أرض القارة ، يعتبر أكبر كارثة ومصيبة حقيقية لحقت بالقارة وأهلها .

استعبد الاستعمار الأرض ومن عليها من شعوب وقبائل وجماعات . وانقلبت حياة الأفريقيين جميعاً رأساً على عقب ، فتألبوا بعضهم على بعض ، وجعلوا الحياة الآمنة الوادعة التى كانت تعيشها الشعوب الأفريقية أمراً بعيد المنال ، بل وحولوها إلى جحيم يقوم على الدماء وقنص العبيد ، تماماً مثل قنص واصطياد الحيوان . وهكذا أصبحت بعض الشعوب الأفريقية تمارس تجارة العبيد بما فيها من عمليات القنص والاصطياد ، وتقوم بنفسها بتوريد هؤلاء العبيد ــ وهم إخوانهم من الأفـريقيين ــ إلى النخـاسين لتسويقهم فى مناطق العالم الجديد .

وإلى جـانب استنزاف البشـر على مثـل هذا النحـو المشين ، استنـزفت الـدول الاستعمارية الأوربية كل ثروات القارة بمختلف أنـواعها وعـلى أى شكل تكـون . . وهكذا سرقت من أفريقيا مئات الملايين من أطنان الحديد والنحاس والصفيح والمنجنيز

والفوسفات والذهب والماس واليورانيوم والأخشاب والجلود والعاج والبن والكاكاو والشاى ، وغير ذلك من الممتلكات الأفريقية التى لا يمكن تقديرها إلا بملايين الملايين من الدولارات .

ورغم هذا الثراء الفاحش الذى كانت تتحصل عليه الدول الاستعمارية الأوربية ، فقد حرص الاستعمار بصفة عامة على استمرار الجهل والفقر سائدين فى أساليب الحياة اليومية لمعظم الأفريقيين ، لضمان بقاء عيونهم مغمضة عن عمليات السلب والنهب المنظمة التى تقوم بها الدول الاستعمارية ضد ممتلكات الأفريقيين .

وكل هذه الحقائق المؤكدة عن دور الاستعمار الأوربى لأفريقيا ، تكشفت تباعاً منذ بداية منتصف هذا القرن ، حين بدأت الصحوة الوطنية تمس شغاف قلوب الشعوب المغلوبة على أمرها فى كل من قارتى آسيا وأفريقيا ، وحيث بدأ الكفاح الوطنى فى كل من الهند ومصر ـ فى أعقاب الحرب العالمية ـ يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن أيام الاستعمار أصبحت معدودة ، وأن الأوان قد آن لوضع حد لسيطرة المستعمرين على رقاب الشعوب ، ولأن تطوى تلك الصفحة البشعة من تاريخ الإنسانية ، ليبدأ عصر جديد تتولى فيه الشعوب أمر نفسها ، وأن يؤول الحق إلى مستحقيه وأصحابه .

وبعد حصول مصر على استقلالها عن الاستعمار البريطانى الذى جثم على صدرها واستنزف خيراتها لأكثر من سبعين عاماً ، حاول الاستعمار التقليدى القديم ـ وهو يلفظ آخر أنفاسه ـ أن يستعيد ذكريات الماضى الأسود حين كان يستعمل الأساطيل الحربية كمقدمة للأساطيل التجارية التى ستستخدم لشحن ما يتم نهبه وسلبه من خيرات البلاد . ولذلك فقد تعرضت مصر لهجمة شرسة ، سميت بالعدوان الثلاثى ، بسبب اشتراك إسرائيل مع كل من القوى الاستعمارية فى فرنسا وانجلترا .

ومن الغريب أن جميع الدول والشعوب فى معظم أنحاء العالم ، قد وقفت إلى جانب مصر التى واجهت هذا العدوان بشجاعة لا حد لها ، واستماتت فى مكافحته حتى انتصرت عليه ، وخرجت جيوش الاستعمار القديم تجر أذيال الخيبة والفشل الذريع . . وتأكد لكل المستعمرين التقليديين أن عصرهم الذهبى قد ولى إلى غير رجعة .

ومازال جيلنا يذكر الدور الرئيسى والهام الذى قامت به مصر منذ منتصف الخمسينات وكل فترة الستينات ، حيث بدأت مصر بتوجيه الإذاعات باللغة السواحيلى المنتشرة بين شعوب شرق أفريقيا ، وبأشهر اللغات واللهجات المحلية السائدة بين شعوب مناطق غرب أفريقيا .

وقادت مصر آنئذ حملة إعلامية وسياسية واسعة النطاق ، لتبصير الأفريقيين فى

مختلف مناطق القارة بالدور الإجرامى الذى قام به الاستعمار فى امتصاص دم القارة ، وتشجيع الأفريقيين فى كل مكان لإعلان الكفاح ضد الاستعمار والمستعمرين ، وأن معارك الشعوب الصادقة ضد المستعمرين ستؤدى بالضرورة إلى إزاحتهم وطردهم وتخليص البلاد منهم ومن أطماعهم ، وإنهاء التبعية والنفوذ الاستعمارى من كل أفريقيا ، وعودة القارة إلى أهلها حرة مستقلة .

ويقول بعض المؤرخين الأوربيين المحدثين ، أن مصر قد استنفدت الكثير من مواردها الاقتصادية التى كانت تحتاجها للتنمية الداخلية بسبب تأييدها للأفريقيين ومساعدتهم بكل طريقة لإنهاء الاستعمار التقليدى فى معظم مناطق القارة .

وفى تلك الآونة بدأنا نعرف الكثير من الأوضاع السياسية عن أفريقيا والأفريقيين ، وعن تلك الدول الأفريقية التى أخذت تحصل على استقلالها وتتحرر من الاستعمار واحدة بعد أخرى ، وعن تلك الشعوب الأفريقية التى مازالت تكافح الاستعمار فى مواطنها وتحاول القضاء عليه ، وعن هؤلاء السود الذين أصبحوا يستميتون ويستشهدون فى سبيل مقاومة سيطرة البيض على موارد بلادهم :

وبجانب هذا الفيض الهائل من النشاط الإعلامى للتعريف بأفريقيا الحديثة ، كان هناك نشاط قليل ــ ولكنه ملحوظ على نحو ما ــ فى التعريف بتاريخ القارة وتاريخ شعوبها وقبائلها ، خصوصاً بالنسبة للمناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . غير أن هذا لم يكن من المدهش أو الغريب . فأفريقيا ــ لسوء حظها ــ كانت أقل قارات العالم من ناحية اهتمام المؤرخين القدماء والمحدثين على حد سواء . بل ولم يصبح التاريخ الأفريقى محل دراسة علمية على أسس صحيحة إلا فى بداية الخمسينات ، حين ظهرت الأقسام الجديدة فى مختلف الكليات والمعاهد والجامعات الأوربية والأمريكية [ثم المصرية فيما بعد] لدراسة تاريخ القارة طبقا للمناهج العلمية السليمة ، ولإبراز تاريخ الشعوب والقبائل الأفريقية وفقا لمعلومات ودلائل جادة بعيدة عن منهج التهريج الذى انتهجه الاستعمار فيما مضى .

ولسنا نعنى بهذا أن هذه الدراسات التاريخية الحديثة عن أفريقيا والأفريقيين ، تعتبر جديدة تماماً أو غير مسبوقة ، أو أنها تنشأ الآن إنشاءً . ذلك لأننا لا نستطيع أن نغفل ما ذكره المؤرخون القدماء عن تاريخ أو جغرافية القارة . وعلى سبيل المثال نشير إلى ما ذكره « هيرودوت » من أخبار تلك الرحلة التى أمر بإعدادها أحد فراعنة مصر ــ الملك نخاو ــ فى سنة ٥٩٥ ق.م لتقوم بالدوران حول أفريقيا . . وإلى ما ذكره « بوليبيوس » من أخبار الرحلة البحرية التى قام بها القرطاچيون سنة ٤٧ ق.م لزيارة سواحل غرب أفريقيا حتى وصلوا إلى ما بعد السنغال . . وإلى ما ذكره « بلّينى » عن أعمال الرومان داخل حدود امبراطوريتهم فى مناطق شمال أفريقيا . . وإلى تلك التحفة

التاريخية النادرة التى تركها العالم المصرى القديم « بطلميوس الجغرافى » الذى رسم ـ فى القرن الثانى الميلادى ـ أول خريطة عرفها العالم عن تصور شكل أفريقيا ومنابع نيلها .

ونذكر كذلك ما دونه الأفريقيون ـ فى شمال القارة وجنوبها ـ فى خلال العصور الوسطى من تاريخ القارة وتاريخ أهلها . وإن كانت ثمة اختلافات بين منهج التدوين فى كل من الشمال والجنوب . فبالنسبة للشمال كان المؤرخون والرحالة العرب الأفريقيون أمثال ابن بطوطة وابن خلدون ، يملكون وسائل التدوين بالقلم والقرطاس . أما فى أواسط القارة وجنوبها ، فقد دون الأفريقيون تاريخ آبائهم وأجدادهم فى ذاكرة الشعوب على شكل حكايات مروية تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك المنهج ، التاريخ التفصيلى المرتب زمنياً [كرونيكال Chronicle] لمنطقة بوجندا ، والذى يغطى مساحة زمنية تستغرق نحو أربعمائة سنة من تاريخ تلك البلاد . وقد تميزت البحوث التاريخية التى قام بها العلماء العرب والأوربيون الذين تناولوا عرض تاريخ القارة وأهلها ، بأنها تعتمد تماماً على وصف المشاهدة والمعاينة ، مع تدوين ما يستمعون إليه من الرواة الأفريقيين المحليين المتخصصين فى حفظ تاريخ وبطولات الآباء والأجداد وما تعرضت إليه بلادهم من ملمات وأحداث .

كما نذكر أيضا ما دونه المؤرخون ذوو الطابع الخاص من الأوربيين والأفريقيين الذين ظهروا فى أواخر القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين . ونقول أن هؤلاء المؤرخين كانوا ذوى طابع خاص لأن أغلبيتهم كانت من الرواد والمستكشفين والمبشرين الأوربيين الذين أخذوا يذرعون أنحاء القارة طولاً وعرضاً ، ومن بعض المؤرخين المغرضين الذين أرخوا الأعمال التى قام بها عتاة المستعمرين وقواد الحروب الاستعمارية ممن كانوا يسمونهم « بناة الامبراطوريات » . فقد ظهرت على سبيل المثال بحوث عن سياسة سيسل رودس الذى كان يدعى أن أفريقيا بريطانية من القاهرة إلى الكيب ، وبحوث عن سياسة ليوبولد ملك بلجيكا الذى كان يدعى أنه يملك أفريقيا الاستوائية من الأطلنطى إلى الهندى .

وفى مثل هذا المجال أيضا ظهرت بحوث تاريخية دونها بعض المقيمين الأوربيين من موظفى الإدارات والمصالح التابعة للدول الأوربية المستعمرة ، حيث قام بعضهم بكتابة تاريخ المناطق التى أوفدوا للإقامة فيها . ونذكر منهم ، كلاريدج البريطانى الذى كتب فى سنة ١٩١٥ مختصراً لتاريخ منطقة ساحل الذهب . . ودلجادو البرتغالى الذى كتب عن تاريخ أنجولا . . وچيرى الذى كتب بحثاً عن نيچيريا تحت الحكم البريطانى ، وروبرت الذى كتب عن تاريخ الاستعمار الفرنسى فى أفريقيا ، ومارتى الذى كتب عن تاريخ مناطق غرب أفريقيا ، وديلافوس الذى كتب عن تاريخ السنغال والنيجر ، وسير چون جراى الذى كتب فى سنة ١٩٣٤ بحثاً مستفيضا عن تاريخ كل من أوغندا

وتنجانيقا وزنجبار وأفريقيا الشرقية البرتغالية وزامبيا . وقد اعتمد سير جون جراى فى مدوناته على ما سمعه من شيوخ القبائل الأفريقية ومن المتخصصين الأفريقيين فى رواية التاريخ الذى توارثوه جيلا بعد جيل .

ومن المدهش حقا أن نشير إلى بعض المؤرخين الأفريقيين المحليين الذين تعلموا على أيدى البعثات التبشيرية وأصبحوا قسساً يبشرون بالمسيحية بين القبائل الأفريقية بجنوب الصحراء . وقاموا بعملية التأريخ إلى جانب عملية التبشير . ونذكر منهم : أبولو كاجوا الذى ألف فى نهاية القرن التاسع عشر خمسة كتب نشرتها له البعثات التبشيرية ، وهى كتب تاريخية تنحو نحواً اجتماعياً ، وتتناول تسجيلات تفصيلية عن العادات والتقاليد وأنواع الفنون الشعبية السائدة بين بعض شعوب وسط القارة ، وعلى الأخص بين شعب أوغندا . وأهم كتاب من هذه الكتب الخمسة كتاب يسمى « ماكولا » [أى الكنز] وقد استغرق تأليفه نحو عشرين سنة ، ويبلغ عدد صفحاته نحو ألفين وأربعمائة صفحة ! . .

ومن هؤلاء القساوسة الأفريقيين الذين كتبوا فى التاريخ الأفريقى ، نذكر أيضا كارل رياندورف الذى كتب فى سنة ١٨٩٥ تاريخ ساحل الذهب ، وصمويل جونسون الذى كتب فى سنة ١٩٢٠ تاريخ قبائل اليوروبا التى تعيش فى مناطق نيجيريا ، وقد نشرته أيضا إحدى البعثات التبشيرية . كما نشرت بعثة تبشيرية أخرى ما كتبه القس الأفريقى سوجا عن تاريخ قبائل البانتو فى جنوب شرق أفريقيا ، وعن تاريخ المعتقدات والعادات والتقاليد السائدة بين قبائل الاكسهوسا .

○ ○ ○

ولا ينكرنّ أحد فضل جميع المؤرخين القدماء والمحدثين فى الإبانة عن تاريخ أفريقيا والأفريقيين . ولكن الظاهرة الجديرة بالتسجيل هنا ، هى تلك الدراسات التاريخية العلمية الحديثة التى أخذت فى الانتشار سريعاً بين الأوساط العلمية والثقافية فى قارتى أوربا وأمريكا . فقد صدرت حديثا عشرات ، بل مئات ، من الكتب التى تتناول الشئون الأفريقية من سياسية واقتصادية وتاريخية وعقائدية وأدبية . . وكلها تحفل بمعلومات مبهرة لم تكن معروفة من قبل أو بالأحرى لم تكن منتشرة مثل هذا الانتشار الواسع الذى أصبحت عليه الآن .

وقد لاحظت أثناء زياراتى لعديد من الدول فى أوربا وأمريكا ، أن الأغلبية العظمى من تلك الكتب متاحة ــ هى نفسها ــ بعديد من اللغات الأوربية كالانجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والأسبانية وغير ذلك من اللغات الأوربية الأخرى . ومعنى هذا أن الكتاب يصدر بلغة مؤلفه الأصلية أولاً ، ثم يترجم على الفور إلى مختلف اللغات الأوربية الأخرى ، ليصبح فى متناول أوسع نطاق ممكن من القراء والمتطلعين إلى

الثقافة والمعرفة . ومعناه أيضا أن هناك رغبة عارمة واسعة الانتشار بين معظم شعوب العالم لمعرفة التاريخ الحقيقى غير المزيف لأفريقيا وأهلها ، بدليل هذا السيل المنهمر من الكتب الذى أخذ يتصدر رفوف المكتبات فى مختلف دول العالم .

ولعل هذا هو السبب الحقيقى وراء حرصى على متابعة ما أستطيع الوصول إليه من الكتب التى صدرت حديثاً عن تاريخ أفريقيا ، وحرصى فى الوقت نفسه وكلما أتيحت لى الظروف أن أقدم بعض هذه الكتب النفيسة إلى القارىء العربى بعد ترجمتها إلى اللغة العربية التى يتكلمها جزء عظيم من سكان القارة . وقد سبق لى أن ترجمت كتاب : VOODOO: AFRICA'S SECRET POWER من تأليف العالم النمساوى « جيرت شيزى » . وكتاب : BLACK AFRICAN EMPIRES من تأليف العالمة الانجليزية « چوان چوزيف » . كما أقوم حالياً بترجمة كتاب : THE ART OF BENIN من تأليف بولا بن آموس . بالإضافة إلى هذا الكتاب الذى أتشرف بتقديمه إلى القارىء العربى : THE BENGUIN ATLAS OF AFRICAN HISTORY من تأليف العالم المتخصص فى الأطالس التاريخية « كولين ماكيڤيدى » الذى أصدر حتى الآن ثلاثة أطالس أخرى غير أطلس التاريخ الأفريقى ، وهى : [أطلس التاريخ القديم ، وأطلس تاريخ العصور الوسطى ، وأطلس التاريخ الحديث] . كما ألف بالاشتراك مع آخرين : أطلس تاريخ السكان فى العالم ، وأطلس تاريخ العالم .

وهذا ما جعلنى على يقين من أن المعلومات التى يتناولها « أطلس التاريخ الأفريقى » كانت محل بحث وتمحيص معتنى به من جانب عالم متمرس فى كتابة التاريخ بذلك المنهج الحديث ، معتمداً على الخرائط البيانية التى توضح أماكن وأزمان كل الأحداث التاريخية لقارة أفريقيا ، منذ أن كانت كتلة مندمجة فى « بانجايا » وهى القارة العظمى التى طفت كالقشرة على سطح الكرة الأرضية منذ ١٧٥ مليون سنة ، والتى كانت تضم جميع قارات العالم فى كتلة متماسكة واحدة تفتتت تباعاً . . ثم تتبع هذا التاريخ حتى ظهور الإنسان وتطوره على مدى الزمن ، حتى سنة ٢٠٠٠ ونهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

ولعل القارىء سيلاحظ معى مدى الدقة المتناهية والتركيز الشديد الواضحين تماماً فى صياغة المؤلف للمعلومات الواردة بهذا الكتاب ، وهو أمر جعل ترجمته من الصعوبة بمكان ، كما جعلنى أضطر إلى ذكر بعض الهوامش البسيطة لتوضيح بعض الأمكنة والشخصيات والأحداث . كما دفعنى أيضا إلى بذل مزيد من الجهد فى التدقيق عند اختيار الكلمات والمرادفات العربية لأسماء الأماكن وأسماء القبائل والدول والممالك التى ورد ذكرها فى هذا البحث التاريخى المركز . كما بذلت جهداً لا يستهان به فى ترجمة البيانات التى تضمنتها الخرائط التوضيحية التى يقوم عليها هذا الأطلس . وقد عاوننى فى هذا كله بجهد لا يمكن نكرانه الصديق الأستاذ محمد العزب موسى الذى قام أيضا

بمراجعة الكتاب بعد ترجمته ومطابقته على النص الأصلى .

هذا وقد حرصت على إعداد فهرس تصنيفى علمى فى آخر الكتاب ، يتضمن حصراً دقيقا وشاملاً لجميع أسماء الأماكن والقبائل والأشخاص والأحداث التى ورد ذكرها فى صفحات هذا الأطلس ، مرتبة ترتيبا أبجديا ، حتى يسهل للقارىء الوصول إلى المعلومات التى يطلبها بطريقة مباشرة .

والكتاب أساساً يقوم على منهج الكرونيكال حيث يورد المعلومات التاريخية حسب تسلسلها الزمنى ، وهى طريقة تسهل للقارىء معرفة التاريخ فى شكل حكاية تتتابع أحداثها كما يتتابع ظهور شخصياتها ، على مدى تلك الملايين الطويلة من السنين ، من تاريخ أفريقيا والأفريقيين . ولعلها طريقة حديثة مجدية ، تحبب القارىء فى العلم والثقافة ، ولا تخلو أيضا من المتعة والطرافة .

مختار السويفى

مقدمة المؤلف :

يتضمن هذا الكتاب تسعاً وخمسين خريطة مشروحة لأفريقيا ، تغطى فترة زمنية تمتد من ١٧٥ مليون سنة ، حتى نهاية القرن العشرين بعد الميلاد .

وقد وضعت أسس الشرح والتعليق على هذه الخرائط طبقا لما ساد الكرة الأرضية بأكملها من ظروف طبيعية ومناخية أثناء تحرك القارات وانفصالها عن بعضها واستقرارها أخيراً فى أمكنتها المعروفة فى عالم اليوم .

وبطبيعة الحال فإن التركيز يقع على خريطة قارة أفريقيا نفسها باعتبارها محل البحث فى هذا الكتاب ، ومع ذلك فقد وضع تصميم الخريطة الأساسية بحيث تتضمن الجزء الجنوبى من قارة أوربا ، والجزء الجنوبى الغربى من قارة آسيا .

ويضيف الجغرافيون عادة بعض الجزر باعتبارها توابع لأفريقيا ، القارة الأم ، مثل جزر : « موريشيوس » Mauritius و « ريونيون » Reunion و« سيشل » seychel-les . غير أننا استبعدنا تلك الجزر من نطاق بحثنا فى هذا الكتاب ، ولم نشر إلى تاريخ تلك الجزر ضمن المعلومات التى أوردناها عن القارة الأم .

وتتضمن قارة أفريقيا أكبر عدد من الدول بالمقارنة ببقية قارات العالم الأخرى . ففى عام ١٩٧٨ مثلا ، تضمنت قارة أفريقيا خمساً وأربعين دولة ، بالإضافة إلى أربع دول أخرى فى الجزر التابعة لها وهى : مجموعة رأس ڤيرد [جزر الرأس الأخضر] ،

ومجموعة ساو تومى ، ومدغشقر ، ومجموعة كومورروس [جزر القمر] . بالإضافة إلى ناميبيا التى أستقلت فى أوائل عام ١٩٧٩ . ومعنى ذلك أن أفريقيا حتى ذلك العام كانت تتضمن خمسين دولة .

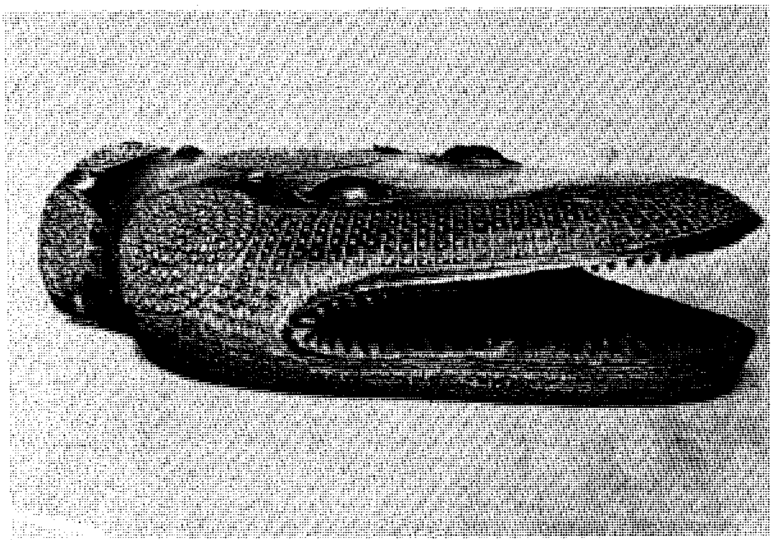
ولاشك فى أن هذا العدد من الدول يعتبر كبيراً إذا قورن بعدد الدول فى قارة أوربا مثلا ، حيث لا يتعدى الثلاثين دولة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن قارة أفريقيا تفتح أمام علماء الجغرافيا السياسية ، مجالات واسعة من البحوث المثيرة ، أكثر من أية قارة أخرى ، وهو أمر سيظهر جليا فى جميع النصوص التاريخية الواردة فى هذا الكتاب .

ولم نقصد أن تكون الخرائط الواردة بهذا الكتاب مرجعاً علمياً ، وإنما جعلنا الخرائط تقوم أساساً على المعالم الجغرافية العامة لقارة أفريقيا ، وصممت الخرائط لتوضيح ما يقابلها من النصوص والشروح المصاحبة لكل خريطة .

وعلى هذا فالقارىء الذى يريد معرفة موضوع ما من الموضوعات التى يتضمنها هذا الكتاب ، يمكنه أن يصل إلى مبتغاه بأحد طريقين : الطريق الأول مباشر ، حيث أن الكتاب مسلسل تاريخياً . أما الطريق الثانى فغير مباشر ، أى باللجوء إلى الفهرس التصنيفى الملحق بآخر الكتاب .

ولا ندعى أننا سنوفى القارىء بحصيلة وافرة من المعلومات ، وإنما سنوضح له بقدر الإمكان المعالم العامة لقصة الإنسان فى أفريقيا . وهذه القصة المثيرة هى الغرض الأساسى لهذا الكتاب .



تحفة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تمثل رأس ثعبان الأصلة .
من معروضات متحف جامعة بنسلڤانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



منذ ١٧٥ مليون سنة

منذ ١٧٥ مليون سنة

منذ مائة وخمس وسبعين مليون سنة ، كانت القارات جميعها مندمجة مع بعضها فى كتلة واحدة ، تكوّن قارة عظمى واحدة ، إسمها «بانجايا» Pangaea تقع أفريقيا فى منتصفها .

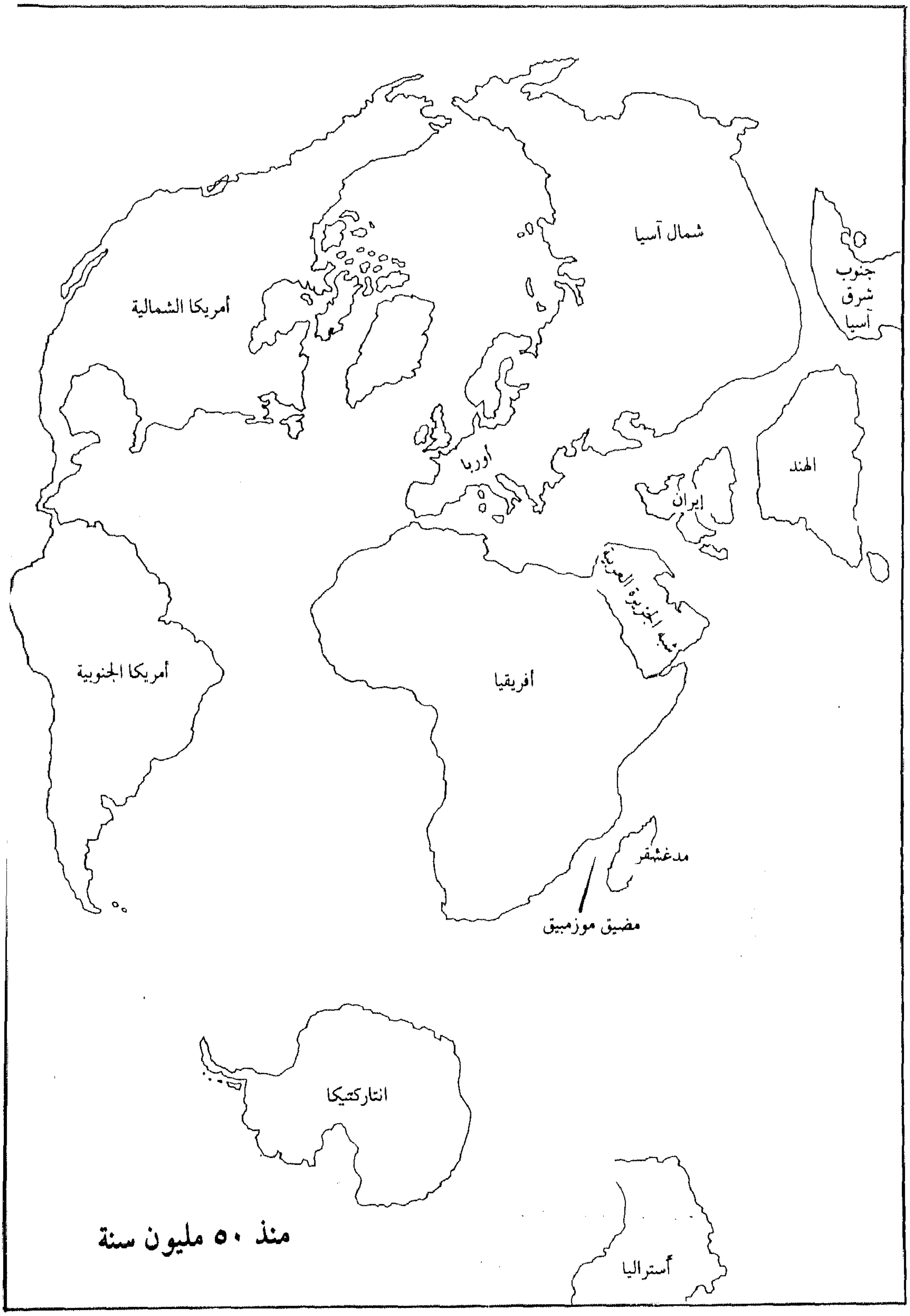
وكانت كتلة النتوء الشمالى الغربى للقارة الأفريقية حلقة وصل بين الكتلتين الرئيسيتين اللتين تتكون منهما القارة العظمى «بانجايا» :

الكتلة الأولى وكانت تسمى «لاوراسيا» Laurasia، وتتكون من : [أمريكا الشمالية وأوربا وشمال آسيا] .

والكتلة الثانية وكانت تسمى «جوندواناالاند» Gondwanaland، وتتكون من : [أمريكا الجنوبية وأفريقيا وجنوب آسيا وانتاركتيكا – القارة القطبية الجنوبية – واستراليا] .

وكانت حلقة الوصل هذه ، والمتمثلة فى النتوء الشمالى الغربى لأفريقيا ، معبراً لمجموعة الثدييات الأولى ومجموعة الحيوانات الجرابية – ذوات الجراب كالقنغر – لكى تنتشر فى معظم أنحاء اليابسة .

ثم أصبحت عملية الانتقال والانتشار أكثر صعوبة حين بدأت «بانجايا» تتكسر وتنفصل أجزاؤ ها وتبتعد عن بعضها ، وهى العملية التى بدأت من نحو ١٦٠ مليون سنة .



منذ ٥٠ مليون سنة

منذ ٥٠ مليون سنة

كان أول جزء انكسر وانفصل عن «بانجايا» هو الكتلة التى تتضمن قارة انتاركتيكا [القطبية الجنوبية] وقارة استراليا . وكان ذلك منذ نحو ١٦٠ مليون سنة :

وقبل تباعد هاتين القارتين عن القارة العظمى الأم ، أخذا معهما الحيوانات الجرابية أو ذوات الكيس Marsupials.

وظلت بقية القارة العظمى الأم متماسكة فى كتلة واحدة لمدة ٥٠ مليون سنة [رغم حدوث بوادر التشقق والانكسار] .

وفى خلال تلك الفترة ظهرت مجموعة جديدة من الحيوانات الثديية ذات المشيمة Placentals. وهى أكثر كفاءة من الحيوانات الجرابية ذوات الكيس . ولذلك فقد استطاعت هذه الحيوانات ذات المشيمة أن تحل محل الحيوانات الجرابية فى معظم أنحاء العالم . وبطبيعة الحال فإن الثدييات ذات المشيمة لم تستطع الوصول إلى قارة استراليا التى انفصلت وتباعدت ، لذلك فما زالت بقايا فصائل الحيوانات الجرابية تعيش فى استراليا حتى الآن [القنغر] .

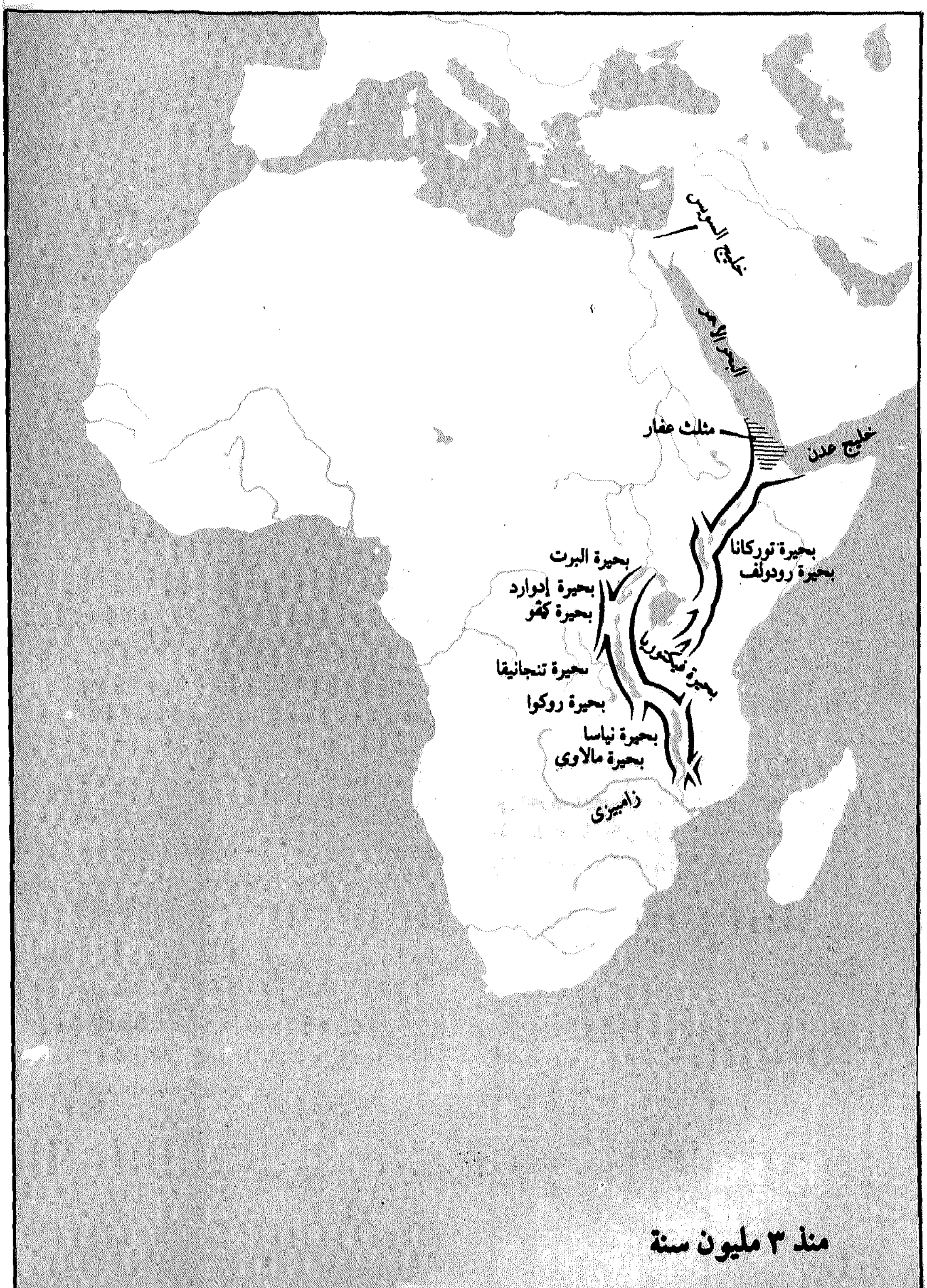
ومن أول فصائل الثدييات ذات المشيمة مجموعة تسمى «ما قبل القرديات» Prosimii . ومن هذه المجموعة البدائية خرجت القرود Monkeys، وتطورت إلى أن خرج منها أسلاف القردة العليا والإنسان .

وحدث الانكسار التالى فى كتلة جوندوانالاند بانفصال جزيرة مدغشقر التى أصبح يفصلها عن الكتلة الأم مضيق موزمبيق .
وفى مدغشقر كان أقصى تطور لحق بمجموعة «ما قبل القرديات» هو ظهور حيوان «الليمور» Lemurs أو «الهبّار» . وهو حيوان من فصيلة القردة ذات الذنب الطويل .

ولهذا السبب يوجد الليمور بمدغشقر مثلما توجد الحيوانات الجرابية باستراليا . ولم تظهر فى أى من هاتين الجزيرتين فصائل القرود على الإطلاق .

ثم انكسرت بعد ذلك كتلة قارة أمريكا الجنوبية وانفصلت عن الكتلة الأم ، وأخذت معها نوعاً من القردة العريضة الأنف ، خرجت منه «قرود القشة» Marmoset ــ وهى نوع من القرود الأمريكية صغيرة الحجم ــ والقرود العنكبوتية Spider Monkeys، وهى نوع آخر من القرود الأمريكية ذات قوائم طويلة هزيلة ، ولها ذيل طويل قادر على الإمساك بأغصان الشجر والالتفاف حولها .

أما فى البقية المتبقية من الكتلة الأم ، فقد حدثت عدة تطورات للقرود الأول ، وظهرت قرود «المكاك» Macaques، وقرود «البابون أو الرُّبّاح» Baboons، وهى قرود ضخمة الجسم قصيرة الذيل . وذلك كخطوة أولى نحو تطورات أخرى لاحقة .



منذ ٣ مليون سنة

منذ ٣ مليون سنة

آخر الانكسارات والتشققات الكبرى فى كتلة القارة الأفريقية ، حدثت منذ نحو خمسة ملايين من السنين ، حين حدثت ثلاثة انكسارات بالجانب الشرقى من القارة .

حدث الشق الأول فأزاح شبه الجزيرة العربية عن كتلة القارة ، وأدى إلى ظهور خليج عدن ، والبحر الأحمر ، وانتهى ببرزخ السويس Isthmus of Suez الذى يمثل الآن حلقة الوصل بين كتلتى آسيا وأفريقيا .

أما الشقان أو الانكساران الآخران فلم يكونا بهذا الطول أو الاتساع ، على الأقل حتى الآن . ويمكن مشاهدتهما الآن فى شكل الأخدودين العظيمين اللذين يتراوح اتساعهما إلى نحو ثلاثين ميلاً .

ويبدأ الأخدود الأول ـ الشرقى ـ من خليج عدن ويتجه جنوبا بغرب مخترقا هضبة الحبشة ، ثم ينحنى نحو الجنوب ماراً بالحدود التى تفصل الآن دولتى أثيوبيا وكينيا بمنطقة شرق بحيرة ڤيكتوريا ، إلى أن يتلاشى نهائيا فى منطقة شمال تانزانيا .

أما الأخدود الثانى ـ الغربى ـ فيبدأ من منطقة نهر زامبيزى الأدنى متجها نحو بحيرة ڤيكتوريا ؛ ولكنه ينحنى غرباً قبل الوصول إليها ، إلى أن يتلاشى فى منطقة أوغندا .

ولولا هذا الانحراف الذى حدث فى اتجاه كل من هذين الأخدودين وجعلهما يلتفان حول بحيرة ڤيكتوريا ـ شرقاً وغرباً ـ لتلاقى الأخدودان مع بعضهما ، الأمر الذى كان سيؤدى حتما إلى انكسار كل الجانب الشرقى لقارة أفريقيا ، ابتداء من منطقة القرن الأفريقى ، حتى مصب نهر زامبيزى ، وانفصال هذه الكتلة الهائلة عن جسم القارة ، لتسبح فى مكان ما بالمحيط الهندى .

ولا شك أن تتبع اتجاه كل من هذه التشققات والانكسارات الكبرى التى حدثت بشرق أفريقيا ، يحتاج إلى معرفة المزيد من المعلومات الجيولوچية . ومع ذلك فيمكن ملاحظة الأثر الذى أحدثته هذه الانكسارات بالنظر إلى أية خريطة مبسطة . فهناك تطابق تام بين سواحل البحر الأحمر الشرقية والغربية ، بحيث أنك إذا طبقت الساحلين على بعضهما لتطابق كل منهما على الساحل الآخر . وذلك فيما عدا منطقة بالساحل الجنوبى الغربى للبحر الأحمر ، وهى المنطقة المعروفة بمثلث عفار Afar Triangle[1] . وقد تكون هذا المثلث نتيجة لنشاط بركانى ـ حديث نسبيا ـ ملأ هذا الفراغ باللافا وتراكمات الحمم البركانية . ولو لم يحدث ذلك لكان التطابق كاملاً .

أما مظاهر وجود الأخدودين الآخرين ، فتبدو فى مجموعة البحيرات التى حدثت فى قاع كل منهما . فبالنسبة للأخدود الشرقى ، توجد سلسلة من البحيرات الصغيرة التى يمكن رؤيتها بالخرائط التفصيلية ، بالإضافة إلى بحيرة توركانا Turkana التى تبدو كبيرة نسبيا عند مقارنتها بالبحيرات الأخرى .

وبالنسبة إلى الأخدود الغربى ، فتبدو سلسلة البحيرات الكبيرة واضحة جلية ، متمثلة فى

(١) بجمهورية چيبوتى الآن [المترجم]

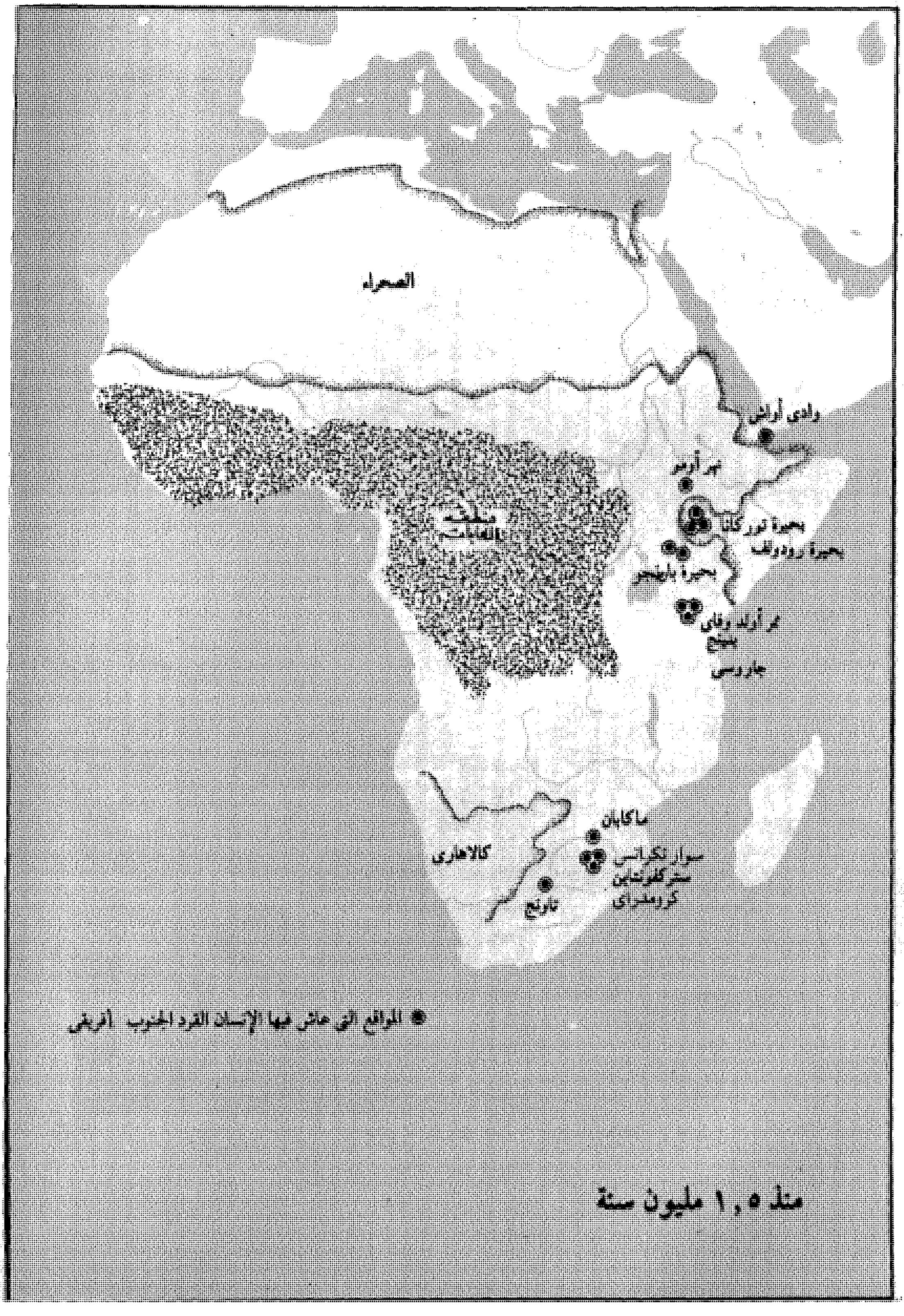
بحيرات ألبرت ، وادوارد ، وكيفو ، وتنجانيقا ، وروكوا ، ونياسا .

أما بحيرة ڤيكتوريا نفسها ، فتعتبر نتيجة غير مباشرة لحدوث هذين الأخدودين . فعند حدوث الأخدود ، يهبط قاعه وترتفع جوانبه ، ولهذا فعند ارتفاع الجزء الجنوبي الغربي من جانب الأخدود الشرقي ، وارتفاع الجزء الشمالي الشرقي من جانب الأخدود الغربي ، حدث أن تكونت فيما بينهما بقعة هائلة من الأرض أخذت شكل طبق مفلطح ، وهي البقعة التي تكونت فيها وشغلتها بحيرة ڤيكتوريا .

ولهذا فإن بحيرة ڤيكتوريا في حقيقة الأمر عبارة عن بركة كبيرة من المياه التي تجمعت في هذا الطبق . وبصرف النظر عن مساحتها الهائلة — حيث تعتبر أكبر وأوسع بحيرة في أفريقيا — فإنها أقل عمقا من أية بحيرة أخرى من البحيرات التي تقع داخل الأخدودين .



تحفة فنية من النحاس . يرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر ، خاصة بأحد ملوك بنين القدماء .
من معروضات المتحف البريطانى بلندن .


الصحراء
منطقة الغابات
وادي أواش
نهر أومو
بحيرة توركانا
بحيرة رودولف
بحيرة بارنجو
أولدوفاي
بنيج
جاروسي
ماكابان
سوارتكرانس
ستركفونتاين
كرومدراي
كالاهاري
تاونج
المواقع التي عاش فيها الإنسان القرد الجنوب أفريقي
منذ ١,٥ مليون سنة

منذ مليون ونصف المليون سنة

خلال معظم المليونى سنة الماضيين ، غطى الجليد شمال أوربا وكندا . وخلال هذه العصور الجليدية ساد جو بارد وجاف كل منطقة جنوب أوربا والولايات المتحدة . أما فى افريقيا فلم يكن الجو أبرد مما هو عليه الآن ، وإن كان أكثر جفافاً . وأصبحت الصحراء الكبرى تمثل حاجزاً لا يمكن اجتيازه بالنسبة للحيوانات . بينما بقيت المنطقة الواقعة جنوب الصحراء حافلة بمناطق الغابات فى نفس الحدود التى هى عليها الآن . أما فى شرقى وجنوب القارة ، فقد سادت المناطق العشبية المفتوحة ذات الأشجار المتباعدة .

ومن المحتمل أن منطقة الغابات قد تكونت منذ نحو خمسة ملايين من السنين . وهى نفس الفترة التى ظهرت بها فصائل وأنواع القرود(١) Monkeys And Apes.

وقد اعتمدت كل من هاتين الفصيلتين فى حياتها على الأشجار . وبالرغم من ثقل وزن افراد الفصيلة الأولى The Apes إلا أنها اعتمدت فى حياتها على أشجار الغابات ، مثلها فى ذلك مثل الفصيلة الثانية The Monkeys .

ومع ذلك فقد انتقلت بعض أنواع من هاتين الفصيلتين لتعيش فى المناطق العشبية . وعلى الأخص قرود البابون(٢) التى تعتبر أنجح تطور لفصيلة القرود Monkeys. أما القردة العليا Apes فتعتبر أسلاف «الانسان القرد ــ الجنوبى» Australopithecines طبقا لمفهوم «نظرية التطور» التى وضعها تشارلس داروين فى القرن الماضى . والتى ترى أن «الانسان القرد» هذا هو حلقة الوصل بين فصيلة القردة العليا والانسان .

وطبقا لمفهوم هذه النظرية ، فقد حدث التطور الذى أدى إلى ظهور «الانسان القرد ــ الجنوبى» على مدى مراحل طويلة . ويمكن

---

(١) هناك فصيلتان اساسيتان للقرود : الفصيلة الأولى تسمى The Apes وهى قرود لا ذيول لها وتشمل الغوريلا Gorilla والشمبانزى Chempanzee والاورانج أوتان Orang Utan والجيبون Gibbon .

والفصيلة الثانية تسمى The Monkeys ، وهى أقرب الحيوانات شبها بالانسان ، خصوصاً الأنواع الصغيرة منها الطويلة الذيل . وفى هذه القرود الشبيهة بالانسان تطورت الأطراف [الأرجل والأذرع والاقدام] لتصبح قادرة على القبض والإمساك بالاشياء . كما تطور جهازها العصبى تطوراً عالياً . ويشمل هذا النوع من القرود : المارموست Marmosets [وهى القرود الأمريكية المعروفة باسم القشة] والبابون Baboonsوالمكاك Macaques.

[المترجم]

(٢) البابون : نسناس كبير من جنس بابيو Papio يستوطن افريقيا وبلاد العرب [ويسمى أحيانا القرد الافريقى أو القرد العربى] . ووجهه خصوصا الأنف والفكين . يشبه وجه الكلب . وله انياب طويلة وأطراف قوية . وفى مؤخرته كتلة صلبة من اللحم . تحل محل الردفين . وله ذيل قصير مقوس . وينتقل البابون فى جماعات ، ويتغذى على العقارب والحشرات ويأكل ايضا المواد النباتية . وأغلبه أصفر أو بنى اللون ويدربه بعض الناس فى مصر على تقليد بعض الأعمال . وكان قدماء المصريين يقدسونه ، ووجدت الكثير من انواعه محنطة أو منقوشة بالرسوم خصوصاً نوع الميمون ونوع الشاكما .

[المترجم] .

وصف هذا الانسان بصفة عامة بأن جسمه جسم انسان ، ومخه مخ قرد من فصيلة الإيب Ape .

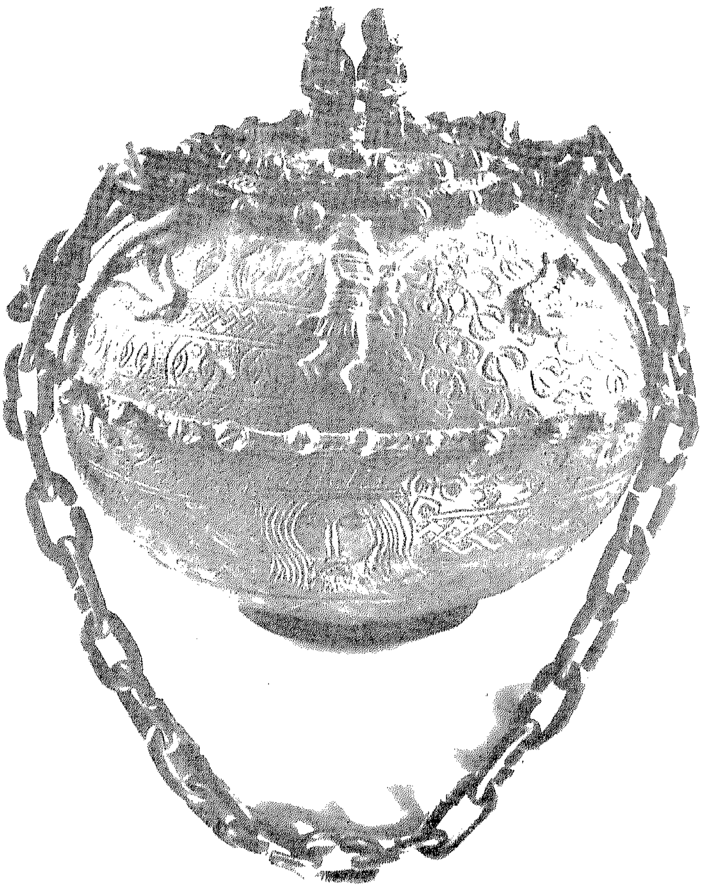
وقد اقتضت ظروف البيئة فى المناطق العشبية حدوث تطور بكل من هاتين الفصيلتين . فقد ظلت القرود من فصيلة «المانكى» The Monk-eys تسير على أربع . أما القرود من فصيلة «الايب» The Apes فقد استقام جسمها وأخذت تسير معتمدة على رجليها الخلفيتين .

وكان من نتيجة هذا التطور أن أصبح «الانسان القرد الجنوبى» يتمتع بذراعين حرتين استطاع أن يستخدمها فى أغراض شتى تعود عليه بالنفع وتسهل له سبل الحياة فى البيئة التى يعيش فيها .

ولم تمض حقبة طويلة من الزمن ، حتى استطاع «الانسان القرد الجنوبى» أن يستخدم يديه فى تشذيب بعض الأحجار الصلبة ليستخدمها كأدوات قاطعة . وكان هذا الاستخدام هو خطوة الانسان الأولى فى التطور وصنع الأدوات .

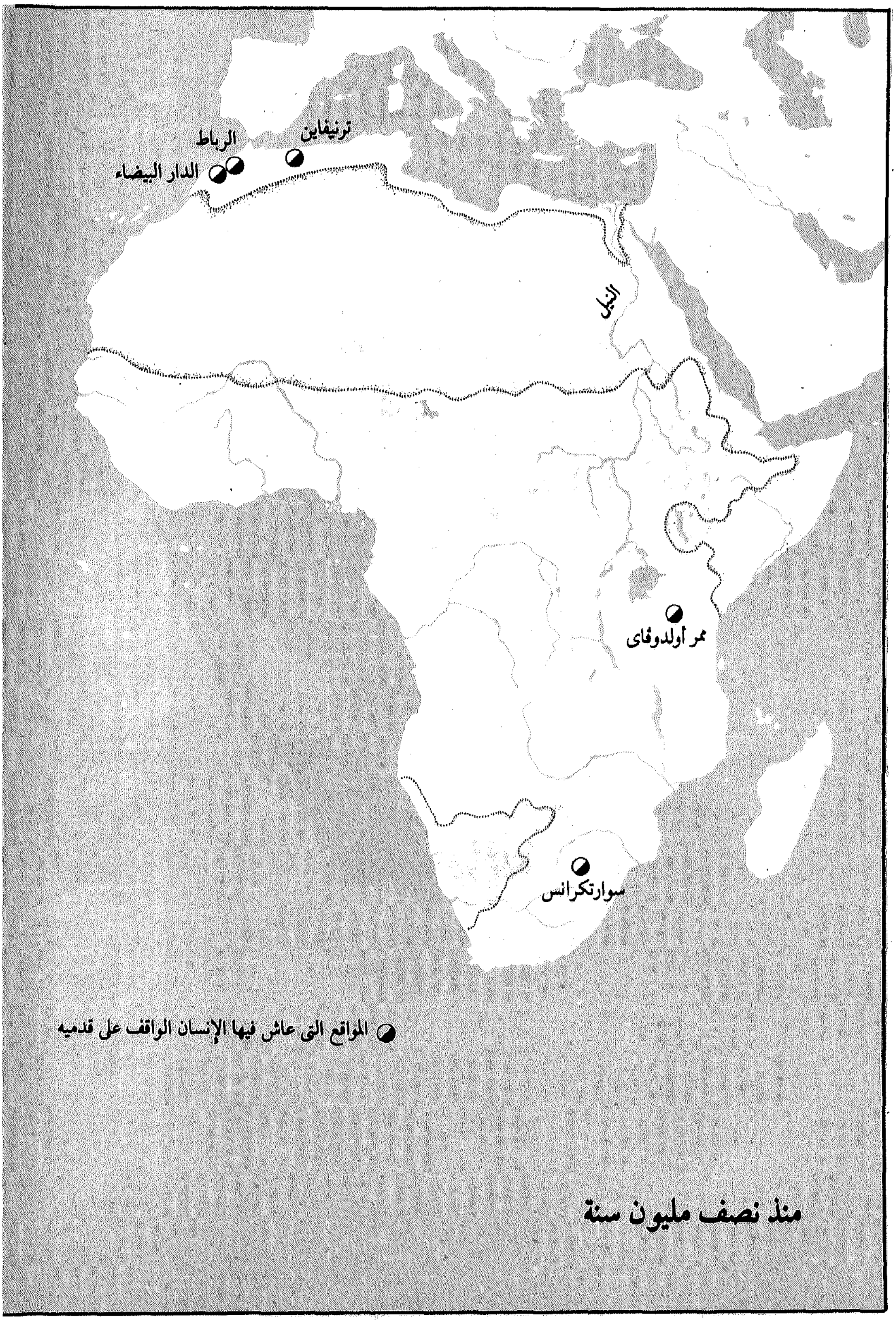
وتبين الخريطة المواقع التى عثر فيها على عظام «الإنسان القرد الجنوب ــ افريقى» . ولم يعثر على مثيل تلك العظام أو البقايا فى أية قارة أخرى غير افريقيا . بل ولا فى المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى .

ومعنى هذا أنه بالرغم من تطور «الانسان القرد الجنوب ــ افريقى» فإنه لم يستطع اجتياز الصحراء ، وظل على مدى مليونى أو ثلاثة ملايين سنة ، مرتبطا بالمناطق العشبية فى قارة افريقيا ، وهى المناطق التى نشأ فيها وتطور .



تحفة ملكية مصنوعة من النحاس كانت تستخدم فى أغراض دينية .

من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



منذ نصف مليون سنة

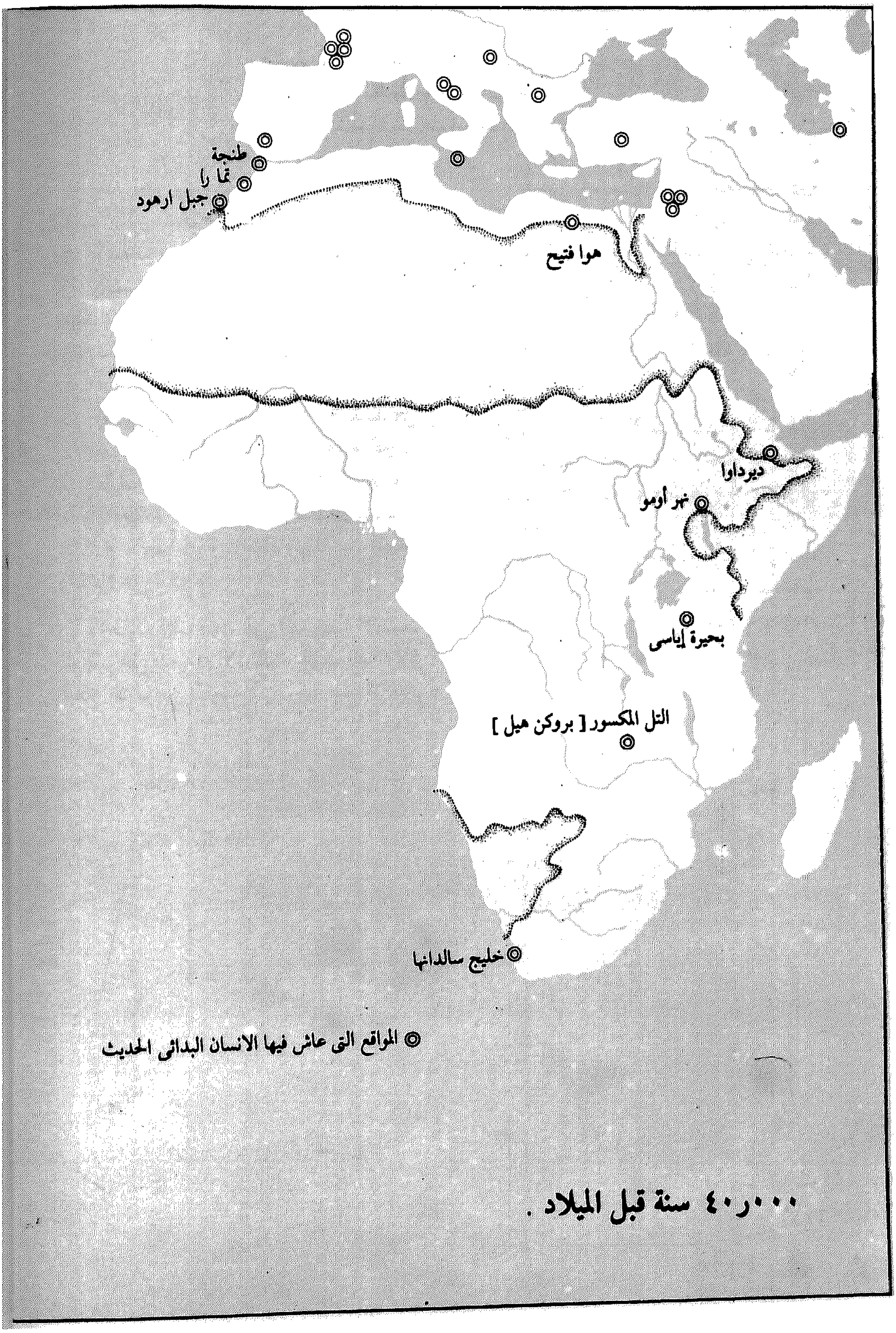
منذ نصف مليون سنة

منذ نحو مليون سنة ، تطور «الانسان القرد» الذى كان يعيش جنوب الصحراء ، وخرج منه نوع من «الانسان الواقف على قدميه» أو «الانسان المنتصب القامة» Homo Erectus . وكان له مخ يزيد مرة ونصف بالمقارنة بمخ «الانسان القرد الجنوبى» .

وقد استطاع هذا النوع الجديد من الانسان ، أن يشعل النار ، وأن يصنع أدوات من الظران [الصوان] متماثلة فى الشكل صنعها بحذق ومهارة . ومن المؤكد أنه كان يستطيع الكلام ، نظراً لوجود صلة وثيقة بين المهارة والقدرة على الكلام .

وهذه القدرات التى اكتسبها الانسان الواقف على قدميه أو الانسان المنتصب القامة ، لم تجعله مختلفاً من الناحية البيولوجية مع الانسان القرد الجنوبى فحسب ، بل أهلته أيضا إلى التفوق عليه فى ميادين المنافسة . ولم يمض وقت طويل حتى انقرض الانسان القرد الجنوبى تماماً ، إما بسبب تعرضه لمذابح وإبادة على يد الانسان الواقف على قدميه ، أو لأن هذا الانسان الأخير قد أزاحه بعيداً إلى مناطق وبيئات لم يستطع ان يواصل الحياة فيها .

وقد اثبت هذا الانسان قدرة فائقة على الحركة والهجرة ، فكسر حاجز الصحراء ، ربما عن طريق وادى النيل ، واستطاع أن ينتشر فى مختلف انحاء العالم القديم . فقد عثر على عظامه فى أوربا [قرب هايدلبرج] وفى الصين [قرب بكين] وفى اندونيسيا [فى جاوه] كما عثر عليه أيضا فى شمال افريقيا [فى الدار البيضاء والرباط وترنيفاين] . ولكنه لم يستطع الوصول إلى الامريكتين ولا جزر المحيط الهادى .



٤٠ر٠٠٠ سنة قبل الميلاد .

منذ ٤٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد

عندما وصل العصر الجليدى الأخير إلى أقصى ذراه ، عاش نوع من الانسان فى المناطق التى كانت مأهولة فى ذلك الوقت فى أوربا وآسيا وافريقيا ، وهو الانسان الذى اصطلح على تسميته بالانسان البدائى الحديث Homo Sapiens.

وهذا الانسان شديد الشبه بالانسان المعاصر الذى يعيش فى عالم اليوم ، وإن كان يختلف عنه من عدة نواح مثل كثافة شعر الحواجب ، وكبر الفكين وصغر عظام الذقن . أما حجم مخه فهو مماثل تماماً لحجم مخ الانسان المعاصر . ولهذا يمكن اعتبار هذا الانسان ضرباً أو نوعاً من الانسان المعاصر ، بدلاً من ادراجه فى تصنيف منفصل .

وقد أطلق أيضا على هذا الانسان إسم آخر هو «انسان نياندرتال» Neanderthalers. وذلك نسبة إلى مكان العثور عليه فى المانيا ، حيث عثر على أول جمجمة له هناك فى سنة ١٨٥٦ م .

وفى سنة ١٩٢١ ، عثر على أول جمجمة لهذا الانسان فى منطقة جنوب الصحراء الكبرى بافريقيا ، وذلك اثناء حفر منجم فى منطقة تسمى التل المكسور Broken Hill فى زامبيا . ولذلك فقد أطلق عليه اسم «انسان روديسيا» لأن زامبيا كانت معروفة فى ذلك الزمن باسم روديسيا الشمالية .

هذا ويختلف انسان نياندرتال الذى عثر عليه فى جنوب الصحراء الافريقية عن انسان نياندرتال الذى عثر عليه فى أوربا فى بعض المعالم البسيطة .

وبطبيعة الحال ، فإن وجود بعض الاختلافات بين انسان روديسيا وانسان نياندرتال هو أمر متوقع ومحتمل ، رغم أن العثور على جمجمة واحدة لانسان روديسيا لا يكفى للحكم بالتعميم ووضعه فى تصنيف منفصل عن انسان نياندرتال الذى عثر عليه فى أوربا .

وبعد مرور نحو عشرين سنه على العثور على جمجمة إنسان روديسيا ، عثر علماء الانثروبولوجيا [علم الإنسان] على جمجمة أخرى لهذا الإنسان فى منطقة خليج سالدانها Sal-danha Bay قرب كيب تاون بجنوب افريقيا . ولسوء الحظ فقد كانت تلك الجماجم التى عثر عليها فى أماكن أخرى جنوب الصحراء مهشمة ومشكوك فى أمرها بحيث لا يمكن الاعتماد عليها فى إعداد خريطة سليمة دقيقة مقنعة ، تبين توزيع هذا الإنسان بمناطق جنوب الصحراء الكبرى فى افريقيا . ومع ذلك فإن هذه الموجودات تبدو كافية لتأكيد أن «إنسان نياندرتال» الذى عثر عليه فى جنوب الصحراء الكبرى ، من جنس متميز عن إنسان نياندرتال الذى كان يعيش فى بعض مناطق أوربا وفى بعض المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى .

غير أن هذه النتيجة لا تثير الدهشة ، فمن الحقائق المسلم بها أن أصناف الإنسان تختلف فيها بينها طبقا لاختلاف الجو والظروف المناخية . وبطبيعة الحال فقد كانت هناك اختلافات كبيرة فى هذه الظروف المناخية بين قارتى أوربا وافريقيا فى أثناء العصر الجليدى الأخير .

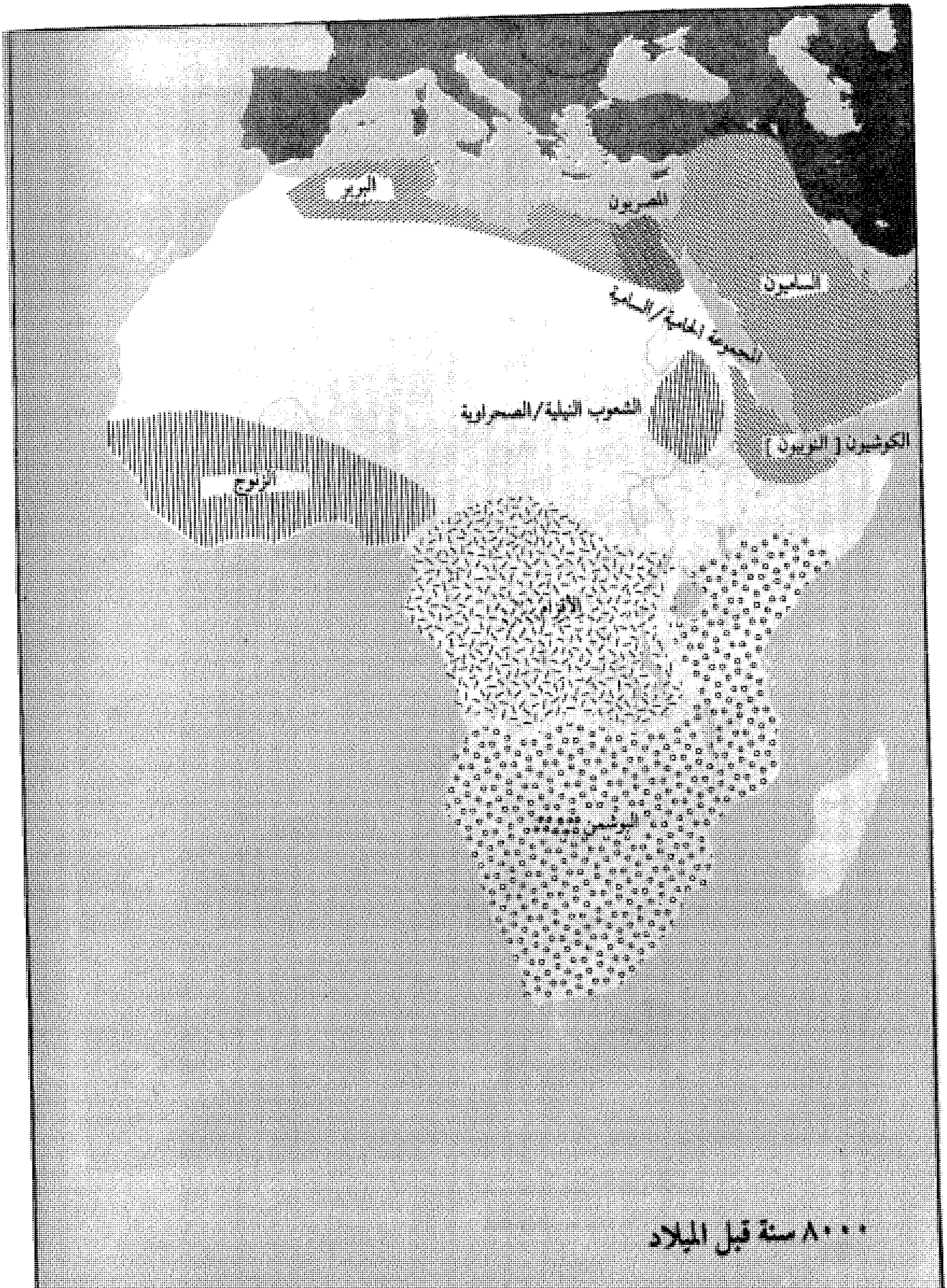
وعلى ذلك فيمكننا أن نفترض بحق أن «إنسان روديسيا» كان داكن البشرة إذا قورن بانسان نياندرتال الذى كان يعيش فى أوربا . وذلك لأن المادة الملونة فى انسجة البشرة تحميها من الآثار المدمرة لضوء الشمس . كما نفترض أيضا ان انسان روديسيا كان قليل الشعر الذى يغطى جسمه باعتبار أن الشعر يؤدى إلى احتفاظ الجسم بالحرارة ، وإلى فقدان هذه الحرارة بطريقة أبطأ .

كذلك فإن الفاصل الحقيقى الذى كان يفصل انسان نياندرتال الأوربى عن انسان روديسيا ، كان متمثلاً فى الصحراء الكبرى وليس متمثلا فى البحر المتوسط . ويؤكد ذلك ان بقايا انسان نياندرتال التى عثر عليها بمنطقة هوافتيح بشمال افريقيا مماثلة تماماً لبقايا انسان نياندرتال الأوربى . ومختلفة عن بقايا انسان روديسيا التى عثر عليها بجنوب الصحراء الكبرى .

والقول بأن البحر المتوسط لم يكن يشكل مانعاً أو فاصلاً بين هذين النوعين ، إنما يرجع بصفة أساسية إلى أن تجمد مياه البحار فى اثناء العصر الجليدى الأخير قد جعل البحر المتوسط أقل عمقا بكثير مما هو عليه الآن .



تحفة فنية من النحاس ، تمثل مقعداً كان يستخدم فى بعض الأغراض السحرية
من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



٨٠٠٠ سنة قبل الميلاد

سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد

جاء تحول كل من انسان نياندرتال وانسان وديسيا إلى الانسان المعاصر الذى يعيش فى عالم ليوم ، نتيجة لتكوين بعض جينات الوراثة لجديدة . وبصرف النظر عن المكان الذى لهرت فيه هذه الجينات لأول مرة ، فإنها نتشرت بين جميع افراد الجماعات الانسانية التى كانت تعيش فى العالم ، وذلك قبل انتهاء العصر لجليدى الأخير .

وقد اختفت من افريقيا كلها السمات لخاصة بثقل الحواجب ونتوء الجبهة ، كما اختفت هذه السمات من الانسان الذى كان يعيش فى وربا وآسيا . وبصفة عامة يمكن القول بأن كل نوع في ملامح وصفات الانسان المعاصر ، كان موجوداً ايضاً فى ملامح وصفات ذلك الانسان لقديم المعروف باسم Homo Sapiens ولكن هذا لا يعنى ان كل الناس كانوا متشابهين . لكل قارة كانت تختلف عن القارات الأخرى من ناحية الأجناس البشرية التى كانت تعيش فيها .

وبالنسبة لقارة أفريقيا ، فقد عاشت فيها نحو خمسة أجناس متمايزة . بل وأن أربعة من هذه الاجناس لا يوجد لها مثيل فى أية قارة أخرى غير افريقيا . وهذه الأجناس هى : الزنوج ، والشعوب النيلية الصحراوية ، والأقزام ، والبوشمن .

وقد استوطن الزنوج مناطق الغابات والمناطق العشبية بغرب افريقيا . وهم يتميزون بضخامة الأجسام وسواد البشرة والانوف العريضة .

أما الشعوب النيلية الصحراوية ، فيتميزون بالضخامة وسواد البشرة أيضاً ، ولكن أجسامهم ووجوههم أنحف من أجسام ووجوه الزنوج . ومن المحتمل أنهم كانوا يعيشون فى ذلك الزمن فى مناطق الثلث الأوسط من وادى النيل وما يحيط بها مباشرة .

أما مناطق افريقيا جنوب الصحراء ، فقد كانت مقسمة بين الأقزام والبوشمن .

وقد استوطن الاقزام منطقة الغابات المطرة بحوض الكونغو [زائير] . وهم قصار القامة بشكل ملحوظ ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو أربعة اقدام وست بوصات [١٣٧ سم] وبشرتهم بنية تميل إلى السواد وانوفهم عريضة وشعرهم قليل .

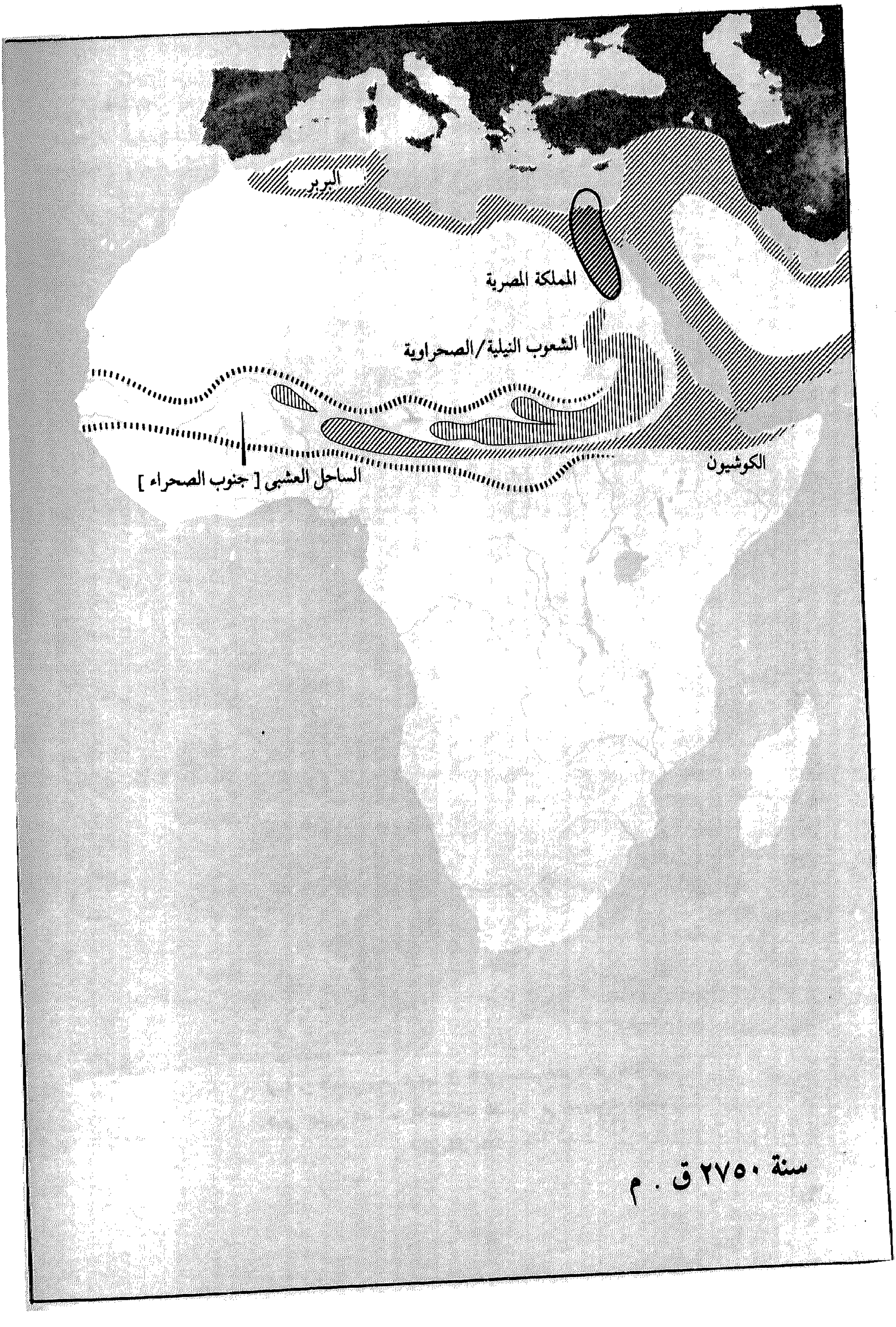
أما البوشمن فهم أطول قليلا من الأقزام ، إذ يبلغ متوسط طول الفرد منهم نحو خمسة أقدام وبوصتين [١٥٧ سم] وبشرتهم تميل إلى اللون الأصفر أكثر منه إلى اللون البنى أو الاسود ، وشعرهم مفلفل . وهم يعيشون الآن فى منطقة صحراء كالاهارى فى جنوب غرب القارة . أما فى ذلك الزمن موضع البحث فقد كانوا منتشرين فى كل مناطق شرق وجنوب افريقيا .

أما المناطق الافريقية شمالى الصحراء الكبرى ، فكان الوضع فيها مختلفاً إلى حد كبير . فقد كانت مأهولة باجناس بيضاء تنتمى إلى الساميين فى شبه الجزيرة العربية ، وينقسمون إلى جماعات تختلف فيما بينها لغوياً ، ويطلق عليهم بصفة عامة اسم «الحاميين» . ففى الغرب [مراكش والجزائر وتونس] كان يعيش البربر .

وفى الشرق [وادى النيل] كان يعيش المصريون . وفى جنوب الصحراء الشرقية المطلة على البحر الأحمر ، كان يعيش الكوشيون [النوبيون] ، وهم ذوو بشرة داكنة وأكثر سمرة من البربر والمصريين . ويرجع هذا التميز فى لون بشرة النوبيين إلى سبب جوهرى هو وجودهم فى المناطق الجنوبية ، الأمر الذى هيأ للاختيار الطبيعى أن يؤدى دوره فى تلوين بشرتهم باللون الاسمر ، بالاضافة إلى وفر الجينات السوداء نتيجة اختلاطهم بجيرانهم السود .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر، تمثل ثلاثة من قارعي الطبول اثناء أحد الاحتفالات الطقسية. من معروضات المتحف البريطاني بلندن.


البربر
المملكة المصرية
الشعوب النيلية/الصحراوية
الساحل العشبى [جنوب الصحراء]
الكوشيون
سنة ٢٧٥٠ ق . م

سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد

فى خلال العصر الباليوليتى Palaeolithic [العصر الحجرى القديم] والعصر الميسوليتى Mesolithic [العصر الحجرى الوسيط] ، كان الانسان يعتمد فى حياته على جمع الطعام كصيد الحيوانات والاسماك وقطف الثمار وحفر الأرض للبحث عن الجذور .

أما السمة الأساسية التى تميز بها العصر النيوليتى Neolithic [العصر الحجرى الحديث] فهى انتقال الانسان من عملية جمع الطعام إلى عملية انتاج الطعام المتمثلة فى زرع البذور وجنى المحاصيل الصالحة للطعام وفى تربية الحيوانات المستأنسة ورعى القطعان .

وقد حدث هذا التحول فى منطقة الشرق الأدنى ، خلال الألف السابعة قبل الميلاد ، حيث تمكن الانسان من زرع القمح والشعير واستئناس الأغنام والماعز والخنازير والمواشى . وقد أدت هذه العملية التحولية الجديدة إلى زيادة أعداد الانسان . وقد بدأت هذه الزيادة بمعدل بطىء فى البداية ، ثم ارتفع معدل الزيادة بمرور الوقت .

وكانت معظم المجتمعات الإنسانية التى انتهجت الزراعة واستئناس الحيوانات كأسلوب جديد للحياة ، تعيش مستقرة فى أماكن محددة أخذت شكل القرى التى تحيط بها الأسوار أحيانا رغم هذا الزمن الضارب فى القدم .

أما المجتمعات الانسانية التى اعتمدت على رعى القطعان فقد عاشت حياة التنقل حيث كانت ترحل بإستمرار ومعها قطعانها إلى حيث توجد المراعى الصالحة حسب فصول السنة .

وهكذا ظهر التمايز الجوهرى بين البدوى والفلاح . أى بين سكان المناطق العشبية «الاستبس» Steppes التى لا تصلح لأى شىء سوى رعى القطعان ، وبين الفلاحين الذين يعيشون مستقرين بالقرى ، ويؤهلون أنفسهم لحياة حضرية جديدة ، ازدادت فيها المعدلات السكانية .

ولم تلعب افريقيا أى دور على الاطلاق فى هذه التطورات ، بل وظلت بعيدة عن التأثر بهذا التطور حتى حوالى سنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد ، حيث انتقل هذا الأسلوب الجديد للزراعة من وادى الأردن إلى وادى النيل ، أى من فلسطين إلى مصر[١] .

ثم انتقل هذا الاسلوب من مصر ببطء إلى السواحل الافريقية الشمالية المطلة على البحر المتوسط [تونس والجزائر والمغرب] . كما انتقل جنوباً إلى السودان [نحو سنة ٣٠٠٠ ق . م] .

وكمرحلة أخيرة ، كما هو مبين بالخريطة ، تدفقت موجات الفلاحين والرعاة من السودان متجهة نحو الغرب عبر الساحل [وهو الحزام العشبى الذى يقع جنوبى الصحراء الكبرى مباشرة] .

ورغم أن ثورة الاستقرار الزراعى فى العصر الحجرى الحديث قد وصلت إلى أفريقيا متأخرة ،

---

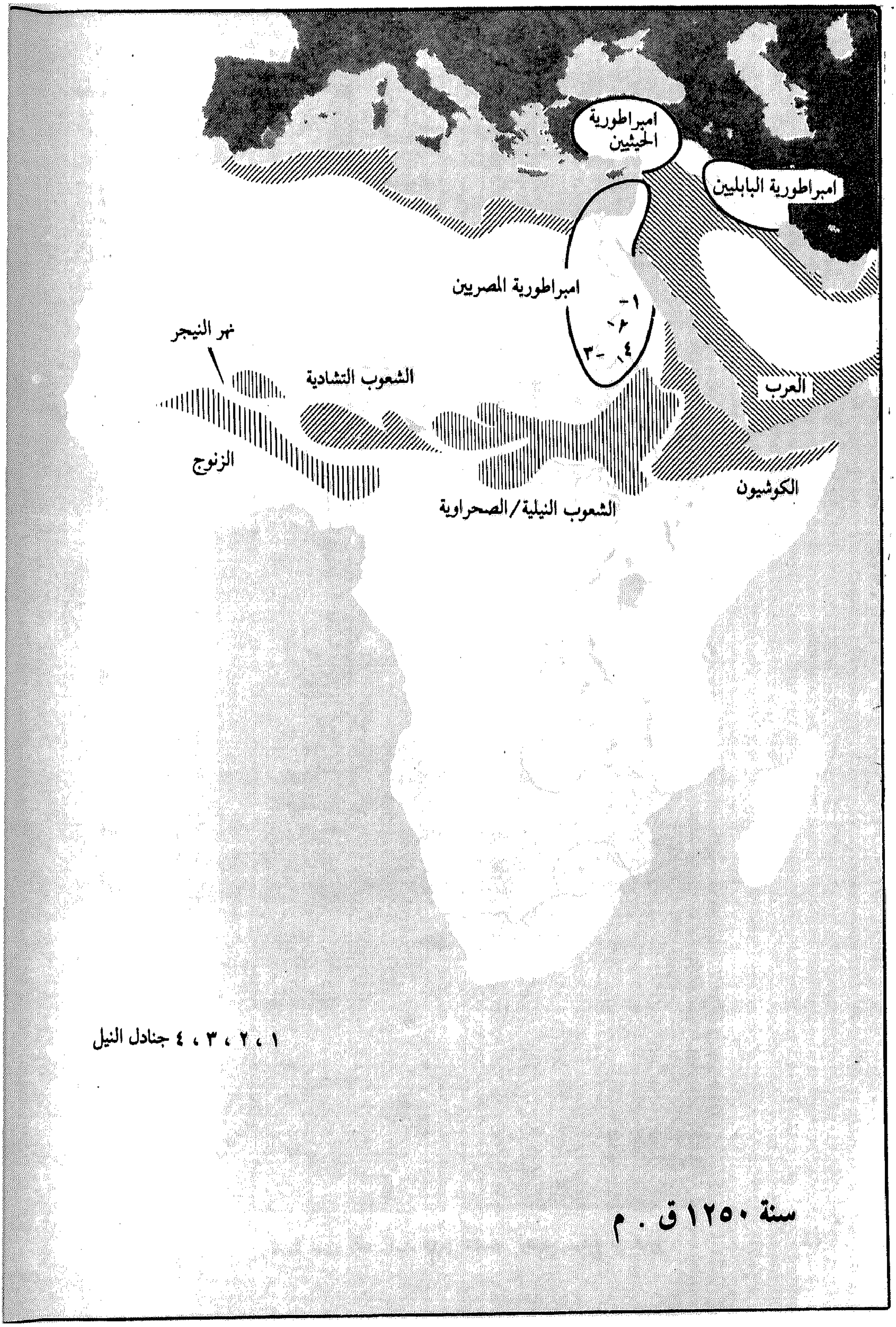
(١) أرجو أن يتناول القارىء رأى المؤلف فى هذا الشأن بشىء من التحفظ فهذه النظرية محل خلاف ، والرأى الراجح هو ظهور الزراعة بمصر أولاً . [المترجم] .

وتـطورت بعـد ذلـك ببطء ، إلا أنها أحـرزت نجاحاً بالغاً فى نقطة دخولها ، أى فى مصر . فقد تعلم المصـريون بسـرعـة كيف يستفيـدون من الفيضـانـات المـوسمية لنهـر النيـل فى رى محاصيلهم ، وبالتـالى فقد أصبحت مصـر ــ أو بالتحديد الأجزاء المأهولـة منها ــ أكـثر البلاد تكدسا بالسكان فى العالم فى ذلك الزمن .

وبهذه الخلفية الاقتصادية ، حققت افريقيا أول الانتصـارات الحضـاريـة بـين القـارات الأخرى ، حيث استطاع المصـريون أن يُنشئـوا نظام «الدولة» حين قام الملك مينا [سنة ٣٠٠٠ ق . م على وجه التقريب] بتوحيد مصر العليـا «الوجه القبلى» مع مصر السفلى «الوجه البحرى» فى دولة واحدة ، هى بلا أدنى شك أول وأقدم دولة فى العالم .



٤١ قلادة خاصة بأحد رؤساء القبائل القدماء . والقناع مصنوع من البرونز .


امبراطورية
الحيثيين
امبراطورية البابليين
امبراطورية المصريين
١
٢
٣
٤
نهر النيجر
الشعوب التشادية
العرب
الزنوج
الكوشيون
الشعوب النيلية/الصحراوية
١، ٢، ٣، ٤ جنادل النيل
سنة ١٢٥٠ ق. م

سنة ١٢٥٠ قبل الميلاد

ظلت المملكة المصرية أهم مملكة فى العالم لحقبات طويلة من الزمن ، ولم تنافسها فى الوجود أية مملكة أخرى حتى سنة ٢٣٠٠ ق . م حين قام سرجون الأكبر بتوحيد ميزوبوتاميا Mesopotamia [بلاد ما بين النهرين ــ العراق حالياً] .

وبعد نحو ألف سنة أخرى ، لم يكن فى العالم سوى دول ثلاث كبرى هى : الامبراطورية المصرية [التى ضمت المناطق الفلسطينية] والامبراطورية البابلية [التى خلفت سرجون فى بلاد ما بين النهرين] وامبراطورية الحيثيين [التى تمركزت فى النصف الشرقى من تركيا] .

ومما لا شك فيه أن الامبراطورية المصرية كانت الامبراطورية الأكثر رسوخاً والأكثر قدرة على البقاء من جميع هذه الامبراطوريات . فقد بدت مصر وكأنها وجدت لتبقى إلى الأبد ، وهو أمر لم تستطع بلوغه أية امبراطورية أو مملكة أخرى .

وقد وضع قدماء المصريين حدود بلادهم من ناحية الجنوب ، عند النقطة التى لا يصبح فيها النيل صالحاً للملاحة ، حيث تعترض مجراه صخور متناثرة صلبة يصعب اجتيازها ملاحياً . وهى النقطة المعروفة باسم الجندل الأول بمنطقة أسوان .

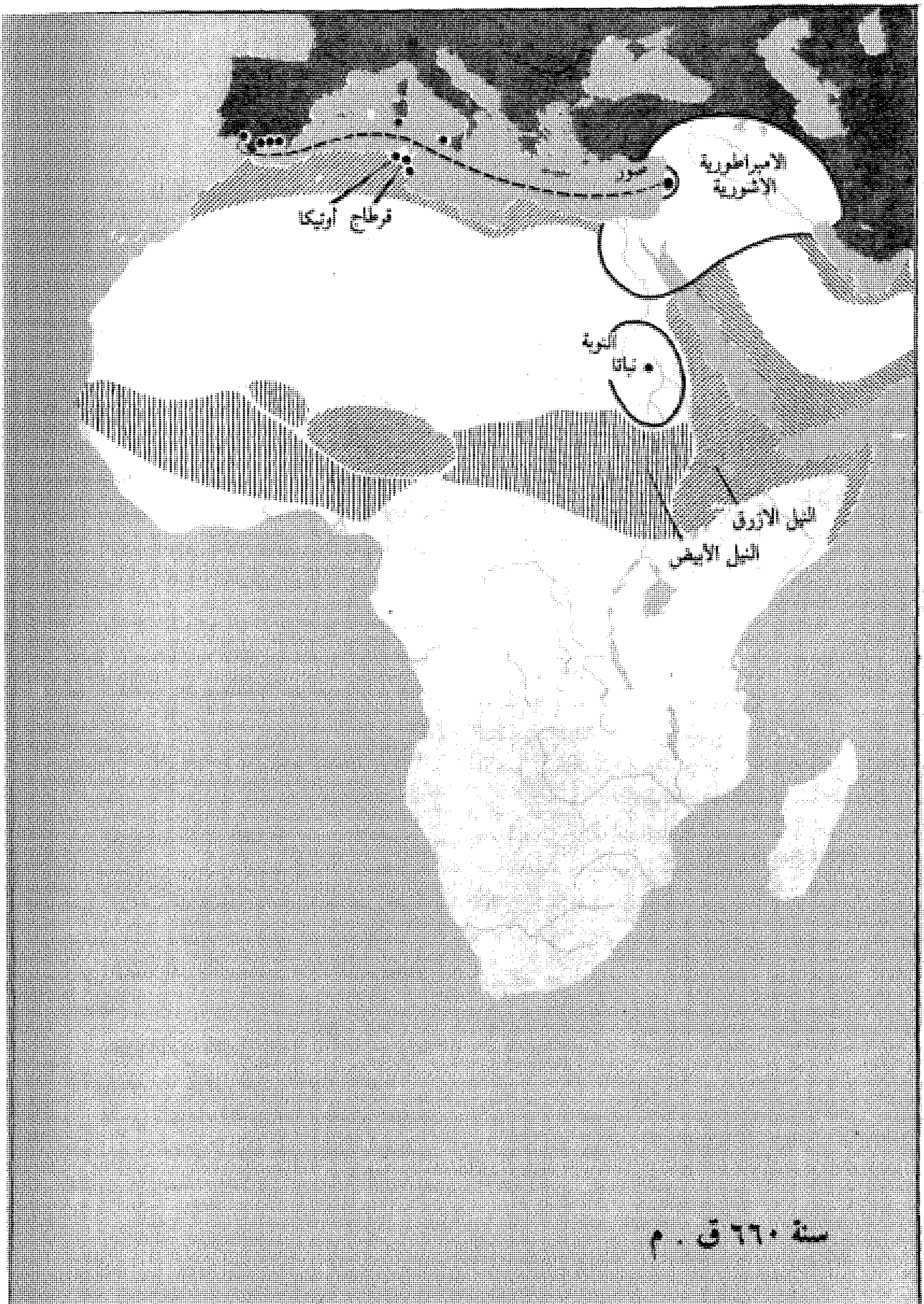
وابتداء من الجندل الأول ، تمتد جنوباً المنطقة المعروفة بأرض كوش Cush [النوبة] . وفى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق . م ، قامت القوات المصرية باحتلال النوبة حتى منطقة الجندل الثانى . وفى سنة ١٥٠٠ ق . م امتد الاحتلال المصرى لبلاد النوبة حتى منطقة الجندل الرابع . وهى المنطقة التى تعتبر العتبة المؤدية إلى عالم جنوب الصحراء الكبرى .

فى تلك المنطقة توقف المصريون القدماء عن التقدم نحو الجنوب ، لأن هذه المناطق الجنوبية كانت فقيرة للغاية ، بل وأفقر من أن تستحق تكاليف الاستمرار فى اقتحامها ، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات بينها وبين مصر .

أما القبائل التى كانت تعيش جنوب الحدود المصرية مباشرة ، فقد كانت من الشعوب النيلية الصحراوية التى تستوطن منطقة واسعة تمتد غرباً عبر « الساحل » العشبى حتى بحيرة تشاد .

وفى المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد حتى وسط نهر النيجر ، كانت تعيش الشعوب التشادية Chadic . وهى قبائل كانت تنتمى فى الأصل إلى الكوشيين ، ولكنها كانت قد انفصلت عن أصولها منذ زمن طويل ، واكتسبت سمات مستقلة من خلال انتمائها إلى المجموعات الناطقة باللغات الحامية Hamitic Language Group .

أما الزنوج الذين كانوا يعيشون بالمناطق الواقعة جنوب غرب المناطق التى تعيش فيها الشعوب التشادية ، فقد دخلوا بدورهم إلى نطاق التأثر بالثورة التى أحدثها العصر الحجرى الحديث . فإلى جانب حرفة الرعى تعلموا حرفة الزراعة ، وأصبحوا ينتجون محاصيل زراعية أهمها حبوب السرغوم Sorghum المعروفة بالذرة السكرية .


الامبراطورية
الآشورية
صور
قرطاج
أوتيكا
النوبة
نباتا
النيل الأزرق
النيل الأبيض
سنة ٦٦٠ ق . م

سنة ٦٦٠ قبل الميلاد

فقد المصريون سيطرتهم على بلاد النوبة حوالى سنة ١٠٠٠ق . م . وليست لدينا أية سجلات تاريخية تدلنا عما حدث بتلك البلاد فى خلال القرنين التاليين .

وفى مطلع القرن الثامن قبل الميلاد ، ظهرت النوبة من جديد على خريطة العالم باعتبارها دولة مستقلة ، على رأسها ملوك أقوياء استطاعوا ان يحتلوا الوجه القبلى [المصرى] فى عهد بعض الفراعنة الضعاف من الاسرة الرابعة والعشرين .

وفى نفس الوقت امتدت حدود المملكة النوبية جنوباً حتى وصلت إلى ما بعد التقاء النيلين [الأزرق والأبيض] . وقد بلغت هذه المملكة أقصى اتساع لها ، فى عهد الملك بعنخى [٧٥١ - ٧١٦ ق . م] الذى استطاع ان يخضع الوجه البحرى [المصرى] أيضا ويكون بذلك أول فراعنة الاسرة الخامسة والعشرين .

ولكن هذه الاسرة لم تستمر فى حكم مصر طويلا ، فقد ارتكب أحد أبناء الملك بعنخى وهو الملك طهرقا [٦٨٨ - ٦٦٣ ق . م] حماقة اغضاب الاشوريين الذين كانوا يعتبرون فى ذلك الوقت سادة معظم انحاء الشرق الأدنى . فأرسل الاشوريون جيشا إلى مصر اكتسح النوبيين وطردهم من مصر بسهولة . ومنذ ذلك الوقت لزم النوبيون حدود بلادهم الأصلية ، ولم يظهروا مرة اخرى شمال الجندل الثانى .

وقد سيطر الأشوريون تماماً على معظم دول ودويلات الشرق الأدنى ما عدا مدينة « صور » الفينيقية . فقد كانت مدينة تجارية تتمتع بموقع حصين عبارة عن جزيرة صغيرة قرب الشاطىء اللبنانى ، كما كانت تمتلك أقوى اسطول فى منطقة البحر المتوسط . ولذلك فقد عجزت جيوش الاشوريين عن اقتحامها .

أما القوة الاقتصادية التى ساندت الفينيقيين فى صور ، فترجع إلى اكتشافهم أسرار مناجم الفضة فى اسبانيا . الأمر الذى أدى إلى قيامهم بتأمين وحماية الطريق البحرى الذى يربط بين مدينتهم وبين السواحل الاسبانية ، فأنشأوا مجموعة من التحصينات فى شكل مستعمرات فى منطقة الممر البحرى المنحصر بين سواحل تونس وسواحل جزيرة صقلية ، وذلك لضمان الدفاع عن هذا الطريق البحرى ضد أية دولة تفكر فى المنافسة أو فى استخدام هذا الطريق .

وفى الزمن محل بحث هذه الخريطة ، أصبحت بعض المستعمرات التى انشأها الفينيقيون بسواحل تونس ــ خصوصاً فى قرطاج وأوتيكا ــ مدنا غنية وقوية ، بل ونافست فى قوتها وغناها مدينة صور نفسها .

وتظهر أهمية هاتين المدينتين فى التاريخ الافريقى فى أنهما أدخلتا الحضارة إلى مناطق شمال افريقيا . فعن طريقهما عرفت تلك المناطق حرف الزراعة والتعدين وفنون الكتابة ، كما استطاع القرطاجيون اخيراً الاستقلال عن صور ، وانشأوا لأنفسهم امبراطورية مستقلة فى شمال افريقيا .

هذا وتعتبر المهارات التعدينية أبسط المقاييس لتحديد مدى التقدم التكنولوجى فى

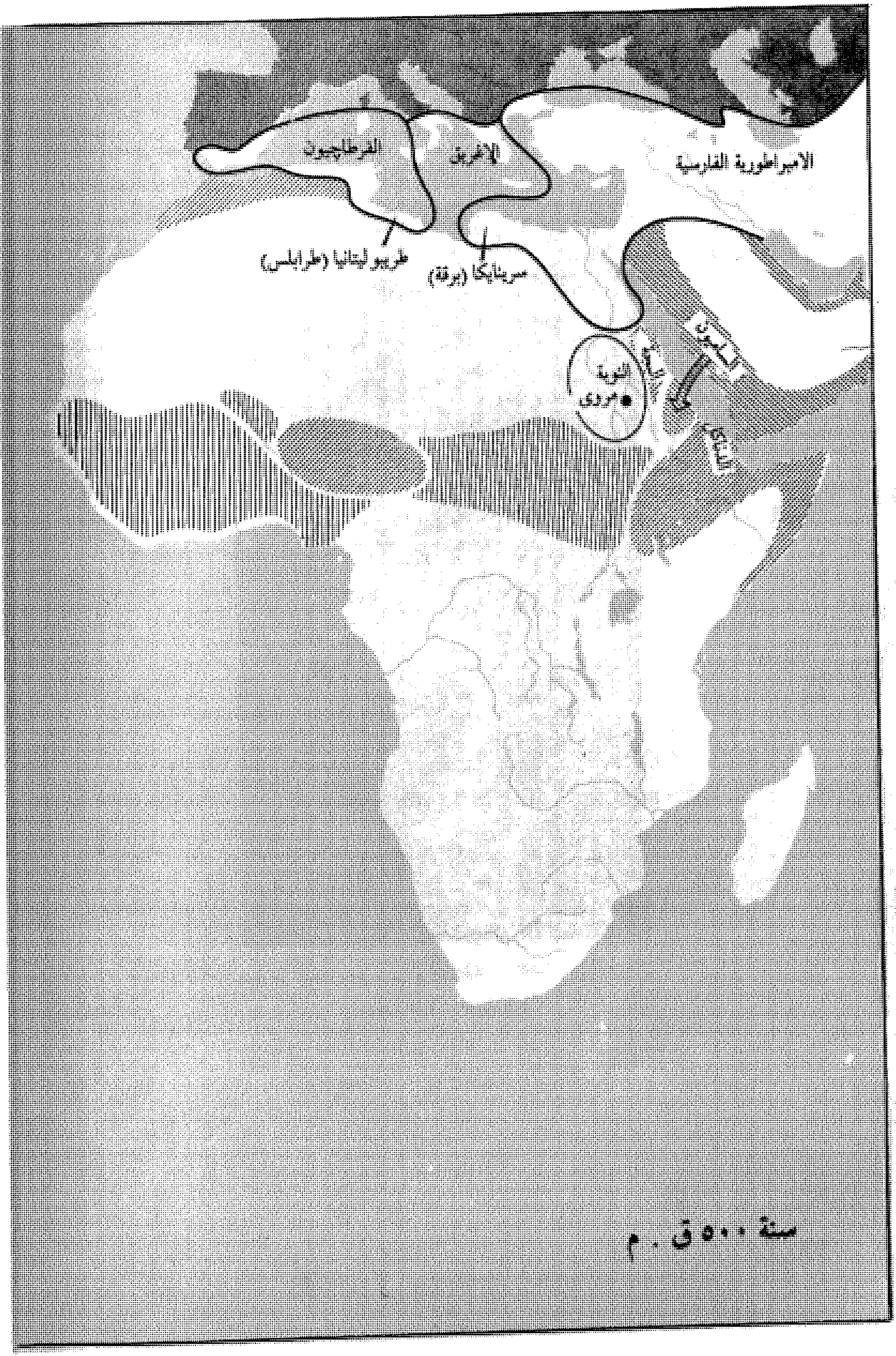
المجتمعـات الانسانيـة ، الأمر الـذى دعا علماء الآثار إلى تقسيم الأزمنة والعصور الحضارية على أسـاس علاقـة المجتمعات الانسـانية بـالمعـادن المختلفة ، وعلى ذلك فقد قالوا بـوجود العصـر الحجرى ، ثم عصر البرونز ، ثم عصر الحديد ، وذلك طبقا للتعاقب الزمنى .

ولا يلعب عصـر البرونـز دوراً ذا أهمية فى افريقيا سوى فى مصر التى عـرفت هذا العصـر ودخلت إليه فى سنه ٣٠٠٠ ق . م . وبلاد النوبة التى دخلته فى سنة ١٥٠٠ ق . م . أما بقية انحاء القارة فلم تزل تعيش فى العصر الحجرى إلى أن أدخلت الدولة الآشورية الحديد إلى آفريقيا .

وهذه الخريطة توضح لنا انتهاء عصر البرونز المحـدود ، وبـداية دخـول القــارة إلى عصـر الحديد ، كما تبين لنا أهمية التغيرات التى حدثت بمناطق القارة التى كانت مازالت تعيش فى العصر الحجـرى . ففى مرتفعـات الحبشـة وفى منـاطق غرب القارة عاشت المجتمعات الانسانية المنتجة للطعام جنباً إلى جنب مع المجتمعات الانسانية الجـامعة للطعـام . وبدأت هـاتـان المنـطقتـان بالتالى ، تدخلان مرحلة النمو السكـانى المرتبط بهذا التحول الحضارى .



تمثال من النحاس يمثل رأس أم أحد ملوك بنين القدماء . من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .



القرطاجيون
الإغريق
الامبراطورية الفارسية
طريبوليتانيا (طرابلس)
سيريناييكا (برقة)
النوبة
مروى
سنة ٥٠٠ ق . م

سنة ٥٠٠ قبل الميلاد

دالت امبراطورية الأشوريين وحلت محلها مبراطورية أخرى اكبر وأوسع نطاقا ، هى لامبراطورية الفارسية التى ضمت جميع مناطق لشرق الأدنى ، وامتد نطاقها عبر مساحة شاسعة تبدأ من حدود أوربا حتى الهند .

أما الجزء الافريقى من تلك الامبراطورية ، فقد انضم إليها فى سنة ٥٢٥ ق . م حين قام الملك نصف المجنون قمبيز بالاستيلاء على مصر وعلى سيرينايكا Cyrenaica [برقه] . وقد عزم قمبيز على فتح وضم بلاد النوبة ، ولكن حملته فشلت فشلا ذريعاً ، ومع ذلك فقد أدت هذه الحملة إلى انتقال عاصمة النوبيين من « نباتا » Napata إلى « مروى » Meroe . أما الحدود الفاصلة ما بين مصر والنوبة فقد ظلت كما هى عند منطقة الجندل الثانى .

وينسب اسم سيرينايكا [برقه] إلى اسم سيرين أو قورينه ، وهى مدينة اغريقية أنشأها الاغريق حوالى سنة ٦٢٥ ق . م . وبالرغم من سيادة الفرس على تلك المنطقة الافريقية ، إلا أن ذلك لم يمنع الاغريق من انشاء المزيد من المدن فى تلك المنطقة . وفى القرن الثامن قبل الميلاد ، وصل عدد المدن الاغريقية فى تلك المنطقة إلى خمس مدن . وكان هذا هو السبب فى اطلاق الاسم الكلاسيكى على تلك المنطقة ، وهو « بنتابوليس » [المدن الليبية الخمس Libyan Pentapolis] .

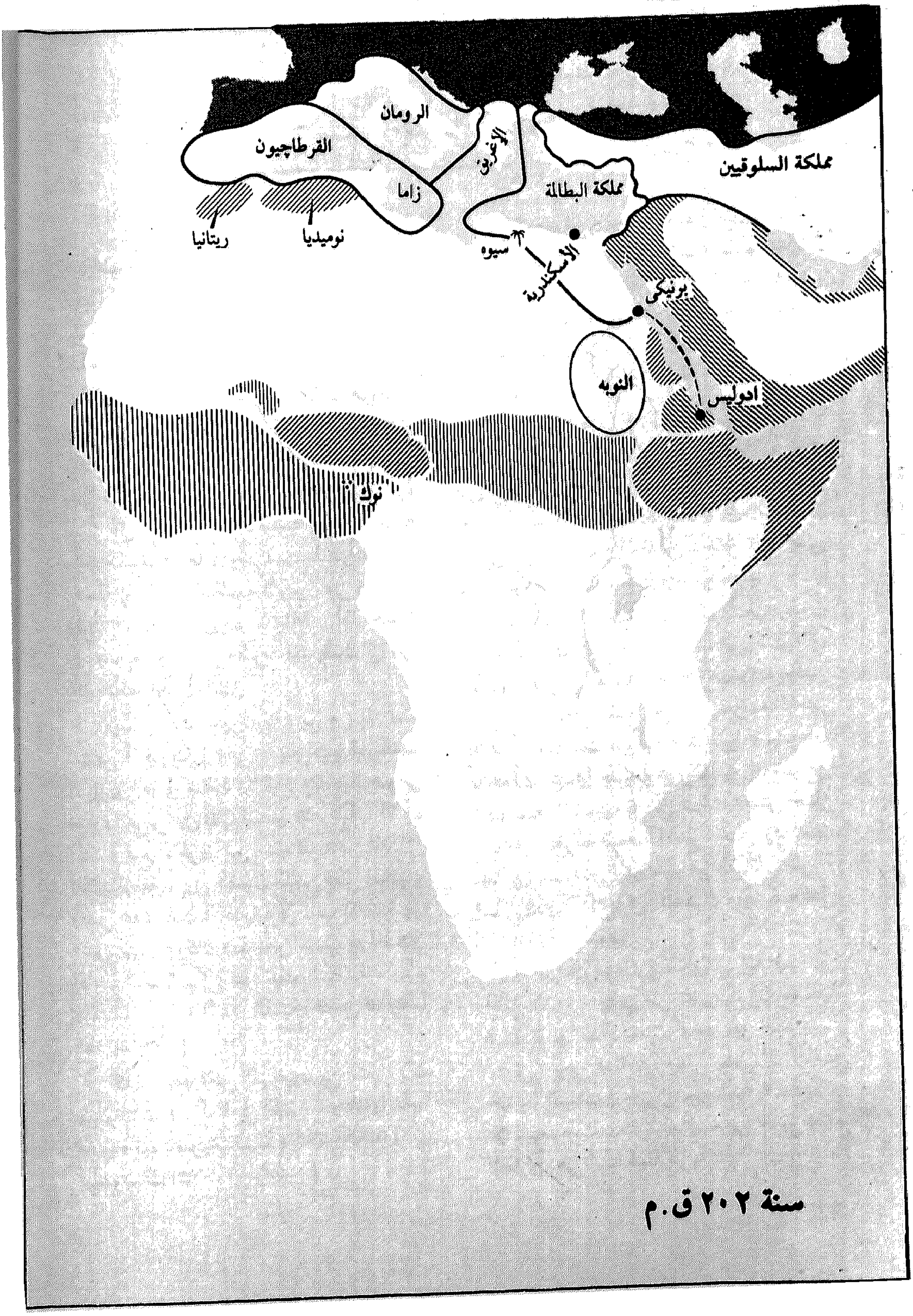
كذلك فقد تمكن الفينيقيون من انشاء ثلاث مستوطنات على الساحل الليبى ، وأطلقوا عليها اسم « تريبوليتانيا » Tripolitania أى المستوطنات الثلاث [طرابلس] .

ولم يستطع المستعمرون الفرس أو الفينيقيون ، ولا سكان المدن والمستوطنات التى انشأوها على سواحل شمال افريقيا ، أن يتغلغوا إلى داخل القارة ، أو يقيموا أية علاقة مع المجتمعات الانسانية البدائية التى تقيم بالداخل .

ولهذا فقد ظل الطابع الذى يميز مناطق شمال افريقيا [غربى مصر] هو الانفصال التام بين الحضريين الذين يمارسون الزراعة ويعيشون فى مدن الشاطىء ومستوطناته ، وبين البدائيين الذين يعيشون على الفطرة فى داخل الأراضى الافريقية جنوبى تلك المدن والمستوطنات .

ولم يكن القرطاجيون هم الساميين الوحيدين الذين استعمروا بعض مناطق افريقيا ، فقرابة زمن هذه الخريطة هاجرت بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة وعبرت البحر الأحمر واستوطنت منطقة إريتريا ، وسرعان ما جعلت لنفسها السيادة على الشعوب والقبائل الكوشية [النوبية] التى كانت تعيش على السواحل الغربية للبحر الأحمر . بل وفصلت تماماً بين مجموعتين أساسيتين من القبائل النوبية هما : البجة Beja فى الشمال والدناكل Danakil فى الجنوب .

ثم سرعان ما تغلغلت القبائل العربية إلى داخل القارة . وليس من الغريب أن هضبة الحبشة نفسها قد استمدت اسمها من اسم قبيلة « حبش » وهى قبيلة عربية . بل ان اللغة الحبشية السائدة والتى تسمى لغة « الجيز » Geez قد استمدت تسميتها من اسم قبيلة الأجازى وهى أيضا قبيلة عربية .


الرومان
القرطاچيون
زاما
ريتانيا
نوميديا
الإغريق
مملكة البطالمة
مملكة السلوقيين
سيوه
الإسكندرية
برنيكى
النوبه
ادوليس
نوك
سنة ٢٠٢ ق.م

سنة ٢٠٢ قبل الميلاد

فى الفترة ما بين سنة ٣٣٤ ق . م وسنة ٣٢ ق . م ، قام ملك مقدونيا الاسكندر أكبر بالاستيلاء على امبراطورية الفرس . وقد ستسلمت الحامية الفارسية التى كانت تحتل مصر يوش الاسكندر دون مقاومة .

وقد أقام الاسكندر الأكبر فترة قصيرة بمصر شتاء ٣٣٢/٣٣١ ق . م] ولكنها كانت كافية ختيار موقع عاصمة جديدة هى مدينة لاسكندرية ، وذلك فى موقع فريد قرب مصب فرع الكانوبى Canopic لنهر النيل ، كما اجتاز لاسكندر أيضا الصحراء الليبية لزيارة قدس لاقداس بمعبد الإله زيوس ــ آمون المقام بواحة سيوه . حيث اخبره الإله بأنه يباركه كابن له ، هو أمر صادف هوىً كبيراً فى نفس الاسكندر لذى نفذ وصية الإله على خير وجه .

وبعد موت الاسكندر فى سنة ٣٢٣ ق . م تقسيم امبراطوريته بين كبار قادة جيوشه ، صبحت مصر من نصيب أحد هؤلاء القادة « بطلميوس » Ptolemy الذى اسس المملكة لبطلمية فى مصر . كما أن معظم امبراطورية لاسكندر قد أصبحت من نصيب قائد آخر هو « سلوكس » Seleucus الذى أسس مملكة السلوقيين .

وقد استمرت هاتان المملكتان فى الحكم فترة طويلة دخلتا فيها معارك وصراعات عديدة وإن كانت غير حاسمة ، من أجل ان تسيطر إحداهما على فلسطين .

وإلى جانب هذا الصراع المرير فى شرق البحر المتوسط ، كان هناك صراع مرير آخر فى غرب البحر المتوسط ، نشب بين روما وقرطاج من أجل محاولة السيطرة والهيمنة على العالم الكلاسيكى القديم .

وفى سنة ٢٠٢ ق . م ، انتهى هذا الصراع فى موقعة زاما Zama بتونس ، حيث استطاع فيلقان من جيوش الرّومان بمساعدة فرسان نوميديا[1] Numidia القضاء على جيش القرطاجيين بالرغم من أن هذا الجيش الأخير كان يستخدم فى المعركة ثمانين فيلاً مدرباً على خوض الحروب .

وكان الهنود هم أول من استخدم الأفيال فى المعارك الحربية . وقد واجه الاسكندر هذه الافيال الحربية لأول مرة عند غزوه للبنجاب . ولكن يبدو أن الاسكندر لم يكن مقتنعاً بفاعلية هذه الأفيال وكيفية اداثها فى المعارك الحربية ، فلم يهتم باستخدامها ، ذلك على عكس الحال بالنسبة لسلوكس الذى جلب نحو خمسمائة فيل آسيوى من افغانستان . أما البطالمة فقد ردوا على ذلك باستخدام الفيلة الافريقية التى استجلبوها

(١) نوميديا : اقليم فى شمال غرب افريقيا [مكان الجزائر تقريبا] كانت فى البداية جزءاً من امبراطورية القرطاجنيين ، إلى أن انضمت لمساندة الرومان فى الحرب البونية الثانية فى سنة ٢٠٦ ق . م ، ومنحت حق الاستقلال فى سنة ٢٠١ ق . م . ثم ناصرت المملكة القائد الرومانى بومبى ضد قيصر سنة ٤٧/٤٦ ق . م . وبعد انتصار قيصر عزلت الاسرة المالكة لنوميديا واعتبرت ولاية رومانية باسم افريقيا الجديدة . ثم غزاها الفاندال فى القرن الخامس الميلادى ، وغزاها العرب فى القرن الثامن الميلادى . [المترجم] .

من بلاد النوبة ومن المناطق الواقعة بين ميناثى برنيكى وأدوليس [عدولى][1] بالبحر الأحمر [منطقة اريتريا] . وكانت هذه الأفيال الافريقية صغيرة الحجم وأسهل استئناساً وتدريباً بالمقارنة بالأفيال الضخمة الأخرى فى المناطق الأكثر تطرفا نحو الجنوب .

أما الافيال التى استخدمها القرطاچيون فى معاركهم فكانت أفيالاً محلية المنشأ كانت موجودة ببعض مناطق شمال افريقيا ، ولكنها انقرضت تماماً نتيجة لكثافة صيدها فى العصر الرومانى .

ويعتبر القائد القرطاچى هانيبال أشهر القادة العسكريين الذين استخدموا الأفيال فى المعارك الحربية . ويذكر التاريخ انه اصطحب معه خلال محاولته غزو ايطاليا بمجموعة كبيرة من الأفيال ليستعين بها فى معارك الحرب الثانية بين روما وقرطاچ [سنة ٢١٨ ق . م] . ولكنه فقد الكثير من تلك الأفيال اثناء اجتيازه جبال الألب ، كما أن الأفيال المتبقية لم تساعده كثيراً فى معاركه هناك . وبعد عودة هانيبال إلى افريقيا ، جمع عدداً آخر من الأفيال وضمها إلى جيوشه . ومع ذلك فقد هزم هزيمة منكرة لأول مرة فى تاريخه العسكرى الطويل ، وذلك فى موقعة « زاما » .

ولم يقم الرومان بضم قرطاچ بعد تلك الهزيمة ، ولكنهم وسعوا رقعة مملكة البربر الجديدة فى نوميديا على حساب القرطاچيين .

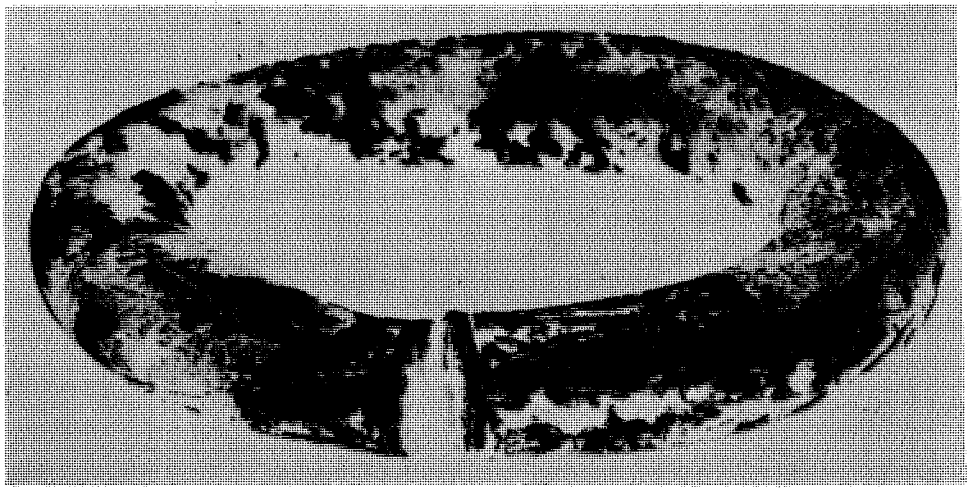
وفى تلك الفترة ظهرت مملكة اخرى للبربر ، وهى مملكة موريتانيا التى كان يقع مركزها فى مملكة المغرب الحالية .

أما فى المناطق الافريقية جنوب الصحراء الكبرى ، فلم تقع تطورات ذات أهمية ، سوى ظهور بعض المجتمعات الانسانية التى تحترف صناعة تعدين الحديد [حضارة قبائل النوك Nok بأواسط نيچيريا] . وقد عرفت هذه القبائل أسرار تلك الصناعة بعد أن انتقلت إليها من مصر عن طريق بلاد النوبة وعبر الساحل العشبى . وهذا هو الرأى الراجح ، لاستحالة انتقال هذه الصناعة إلى قبائل النوك من مناطق شمال افريقيا لعدم وجود وسائل اختراق الصحراء فى ذلك الزمن . وكذلك لاستحالة احتمال أن تكون هذه الصناعة قد نشأت محلياً فى تلك المنطقة .

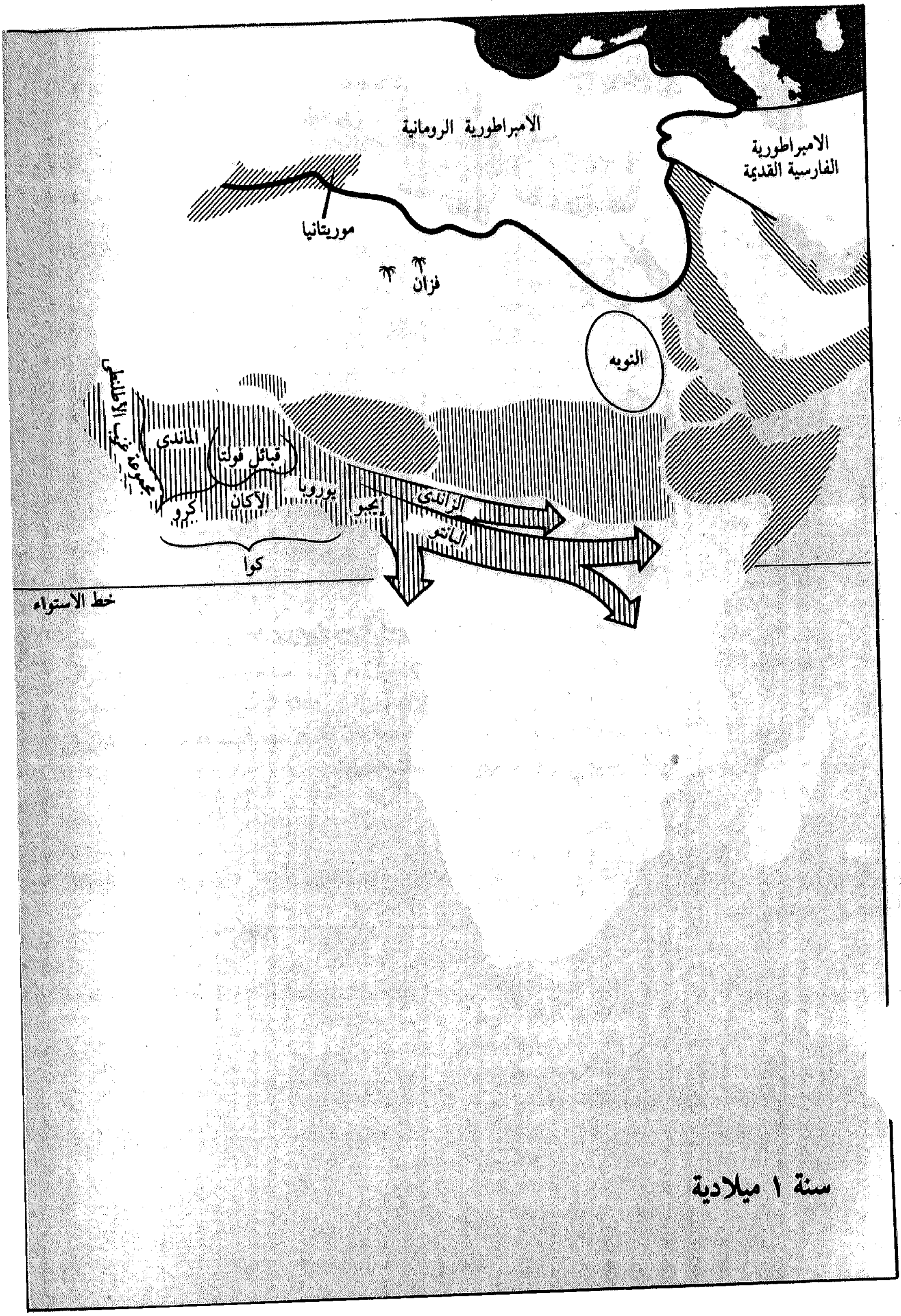
---

(١) أدوليس : وتسمى الآن « عدال » أو « عدولى » وهى ميناء قديم على الساحل الغربى جنوب البحر الأحمر قرب مصوع . وتعتبر بداية لطريق القوافل الرئيسى الذى يخترق قلب افريقيا . وقد استخدم البطالمة هذا الميناء لصيد واستجلاب الفيلة الأفريقية . وظل ميناء تجاريا على درجة كبيرة فى الأهمية لأفريقيا لفترة طويلة .

[المترجم]



سوار من البرونز يرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر. من معروضات متحف
بنين القومى .



سنة ١ ميلادية

سنة « ١ » ميلادية

نشبت الحرب الثالثة والأخيرة بين روما وقرطاج فى الفترة ما بين سنة ١٤٩ ق . م وسنة ١٤٦ ق . م . وانتهت بانتصار الرومان الذين خربوا المدينة وضموا أراضيها ، مما اعطاهم اقليما تعادل مساحته نصف مساحة تونس الحالية .

وعلى مدى القرنين التاليين استولى الرومان على كل الشمال الافريقى : استولوا على سيرينايكا [برقة] سنة ٧٤ ق . م ، وعلى نوميديا فى قضمتين سنة ٤٦ ق . م وسنة ٢٥ ق . م ، وعلى مصر فى قضمة واحدة سنة ٣٠ ق . م .

أما مملكة موريتانيا فقد ظلت مستقلة ، ولكن لا الملك جوبا الثانى الذى كان يحكم موريتانيا فى زمن هذه الخريطة ، ولا الامبراطور الرومانى اغسطس الذى أجلس هذا الملك على عرش بلاده ، كانا يعتبران استقلال موريتانيا استقلالاً تاماً من كافة الوجوه ، فلم تكن موريتانيا بالفعل سوى ولاية رومانية تتمتع باستقلال محدود ، ولم يكن ملكها سوى قائمقام القنصل .

وقد اهتم أغسطس بجعل حدود الامبراطورية الرومانية حدوداً طبيعية ، ففى أوربا اختار نهرى الراين والدانوب ، وفى آسيا امتدت حدود الامبراطورية إلى نهر الفرات ، وفى أفريقيا امتدت الحدود إلى حواف الصحراء .

وربما وضع اغسطس احتمالات توسيع حدود الامبراطورية لتشمل مناطق أخرى وراء هذه الحدود . ولكن فى افريقيا اتضح انه ليس هناك احتمال لأى توسع فى المستقبل ، فقد أرسلت حملتان تأديبيتان إحداهما إلى واحات فزان والأخرى إلى نباتا فى بلاد النوبة . وأوضحت الحملتان أنه لا جدوى من التوسع جنوباً فى المناطق الافريقية حيث لا يوجد إلا أعداد قليلة من الناس الفقراء ، ومناطق شاسعة مجدبة لا نفع ولا كسب وراءها ، بالاضافة إلى صعوبة المواصلات بينها وبين روما .

ومما يدل على صحة نظرة اغسطس إلى حدود الامبراطورية الرومانية ، أن هذه الحدود قد ظلت قائمة — مع تعديلات بسيطة — على مدى ٤٠٠ سنة تالية .

وبالرغم من وضوح الأهمية التاريخية لانشاء الحكم الرومانى فى مناطق شمال افريقيا ، إلا أن هذه الأهمية تتضاءل أمام حدث يعتبر أهم الأحداث فى تاريخ القارة الأفريقية ، وهو تدفق هجرات قبائل الزنوج من غرب القارة إلى وسطها . وقد تدفقت هذه الهجرات فى تيارين متوازيين هما هجرات قبائل الزاندى Zande وهجرات قبائل البانتو Bantu .

وقد بدأت هذه الهجرات من منطقة جبال الكاميرون التى تعتبر الحدود الشرقية الأصلية للقبائل الزنجية ، واخترقت حوض نهر زائير متجهة إلى منابع النيل الأبيض .

وهكذا بينما كان الامبراطور الرومانى أغسطس يضع اللمسات الأخيرة لحدود الامبراطورية الرومانية ، كانت قبائل الزاندى وقبائل البانتو تفتح افريقيا الاستوائية . وبينما كانت مصالح الرومان تتلاشى فى الأراضى الصحراوية المجدبة ، استطاعت قبائل البانتو أن

تصل إلى الأراضى الخصبة بمناطق الأخدود الغربى والأقاليم المحيطة ببحيرة ڤيكتوريا . وهناك استطاعت هذه القبائل أن تستقر وتتكاثر وتزداد قوة ، استعداداً للمزيد من التوسع فى هجرات تالية .

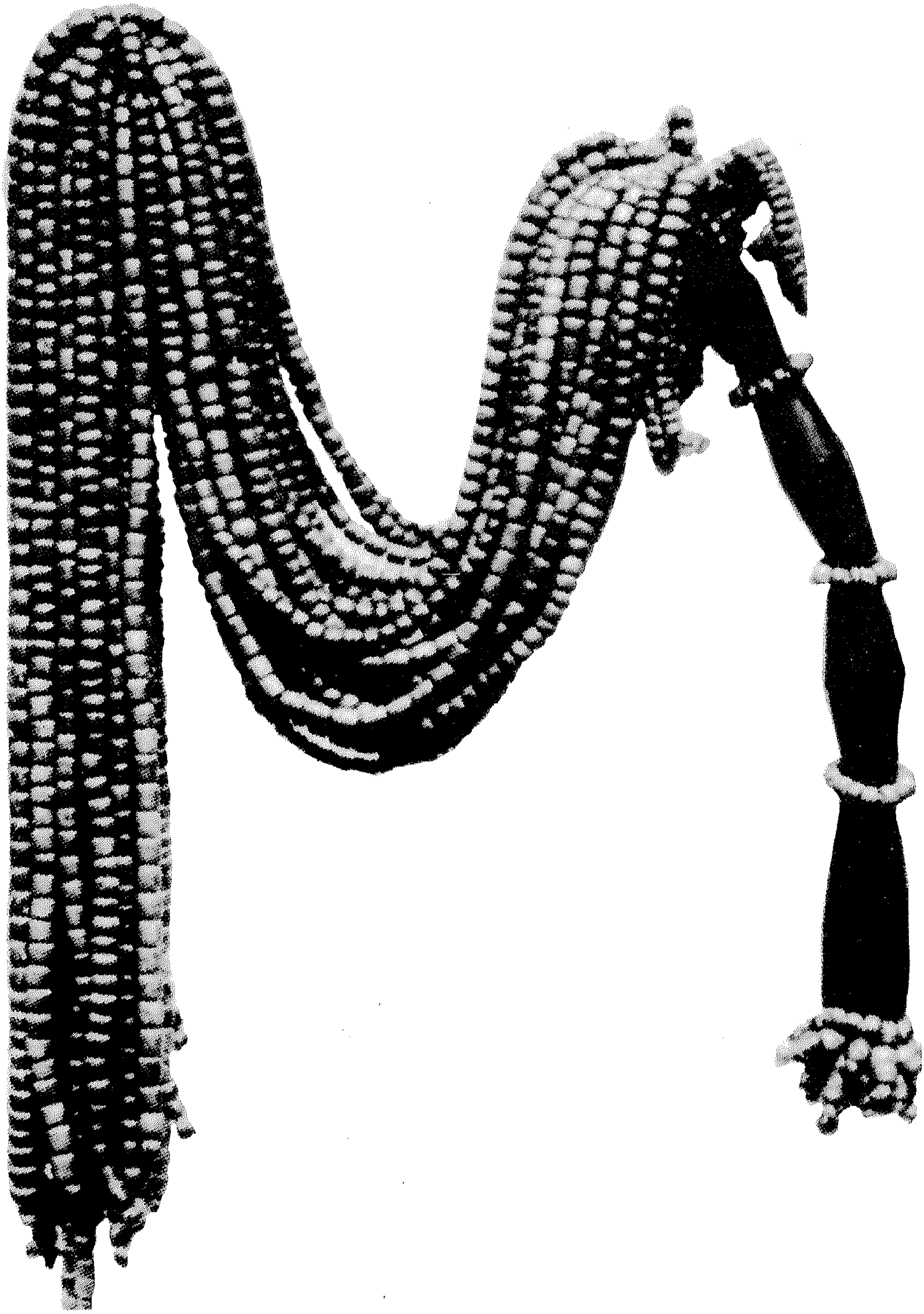
أما اللغات التى كانت تتكلمها القابل والشعوب الزنجية فى زمن هذه الخريطة ، فتنتمى كلها إلى عائلة لغوية واحدة هى عائلة « النيجر/الكونغو » . وتنقسم هذه العائلة اللغوية إلى ستة أقسام : قسمان منها وهما الزاندى والبانتو كانا نتيجة للهجرات التى تمت خلال عصر الحديد . أما الأقسام الأربعة الأخرى وهى : « مجموعة غرب الاطلنطى » ، والكوا Kwa والماندية Mande والڤولتية Voltaic ، فقد ظلت قاصرة على غرب أفريقيا فى زمن هذه الخريطة ، بحيث يمكن القول بأن كل قسم منها ظل سائداً بنفس المنطقة التى ظهر فيها من مناطق غرب افريقيا .

وكما يظهر على الخريطة فإن الساحل الافريقى الغربى كان مأهولاً بقبائل تتكلم لغات ولهجات تنتمى إلى عائلة غرب الاطلنطى اللغوية [واشهرها الآن لغه الولوف Wolof ولغة الفولانى Fulani] .

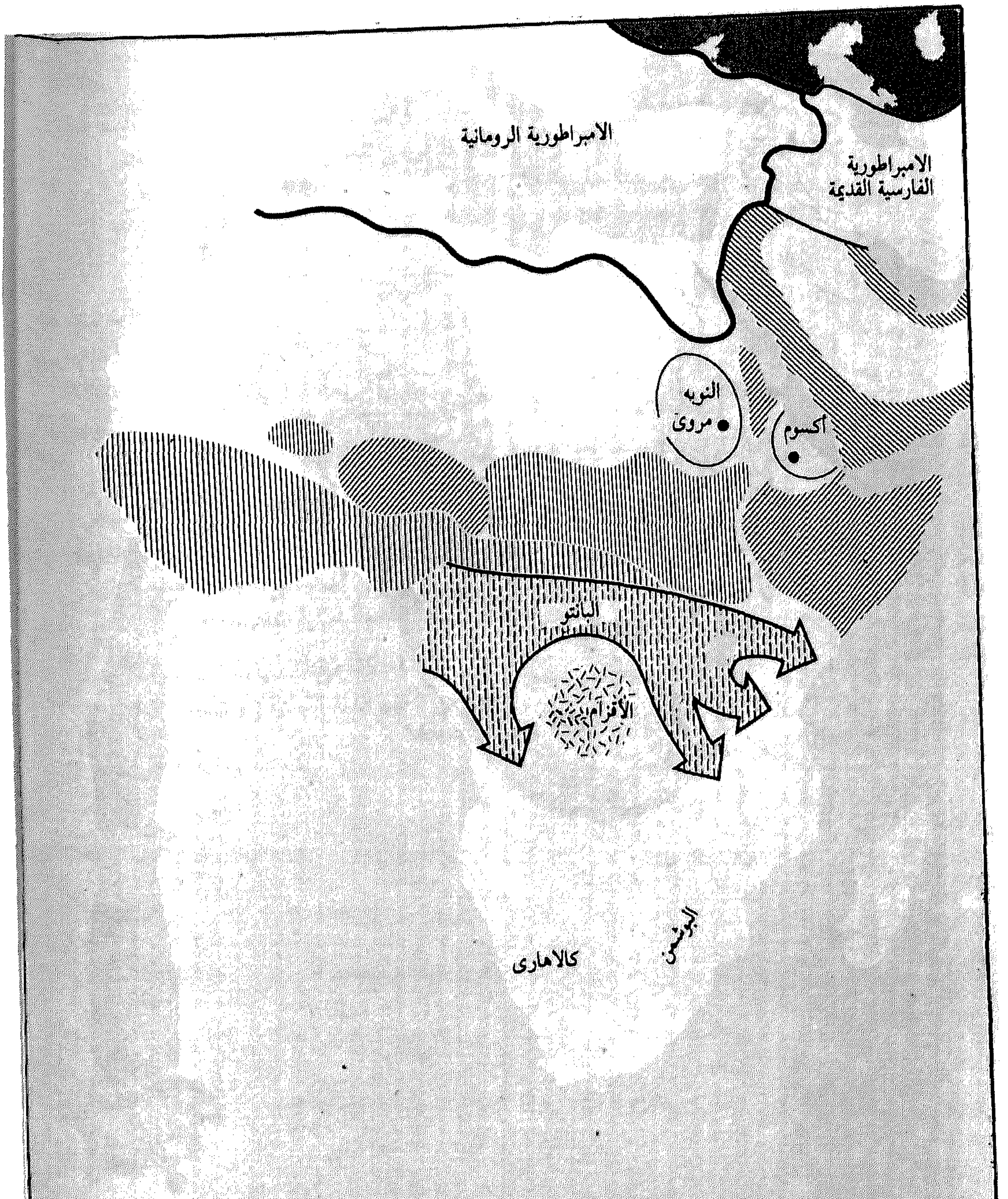
أما الساحل الجنوبى فقد كان مأهولاً بالقبائل التى تتكلم لغات تنتمى إلى عائلة الكوا Kwa [واشهرها لغات الكروKru والأكان Akan واللغات السائدة فى مناطق جنوب نيچيريا وهى لغة اليوروبا Yoruba ولغة الإيجبو Igbo .

أما مناطق أعالى السنغال وأعالى النيجر ، فقد كانت مأهولة بالقبائل المتكلمة بلغة الماندى [وهى قبائل المالينكى Malinke والسونينكى Soninke والبامبارا Bambara .

أما منطقة ڤولتا العليا فكانت مأهولة بالقبائل التى تتكلم اللغة الڤولتية [واشهرها قبائل موسى Mossi] .



عقد مصنوع من خرز المرجان . خاص بأحد ملوك بنين القدماء . من معروضات المتحف البريطانى بلندن .


الامبراطورية الرومانية
الامبراطورية
الفارسية القديمة
النوبه
مروى
أكسوم
البانتو
الأقزام
البوشمن
كالاهارى

سنة ٢٠٠م

سنة ٢٠٠ ميلادية

تبين هذه الخريطة كيف استغلت قبائل البانتو فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد ، الوضع الجيد الذى خلقوه لأنفسهم خلال القرنين السابقين على الميلاد . ففى البداية تدفقت هجراتهم من المناطق التى استوطنوا فيها حول بحيرة ڤيكتوريا وزحفوا إلى السواحل الافريقية المطلة على المحيط الهندى . وهذا يعنى أنهم ضمنوا أنّ جميع المناطق التى تقع جنوبا ، ستصبح يوماً تحت سيطرتهم .

ومن المفترض كذلك أنهم احتلوا هذه المناطق زاحفين مع نهر زائير . وفى نفس الوقت واصلوا زحفهم نحو السواحل الشرقية عن طريق الأخدود الغربى .

وبينما كانت قبائل البانتو تواصل زحفها ، كانت قبائل الأقزام Pygmies وقبائل البوشمن Bushmen تتقهقر أمام هذا الزحف ، فتقهقر الأقزام إلى أعماق غاباتهم الكثيفة . وتقهقر البوشمن نحو الجنوب . ولم تكن هناك فرصة أمام كل من الأقزام والبوشمن الذين كانوا قليلى العدد وبدائيين مازالوا يعيشون فى العصر الحجرى ويعتمدون على جمع الطعام ، لكى يقاوموا قبائل البانتو التى كانت أكثر منهم عدداً وأعلى حضارة . فقد كانوا يزرعون حبوب الذرة ، ويرعون قطعان الماشية ، ويستخدمون أسلحة مصنوعة من الحديد ولهم طبقات محاربة مما جعلهم أشبه بالفاتحين الاسبان Conquistadors الذين تغلغلوا إلى داخل العالم الجديد بعد اكتشاف الأمريكتين ، وكانوا أعلى مستوى من الناحية الحضارية من الأهالى المحليين .

ولكن الأهالى المحليين فى افريقيا كانوا أسعد حظاً من الأهالى المحليين فى الأمريكتين . فقد تعلم الأقزام كيف يتعايشون مع قبائل البانتو التى احاطت بهم من جميع النواحى ، وهم اليوم يتكلمون لغات البانتو .

أما قبائل البوشمن فقد طردت من معظم مواطنها ، ولكنها ظلت تحتفظ بصحراء كالاهارى ، كما ظلت محتفظة بصفاتها العرقية ، ولغاتها الشبيهة بالقرقعة Clicks .

وفى شمال افريقيا ، تقلصت دولة موريتانيا إلى ولاية اقليمية تابعة للرومان فى سنة ٤٢ م . وواصل الرومان توسيع امبراطوريتهم فى مناطق الشمال الافريقى .

ولم يتطلب احتلال الرومان لهذه المناطق الدخول فى معارك أو عمليات حربية بالمعنى المعروف ، فقد تولت القيام بالمهمة تجريدة عسكرية صغيرة ، تضم فيلقين أو ثلاثة ، من الفيالق الثلاثين التى كانت تتكون منها الجيوش الرومانية .

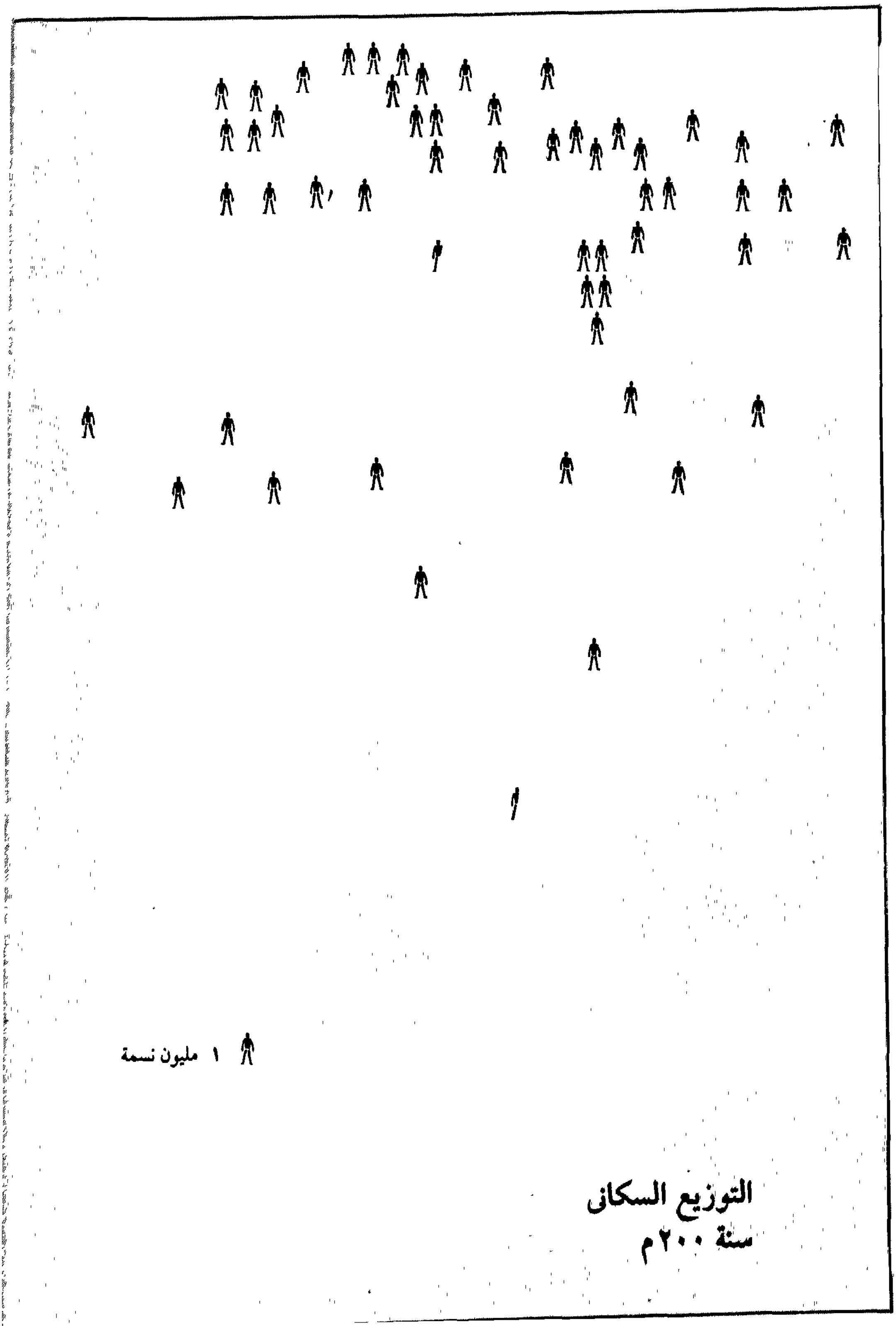
ومع ذلك فقد كانت تلك المناطق ذات أهمية حيوية من الناحية الاقتصادية للامبراطورية الرومانية . فقد كانت تمثل الأراضى الزراعية المخصصة لانتاج القمح الذى تعتمد عليه روما . ففى كل ربيع كانت الأساطيل الرومانية تخرج من مصر محملة بمحاصيل القمح الذى يكفى استهلاك روما لاثنى عشر شهراً تالية . وكانت صوامع المدينة تمتلىء عن آخرها بمخزون القمح المصرى . أما إذا حصل عجز أو تأخير فى توريد القمح المصرى ، فقد كانت روما تتطلع إلى

المناطق التى احتلتها بشمال افريقيا لتعويض هذا العجز فورا .

أمـا أهم الاحداث لمعـاصرة لتـاريخ هـذه الخريطة فى منطقة القرن الافريقى ، فهى ظهور دولـة أكسوم Axum التى تعتبـر سلفـا لـدولـة الحبشـة . وقد نشـأت هذه الـدولة عـلى الحـد الشمالى لمنطقة الهضبة ومرتفعاتها . وقد اعتبرت أكسوم مركزاً للاحتفالات والطقوس الدينيـة ، وانشئت بهـا العـديــد من المسـلات الشبيهـة بالمسلات المصرية . وفى مرحلة تالية من مراحل التطور ظهرت بهذه المنطقة دولة الحبشة ، وأصبح الاقليم الساحلى المسمى اريتريا مجرد اقليم متاخم قليل الأهمية .



لوحة من روائع فن بنين يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر وتمثل محاربين قدماء . من معروضات متحف ليبزيج للثقافات الشعبية بألمانيا الشرقية .



التوزيع السكانى
سنة ٢٠٠م

التوزيع السكانى سنة ٢٠٠ م

كان عدد سكان العالم كله فى العصر الحجرى القديم قليلاً للغاية ، إذ لم يكن يتعدى خمسة ملايين نسمة . وكان عدد سكان قارة افريقيا لا يتجاوز مليون نسمة من هذه الملايين الخمسة .

وفى سنة ٥٠٠ ق . م حين دخلت القارة حرفة الزراعة ، بدأ معدل النمو السكانى فى الصعود . وذلك بالرغم من أن حرفة الزراعة كانت قاصرة على مصر وحدها لفترة طويلة .

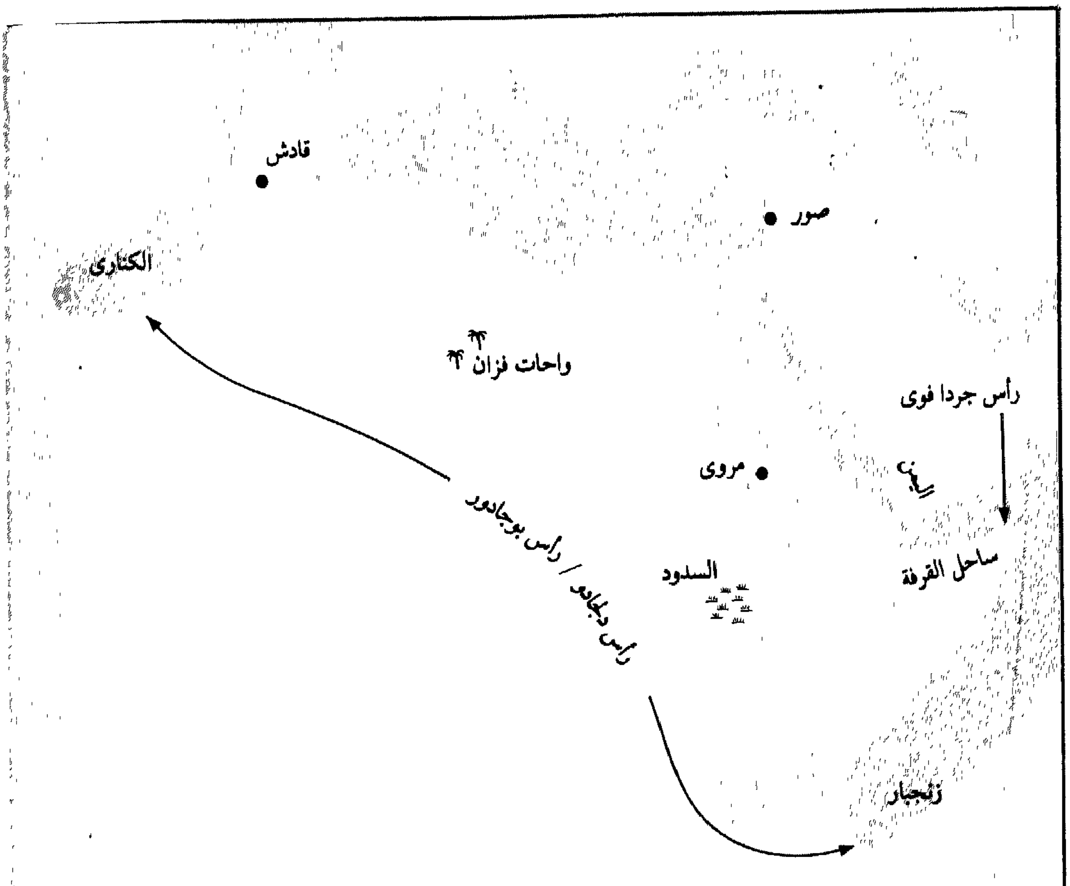
ولهذا السبب فإن معدل النمو السكانى فى قارة افريقيا كأن يبدو غير متوازن . فقد ارتفع عدد المصريين من نحو ١٠٠,٠٠٠ نسمة فى سنة ٥٠٠٠ق . م إلى نحو مليونى نسمة فى سنة ٢٠٠ ق . م . ومعنى ذلك أن عدد السكان قد تضاعف فى مصر عشرين مرة خلال تلك الفترة ، بينما لم يتضاعف عدد السكان فى بقية انحاء القارة كلها سوى مرة واحدة خلال نفس الفترة . ومعنى ذلك ان مصر وحدها كان يعيش فيها أكثر من نصف عدد السكان الذين يعيشون فى كل افريقيا .

وخلال الألف سنة الأولى قبل الميلاد ، وبسبب تعاقب دخول الفينيقيين والرومان إلى مناطق الشمال الافريقى ، دخلت هذه المناطق فى عالم البحر المتوسط ، وارتفع بالتالى معدل النمو السكانى فى منطقة المغرب إلى حد كبير ، حتى أصبح عدد السكان فى تلك المنطقة مساوياً لعدد السكان فى مصر . الأمر الذى أدى إلى تحقيق قدر من التوازن السكانى منذ ذلك الحين بين منطقتى شمال شرق افريقيا وشمال غربها . وفى هاتين المنطقتين كان يعيش نصف سكان القارة كلها فى ذلك الوقت .

ولكن هذه النسبة بين عدد سكان المناطق الافريقية شمال الصحراء الكبرى ، وعددهم جنوب الصحراء ، أخذت تتآكل بعد أن ظلت سارية لفترة طويلة ، فقد لحقتها التغييرات فيما تلى ذلك من عصور . وأصبحت افريقيا السوداء تعانى الآن من مشاكل الانفجار السكانى .

وقد بدأ معدل النمو السكانى الافريقى جنوب الصحراء يميل نحو الارتفاع بظهور المجتمعات الافريقية التى دخلت إلى عصر الحديد ، وذلك فى مناطق شمال السودان [النوبة] وبصفة خاصة فى مناطق غرب افريقيا حيث كانت تعيش قبائل البانتو التى أدى نموها وازدهارها وارتفاع تعدادها ، إلى دخول بقية مناطق القارة جنوبى الصحراء إلى حيز ارتفاع معدل النمو السكانى .

أما معدل تعداد الأقزام والبوشمن فقد ظل منخفضاً لا يتعدى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة لكل منهما . ويرجع السبب فى ذلك إلى أن هذه القبائل ظلت تعيش حياة العصر الحجرى الوسيط Mesolithic .



افريقيا فى نظر الجغرافيين القدماء سنة ٢٠٠م

افـريقيـا سنــة ٢٠٠ م
فى نـظر الجغرافيين القدماء

كل المعلومات التى كـانت معروفـة عن افـريقيـا فى العـالم القـديم ، كـانت نتيجـة للاكتشافات التى قام بهـا شعبان آسيويان هـما الفينيقيـون والعرب . ففى حـوالى سنة ٢٢٥٠ ق . م كانت سفن الفينيقيين تبحر باستمرار إلى السـواحـل المصـريـة وهى محملة بـالأخشـاب المستجلبـة من غابـات لبنـان . وكـان العـرب يحضرون إلى مصر وهم محملين بالبخور واللبان والمر من بلاد اليمن السعيدة [اليمن الحالية] .

وليس هناك سبب يدعونا إلى الاعتقاد بأن الفينيقيين ــ فى ذلك الوقت ــ كانوا يعرفون اية معلومات عن افريقيا تتجاوز منطقة دلتا النيل . أمـا العرب فقـد توفـر لديهم بـالطبـع قدر من المعلومـات عن شواطىء البحـر الأحمـر . ومن المحتمل ان يكونوا قد رسموا فى اذهانهم ــ على الأقـل ــ ملامـح خريـطة تبـين امتـداد بعض السواحل الافريقية .

أما الفينيقيون من أهالى صور ، فقد قاموا باستكشاف سواحل الشمال الافريقى المطلة على البحر المتوسط . وقد بدأوا هذه المهمة وانتهوا منها ــ طبقاً لحساباتهم ــ فى غضون القرن الثانى عشر قبل الميلاد . ولا أحد يشـك الآن فى هذه الحقيقة التى يؤيدها احتكار تجار صور للتجـارة مـع اسبانيـا فى القرون التـالية ، وإن كـان من المعتقد أن تاريـخ هذا الانجاز يرجـع إلى زمن أقرب ، ربما كان فى القرن الثامن قبل الميلاد أكثر منـه فى القرن الحـادى عشر قبـل الميلاد . ففى القـرن الثامن قبـل الميلاد عـلى أقـل تقـديـر ، اجتازت سفن الفينيقيين أعمدة هرقـل [مضيق جبل طارق] ، واسسوا مدينـة جادش Cadiz باسبانيا . وهذا قـد يعنى أيضاً أنهم استـطلعوا مسافة مماثلة على سـواحل المغرب المطلة عـلى المحيط الأطلنطى .

وبالمثل فإن العرب قد أبحروا فى ذلك الوقت إلى الشاطىء الجنوبى لخليج عدن الذى كان فى ذلك الوقت امتداداً للصومال . ثم عرفت هذه المنطقة فيما بعد باسم ساحل القرفة .

ولكن إلى أى مـدى استطاع بحـارة العـالم القـديم أن يبحروا حـول السواحـل الافريقيـة خلاف هذه المناطق ؟

بـالنسبة للسـواحل الافـريقية المـطلة عـلى المحيط الأطلنطى ، لم يصل بحارة العالم القديم إلى أبعد من مستوى جزر الكنارى Canaries أو « الجزر السعيدة » . فقـد اكتشفت تلك الجزر لأول مـرة سفن الصيادين القـادمة من جـادش باسبانيا . وذلك فى القرن الأول الميلادى . ثم تم اكتشافها نهائياً بمعرفة بعثة ارسلهـا الملك جوبـا Juba ملك موريتانيا .

ولم تكن تلك الجزر مأهولة فى ذلك الوقت ، ولم يستعمرها أحد من الشعوب القريبة . ولكن بعد فترة قصيـرة تاليـة ، تسلل إليها شعب من البربر يعرف باسم Guanches ينتمى إلى العصر الحجرى قادماً من القارة الأم .

وقد ظلت تلك الجزر على مدى قرون طويلة فيما بعد ، تعتبر أقصى الغرب بالنسبة للعالم المعروف . وبالتالى أقصى منطقة وصلت إليها الرحلات البحرية التى قام بها ملاحو العالم القديم .

أما بالنسبة للسواحل الافريقية المطلة على خليج عدن والمحيط الهندى فقد حقق الملاحون العرب نجاحاً أكبر . حيث استطاعوا الدوران حول رأس العطور [رأس جاردافوى Gardafui] وتجاوزوها جنوباً فى ابحار استمر ثلاثة وعشرين يوماً حتى وصلوا إلى نقطة أسموها « ربطه » Rhapta . وهناك انشأ العرب مركزاً تجارياً لجمع واستجلاب العاج ، الذى من أجله كانت هذه الرحلة الطويلة تستحق متاعبها .

وربما تكون هذه النقطة فى موقع قريب من جزيرة زنجبار Zanzibar ، وربما تكون فى الجزيرة نفسها ، التى استمرت منذ ذلك الحين مركزاً لتجميع وتصدير العاج .

وهناك انباء عن وصول إحدى السفن العربية إلى رأس براسوم [رأس دلجادو] على الساحل الافريقى . وهذه أبعد نقطة ربما يكون العرب قد وصلوا إليها . وعلى أية حال فإذا افترضنا أن القدماء قد عرفوا من افريقيا ما يدخل فى خط يمتد بين رأس بوجادور Bojador على المحيط الأطلنطى ورأس دلجادو Delgado على المحيط الهندى ، كما هو مبين بالخريطة ، فقد يكون فى هذا التصور بعض المبالغة فى معرفة القدماء للقارة الافريقية .

أما بالنسبة لداخل القارة ، فلم يعرف شىء أبعد من جنوب واحات فزان Fezzan ، ولا أبعد من مدينة مروى تصعيداً فى نهر النيل . وذلك فيما عدا البعثة الاستكشافية التى أرسلها الامبراطور نيرون وعين على رأسها اثنين من قادة المائة Centurions بالجيش الرومانى بقصد استكشاف مناطق النوبة لمعرفة مدى المغانم التى يمكن أن تعود على روما إذا فكرت فى غزوها . وقررت البعثة أنها مناطق فقيرة ولا فائدة فيها . وقالت ان النيل [الأبيض] ينبع من مستنقعات شاسعة لا يمكن اختراقها . وهذا صحيح وربما يكون استناداً إلى ما شاهدته البعثة ـ أو ربما سمعته ـ عن منطقة السدود Sudd التى ظلت عصية على الاستكشاف حتى القرن التاسع عشر الميلادى .

وفى منتصف القرن الثانى بعد الميلاد ، رسم « بطلميوس الجغرافى » خريطة للعالم القديم الذى كان معروفاً فى أيامه ، واستطاع فيها أن يتابع مجرى النيل جنوب منطقة السدود . وتبين الخريطة ان النهر ينبع من سلسلة جبال تقع فى شرق افريقيا ، وأن فروع النهر التى تخرج من هذه السلسلة تتجمع كلها فى بحيرتين كبيرتين قبل أن يخرج المجرى الرئيسى للنهر متجهاً نحو الشمال .

ومن المحتمل ان المعلومات التى استند إليها بطلميوس الجغرافى فى تقرير ذلك قد انتقلت إليه سماعاً عن طريق العرب الذين كانوا يعيشون فى جزيرة زنجبار ، وقد ترجمها هذا العالم رسماً على خريطة .

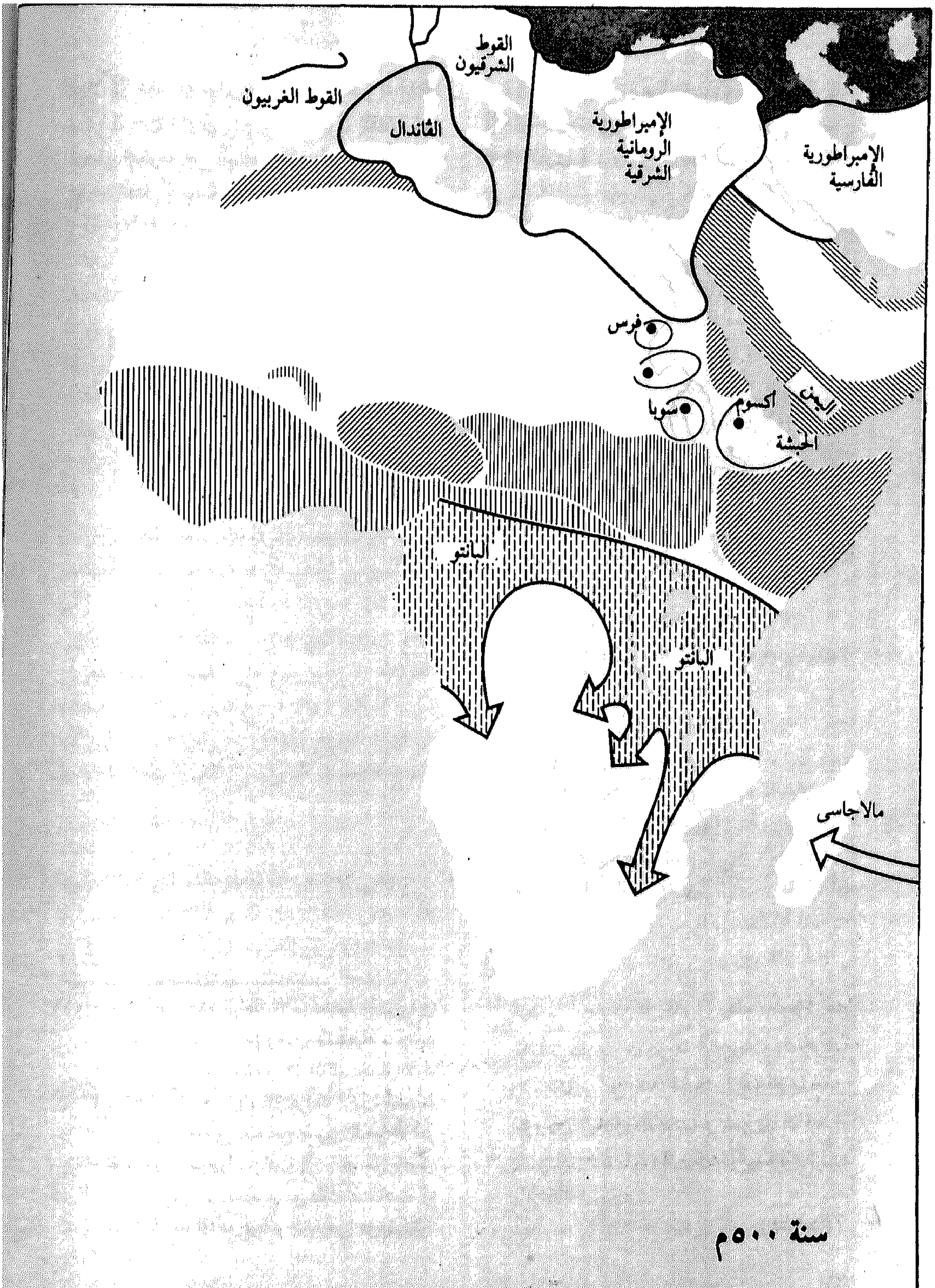
ومع ذلك يبقى سؤال هام دون إجابة قاطعة : هل استطاع ملاحو العالم القديم الدوران حول افريقيا ؟ . . بعض العلماء يقولون باستحالة ذلك ، وبعضهم يقولون بامكانية حدوثه ، وآخرون يقولون بان ذلك قد حدث

ىلاً فى عهد فرعون مصر الملك نخاو Necho ٦١٠ - ٥٩٤ ق . م] . وتقول القصة أنه بسل مجموعة من السفن التى يقودها ملاحون نيقيون ، أبحرت من البحر الأحمر ، واتجهت جنوبا حتى ظهرت مرة اخرى بعد إبحار لمدة ثلاث سنوات فى منطقة اعمدة هرقل [مضيق جبل طارق] . ولكن هذه الحكاية ليست أكثر من قصة خيالية غير قابلة للتصديق .[١]

---

١) وردت أخبار هذه الرحلة الاستكشافية المصرية فى كتابات العديد من المؤرخين القدماء ــ ومنهم هيرودوت ــ حيث ذكروا أن الملك نخاو الأول [٦٠٩ ــ ٥٩٤ ق م] ، ثانى فراعنة الأسرة السادسة والعشرين قد أرسل بعثة عن طريق البحر الأحمر طافت حول افريقيا وعادت إلى مصر عن طريق مضيق جبل طارق . ويفهم من ذلك أن القدماء قد توصلوا إلى معرفة أن افريقيا عبارة عن جزيرة كبيرة تحيط بها البحار من كل جانب . وهذه المعلومة فى حد ذاتها تؤكد حدوث الرحلة البحرية حول افريقيا ولا تنفيها . . بل وهناك أبحاث تاريخية قام بها بعض المؤرخين المحدثين الأجانب ، تشير إلى أن قدماء المصريين قد قاموا برحلات بحرية إلى إيرلاندا وأمريكا الجنوبية .

[المترجم] .


القوط الغربيون
القوط الشرقيون
الڤاندال
الإمبراطورية الرومانية الشرقية
الإمبراطورية الفارسية
فرس
سوبا
أكسوم
الحبشة
اليمن
البانتو
البانتو
مالاجاسى

سنة ٥٠٠م

سنة ٥٠٠

فى القرن الثالث الميلادى تعرضت الامبراطورية الرومانية إلى محنة رهيبة ، فقد انقضت عليها مجموعات من قبائل البرابرة Barbarian التى اجتازت الحدود قادمة من قارتى أوربا وآسيا .

ولم تمض سوى سنوات قليلة على هذا الانقضاض حتى بدت الامبراطورية الرومانية على وشك الانهيار . ولكنها اجتازت المحنة فى النهاية بعد أن حدثت فيها عدة تغيرات جوهرية ، فقد تقلصت الحدود قليلاً ، واعتنقت الامبراطورية المسيحية كدين رسمى للدولة . ثم انقسمت الامبراطورية إلى امبراطوريتين : الامبراطورية الرومانية الغربية والامبرطورية الرومانية الشرقية . وهكذا أصبحت أوربا أصغر وأفقر مما كانت عليه .

وفى مطلع القرن الخامس الميلادى ، حدث الانقضاض الثانى من قبائل البرابرة . وفى هذه المرة خرجت الامبراطورية الرومانية الشرقية سليمة من تلك المحنة الجديدة . أما الامبراطورية الرومانية الغربية فقد انهارت تماماً ، ووقعت العاصمة روما تحت سيطرة القوطيين Goths سنة ٤١٠م . ثم أصبحت تحت سيطرة الفاندال Vandals سنة ٤٥٥م . أما معظم الأقاليم الغربية التى كانت تابعة لتلك الامبراطورية ، فقد انقسمت إلى ممالك جلس على عروشها ملوك من القوط والفاندال وغيرهما من القبائل الجرمانية الأخرى .

كذلك فقد أصبحت بعض الأقاليم الغربية الأخرى تحت حكم الرؤساء المحليين ، مثل بريطانيا وموريتانيا .

أما بالنسبة لمناطق شمال افريقيا التى كانت تابعة للامبراطورية الرومانية ، فقد انفصلت عن الامبراطورية فى مطلع القرن الثالث الميلادى ، أى قبل انقضاض القبائل الجرمانية على الامبراطورية . وربما كان ذلك نتيجة لتغير الأحوال فى تلك المناطق ، حيث تغيرت الحرفة الأساسية للسكان فى أوائل القرن الثالث الميلادى من حرفة الزراعة إلى حرفة الرعى .

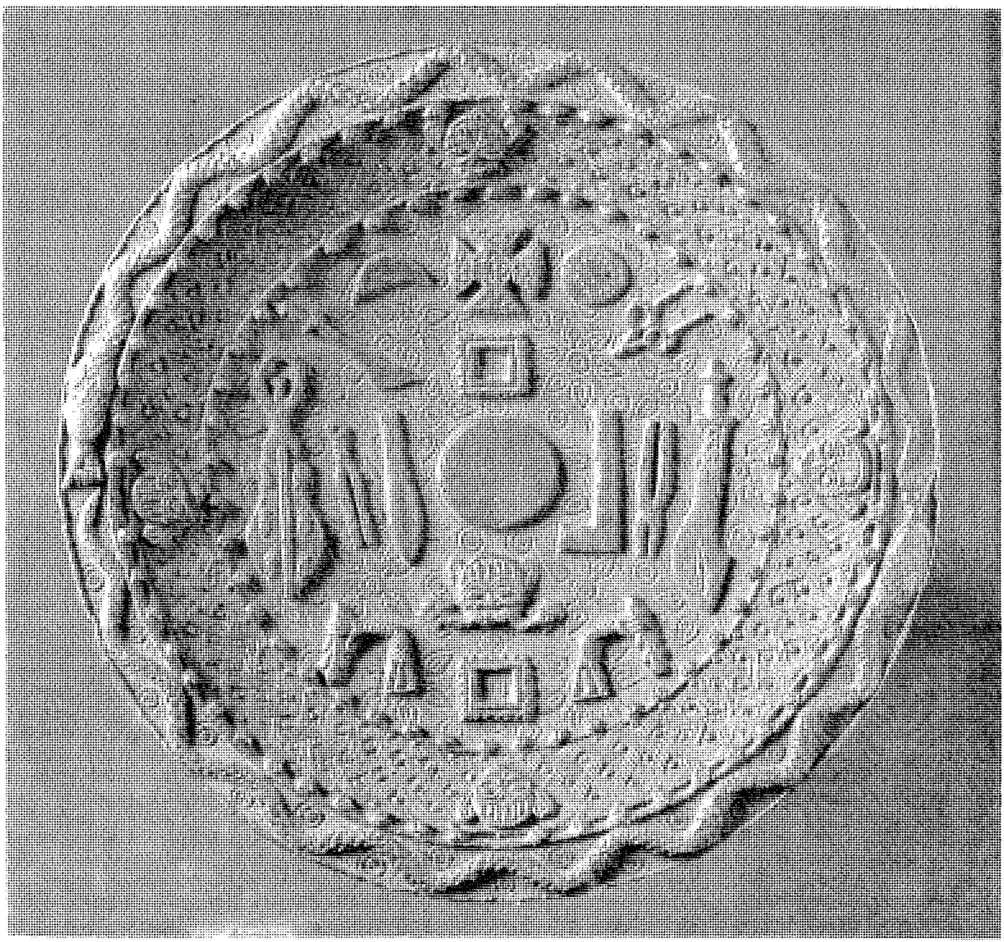
وبينما كانت شمس الامبراطورية الرومانية تؤذن بالمغيب ، خرجت الحبشة إلى حيز الضوء . فقد قام ملوك اكسوم بتوسيع حدود دولتهم ومدها إلى مناطق جديدة اخضعوها لسيطرتهم ، كما مارسوا نوعاً من السيادة والسيطرة على عرب اليمن . وعندما استفزهم النوبيون ، انقض ملوك اكسوم على مملكة مروى وضربوها ضربة شديدة انقسمت على أثرها تلك المملكة إلى ثلاث ولايات صغيرة كما هو موضح بالخريطة .

كذلك فقد اعتنق ملوك اكسوم الديانة المسيحية ، وكانوا بذلك أول اسرة مالكة مسيحية تستقل وتخرج عن ولاية الرئاسة المسيحية بروما .

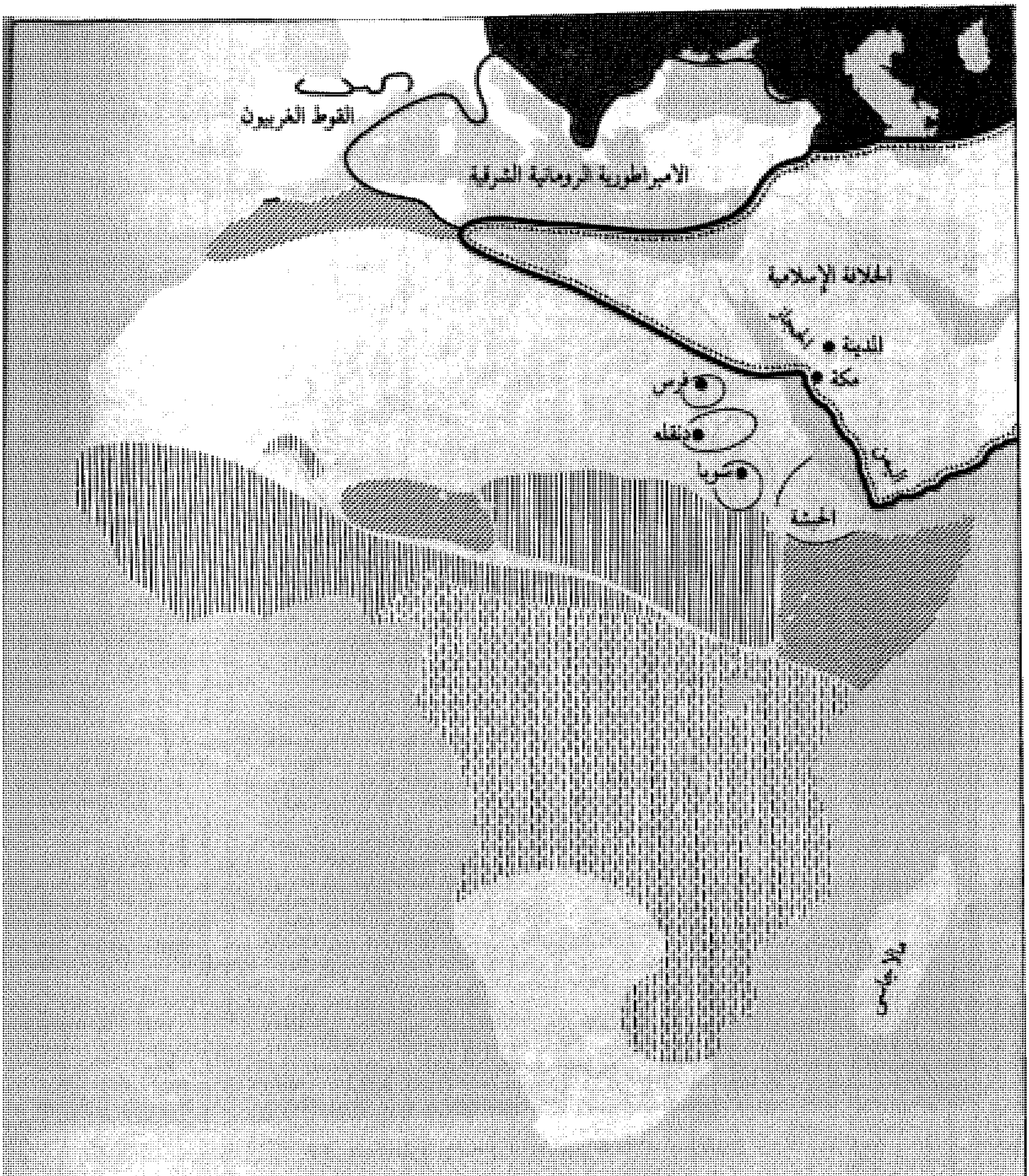
أما أهم الأحداث التى وقعت فى تاريخ هذه الخريطة فى مناطق جنوب القارة ، فتتمثل فى استمرار قبائل البانتو فى الزحف إلى المناطق الجنوبية . كما تتمثل فى استعمار جزيرة مدغشقر Madagascar . فقد وفدت إلى تلك الجزيرة بعض السفن التى كانت تحمل جماعات من الشعوب الاندونيسية المتكلمة بلغة المالاجاسى واستقرت بالجزيرة .

ومن المؤكد أن هذه الجماعات الوافدة قد انقطعت صلاتها بموطنها الأصلى [ربما جزيرة سومطره] فلم تصلها أية امدادات أو تعزيزات من هذا الموطن ، ولم تفد إليها جماعات اخرى من نفس الموطن سواء بالاتفاق والتدبير أو عن طريق المصادفة .

وقد انتشر هذا النوع من الرحلات البحرية الجماعية العشوائية التى كانت تستهدف الاستيطان فى أى مكان يصادفها دون خطط مسبقة . وبهذه الطريقة العشوائية انتشرت الشعوب التى كانت تسكن جزر البولينيز Polynesia [وهى مجموعة من جزر المحيط الهادى تتضمن نيوزيلاندا ، وهاواى ، وساموا] فى كل مناطق وجزر المحيط الهادى .



قرص مقعد مصنوع من النحاس مزخرف برموز لها دلالات سحرية .
من روائع فن بنين المعروضة بمتحف الثقافات الشعبية ببرلين .


القوط الغربيون
الامبراطورية الرومانية الشرقية
الخلافة الإسلامية
المدينة
مكة
فرس
دنقلة
الحبشة

سنة ٦٥٠م

سنة ٦٥٠

كان القرن السادس قرناً طيبا بالنسبة للامبراطورية الرومانية الشرقية ، فقد استطاع الامبراطور جوستنيان أن يهزم الفاندال والقوط الشرقيين ، وأعاد تونس وايطاليا مرة اخرى لسيطرة الامبراطورية الرومانية . كما استعاد نفوذ الامبراطورية على معظم المناطق المطلة على البحر المتوسط .

أما البعثات التبشيرية التى أوفدها الرومان إلى المناطق الأخرى ، فلم تصادف الكثير من النجاح فيما عدا اعتناق بعض الامارات النوبية الصغيرة للديانة المسيحية . وكان المسيحيون الذين يعيشون خارج نطاق الامبراطورية الرومانية ، يعدون انفسهم محظوظين ، إذا لم يتعرضوا لكثير من المذابح والاضطهادات بسبب تمسكهم بهذا الدين .

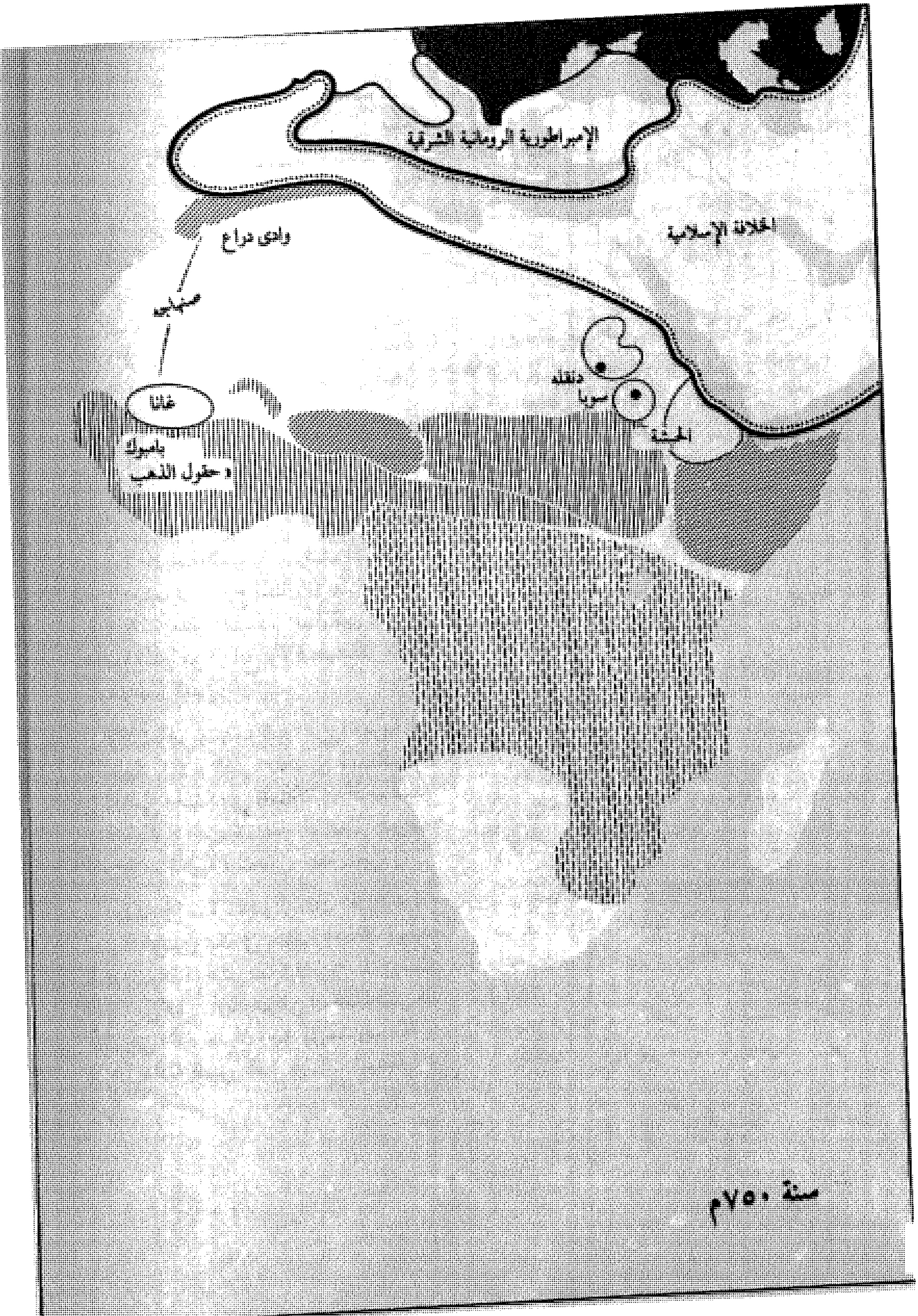
وقد تعرض مسيحيو شبه الجزيرة العربية إلى الاضطهاد ، الأمر الذى دعاهم إلى طلب النجدة من نجاشى الحبشة التى كانت مملكته أقرب مملكة مسيحية لشبه الجزيرة . فقام الاحباش بتوجيه عدة حملات تأديبية لم تتجاوز منطقة اليمن .

ولكن فى سنة ٥٧٠م أرسلت الحبشة جيشاً لمحاربة الوثنيين بمكة فى منطقة الحجاز ، وقد اصطحب هذا الجيش معه فيلا لم ير مثله فى تلك المنطقة من قبل . وبالرغم من أن هذا الجيش قد هلك عن آخره بعد أن وصل إلى مشارف مكة ، إلا أن حادثة ظهور الفيل فى تلك المنطقة قد أثارت دهشة العرب حتى سموا العام الذى ظهر فيه هذا الفيل بمنطقتهم « عام الفيل » وهو العام الذى ولد فيه النبى محمد ﷺ .

وقد تعرض النبى محمد مثل كل الأنبياء الآخرين إلى الاضطهاد والنكران من جانب قومه فى مكة ، فهاجر إلى المدينة فى عام ٦٢٢م . وبدأ هناك عهداً جديداً انتشر فيه دين الإسلام فى معظم انحاء شبه الجزيرة . وعندما مات عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة بنحو عشر سنوات ، كانت كل الجزيرة العربية تدين بالإسلام ، وموحدة تحت قيادة واحدة .

وتولى الخلفاء الراشدون بعده مواصلة الدعوة إلى الدين الجديد واقرار النظام الإسلامى الذى وضع الرسول أسسه ، وتقوية الجيوش التى بدأ الرسول تكوينها لحماية الدين الجديد ونشره . هذه الجيوش التى أدهشت انتصاراتها العالم القديم ، وذلك عندما سحقت الامبراطورية الفارسية ، وقوضت أركان الامبراطورية الرومانية الشرقية .

وقد دخلت هذه الجيوش الإسلامية إلى افريقيا . وفتحت مصر [٦٤٠ - ٦٤٢م] . وفتحت سيرينايكا وتريبوليتانيا « برقه وطرابلس » [٦٤٢ - ٦٤٧م] . وفى اواخر عام ٦٥٠م ، أصبح الإسلام بالفعل ، واحداً من أهم الديانات السماوية التى دانت بها البشرية .


الإمبراطورية الرومانية الشرقية
الخلافة الإسلامية
وادي درعة
صنهاجة
غانا
بامبوك
حقول الذهب
دنقلة
سوبا
الحبشة
سنة ٧٥٠م

سنة ٧٥٠

بدأت محاولات العرب فتح بلاد المغرب فيما بين عامى ٦٧٠/٦٨٣م . ولكن لم تسفر هذه المحاولات عن فتح نهائى لتلك البلاد إلا بعد المحاولة الثانية التى تمت فى عام ٦٩٤م ، حيث نجح العرب فى طرد البيزنطيين [الرومان الشرقيين] من جميع المدن الساحلية بشمال افريقيا ، كما خضعت لهم قبائل البربر التى كانت تسكن المناطق الداخلية واحدة بعد أخرى . وما أن حل عام ٧٠٥م حتى أصبحت جميع المناطق المغربية بشمال افريقيا جزءاً من العالم الإسلامى .

ومن المغرب الأقصى بدأ الفاتحون العرب فى الاتجاه شمالاً إلى اسبانيا ، وجنوباً إلى بلاد بربر صنهاجه . وقد استسلمت مملكة اسبانيا على الفور فى عام ٧١١م . أما قبائل صنهاجه فقد خضعت للعرب تدريجياً وبعد معارك وحملات ضارية .

ولم يكن فتح المناطق الجنوبية التى كانت تعيش فيها قبائل صنهاجه يقل فى الأهمية بالنسبة للإسلام ، عن فتح المناطق الشمالية فى اسبانيا . وكانت صنهاجه قد عرفت خبايا المسالك بالصحراء الغربية ، واكتشفت الطريقَ الموصل إلى « بلاد السودان » وهو الاسم الذى كان يطلق أيامئذ على المناطق التى يعيش فيها السود .

وكانت صنهاجه تبدأ رحلة اختراق الصحراء انطلاقاً من وادى دراع حتى تصل إلى مناجم الملح الصخرى التى اكتشفتها خلال تجولاتها بربوع الصحراء . ومن تلك المناجم كانت تشحن ظهور جمالها بكتل الملح الصخرى ، وتواصل طريقها بعدئذ تجاه الجنوب حتى تصل إلى ضفاف نهر السنغال . وهناك كانت تقايض الملح بالذهب مع الأهالى المحليين على أساس أن كل وزنة من الملح تقابلها وزنة مماثلة من الذهب . وهى صفقات كانت متكافئة للطرفين ، مقابل العناء الشديد الذى كان يواجه تجار الملح الصخرى اثناء نقله عبر الطرق الوعرة بالصحراء ، والحاجة الشديدة للأهالى لهذا الملح الذى كان يعتبر سلعة حيوية تساعدهم على البقاء .

وقد تمكنت صنهاجه من اختراق الصحراء والوصول إلى نهر السنغال بفضل المهارة التى اكتسبتها فى قيادة قوافل الجمال . ولم تكن الجمال فى الأصل افريقية الموطن ، وانما كان موطنها الأصلى فى قارة آسيا ، وأدخلها الفرس إلى افريقيا عند قيامهم بغزو مصر فى القرن السادس قبل الميلاد ، ثم وصلت إلى مناطق المغرب لأول مرة فى عهد يوليوس قيصر فى القرن الأول قبل الميلاد . ومع ذلك لم تصبح شائعة الاستعمال والاستخدام إلا فى العصر الرومانى المتأخر فى القرن الرابع الميلادى .

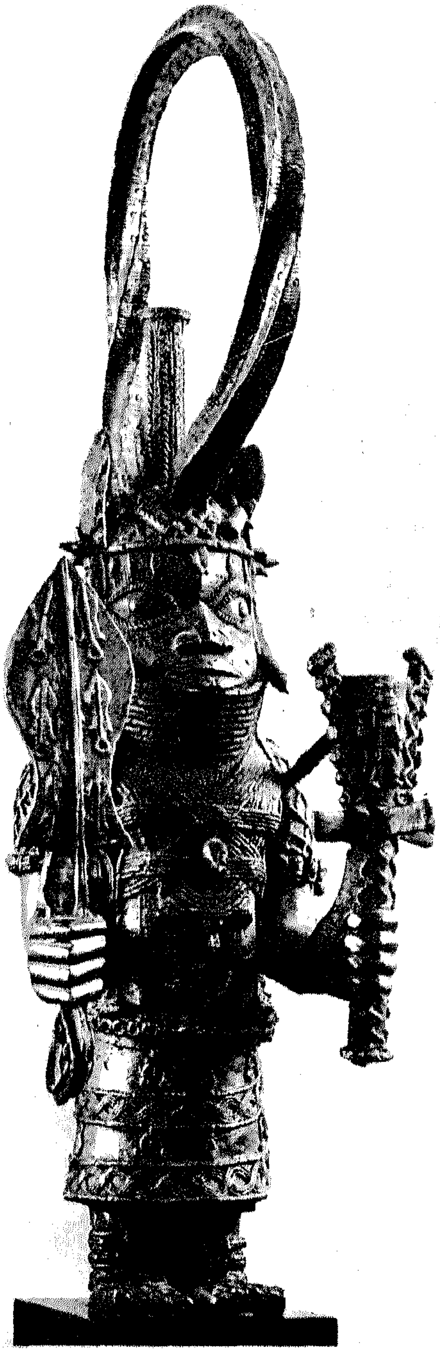
ويبدو انه كانت هناك صعوبات اكتنفت عملية تأقلم الجمال فى البيئة الصحراوية الافريقية ، لأن عملية تربية الجمال وتكوين قطعانها على نطاق واسع قد سارت ببطء غير معتاد . واستغرقت فترة طويلة من الزمن . ومن الواضح ان قبائل صنهاجه كانت أول من نجح فى استغلال الجمال واستخدامها كسفن تجتاز فيافى الصحراء الافريقية .

وعن طريق هؤلاء التجار البربر الذين كانوا

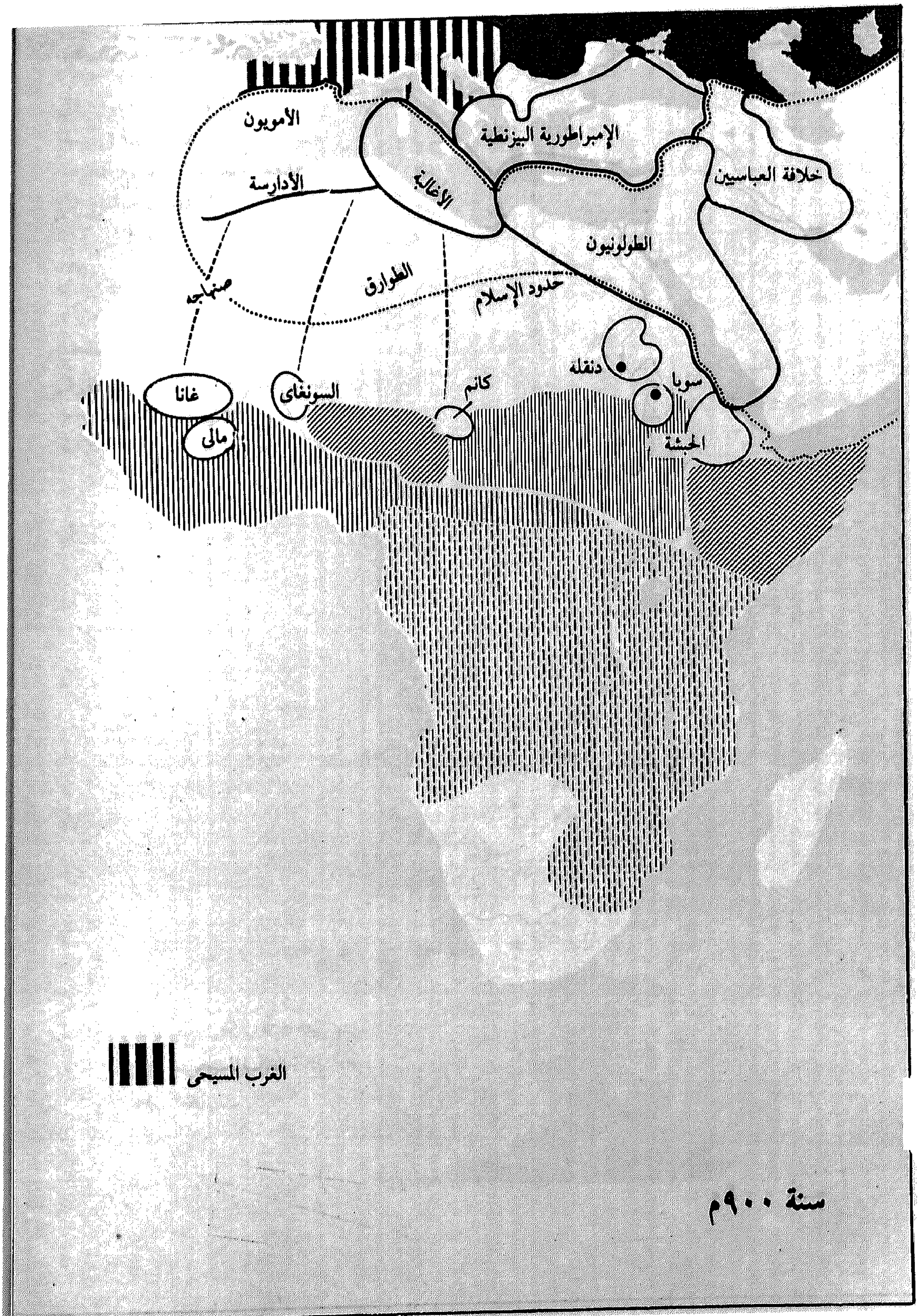
يـزورون منطقـة السـاحـل العشبى جنـوبى الصحـراء ، عـرفت لأول مـرة أخبـار الـدولـة الزنجية التى أسستها قبائل السونينكى Soninke وهى « مملكة غانا » . وكانت هذه المملكة تقـع شمال منطقة حقول الذهب فى بامبوك Bambuk التى تقـع جنـوب نهر السنغـال الأعـلى . وقـد احتكرت مملكة غانا عمليات بيع الذهب للبربر والعـرب الذين أطلقـوا على مملكـة غـانـا اسم « أرض الذهب » .

أما بالنسبة إلى أهم الأحداث التى وقعت فى مناطق شرق افريقيا المطلة على سـواحل البحـر الأحمـر فى تلك الفـتـرة ، فتـتمـثـل فى تلك الاستفزازات التى تتسم بالغباء ، والتى قام بهـا الاحبـاش ضد العـرب ، حيث قامـوا بأعمـال سلب ونهب وقرصنة بلغت قمتها بالهجـوم على جدة ـــ التى تعتبر مينـاء مكة ـــ ونهبهـا فى سنة ٧٠٢م . وقد أدى هذا الهجوم إلى انتقام العرب باحتلال سواحل اريتـريا وطـردوا الاحباش إلى موطنهم الأصلى فى المرتفعات الداخلية .

وبهذا انقطعت صلة الدولتين المسيحيتين فى تلك المنطقة ، وهما دولتا الاحباش والنوبيـين ، عن مسيحيى أوربا وآسيا الصغـرى . وعندمـا قامت إمارة دنقله بابتلاع إمارة فرس المسيحية فى أوائـل القرن الثـامن الميلادى ، انخفض عـدد الممالك المسيحية فى افريقيا من أربع إلى ثـلاث فقط .



تمثال يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر يمثل أحد ملوك بنين القدماء اثناء أداء بعض الطقوس . .



الأمويون
الإمبراطورية البيزنطية
خلافة العباسين
الأدارسة
الأغالبة
الطولونيون
الطوارق
حدود الإسلام
صنهاجه
دنقله
سوبا
كانم
السونغاى
غانا
مالى
الحبشة
الغرب المسيحى

سنة ٩٠٠م

سنة ٩٠٠

لم تحتكر قبائل صنهاجه عملية اختراق الصحراء لفترة طويلة ، فبعد نحو خمسين سنة من أول اتصال بين المغرب ومناطق غرب السودان ، ظهر طريقان آخران يخترقان الصحراء من الشمال إلى الجنوب بصفة منتظمة . الطريق الأول يبدأ من غرب الجزائر وينتهى إلى النيجر الأوسط . والطريق الثانى يبدأ من طرابلس وينتهى إلى بحيرة تشاد .

وكل من هذين الطريقين كان يخترق الصحراء خلال مناطق وأقاليم خاضعة لقبائل الطوارق التى تعتبر فى الأصل فرعاً من فروع قبائل صنهاجه ، ثم استعمرت مناطق وسط الصحراء الكبرى .

وعن طريق الاتصالات التى تمت عبر هذين الطريقين ، عرف العالم لأول مرة أخبار الشعوب والممالك السودانية التى ظهرت فى التخوم الجنوبية للصحراء الكبرى : مثل مملكة كانم Kanem التى كانت تقع على الجانب الشرقى من بحيرة تشاد ، ومملكة السونغاى Songhay التى كانت تقع بالنيجر الأوسط ، ومملكة مالى Mali التى كانت تقع بغرب القارة جنوب مملكة غانا [القديمة] .

ومعظم المدونات التاريخية ، أو الأساطير والحكايات الشعبية المتوارثة التى نقلت أخبار تلك الممالك ، كانت تؤكد أن الأسر المالكة التى قامت بتأسيس تلك الممالك ، كانت من الجنس الأبيض ، الأمر الذى يعنى انها كانت تنتمى إلى البربر أو إلى العرب . وقد يكون الأمر كذلك ، ولكن الأرجح أن هذا الرأى ليس صحيحاً على اطلاقه . وربما كان القصد من وراء ظهور تلك الأساطير أو الحكايات الشعبية المتوارثة ، هو إضفاء المظهر الإسلامى على تلك الممالك ، واضفاء المزيد من الاحترام والتبجيل لهذه الأسر المالكة . فمما لاشك فيه أن الشعوب والقبائل التى كانت تتألف منها هذه الممالك ، وكذلك الملوك الذين جلسوا على عروشها بعد الملوك المؤسسين ، كانوا جميعاً من الجنس الأسود ، أو بالأحرى من الزنوج .

وفى كل من مملكتى غانا ومالى كان الشعب يتألف من مجموعة قبائل الماندى Mande الزنجية ، التى انقسمت إلى مجموعتين : الأولى قبائل السونينكى Soninkeالتى تألف منها شعب غانا . والثانية قبائل المالينكى Malinke[أو قبائل الماندينجو Mandingo] التى تألف منها شعب مالى .

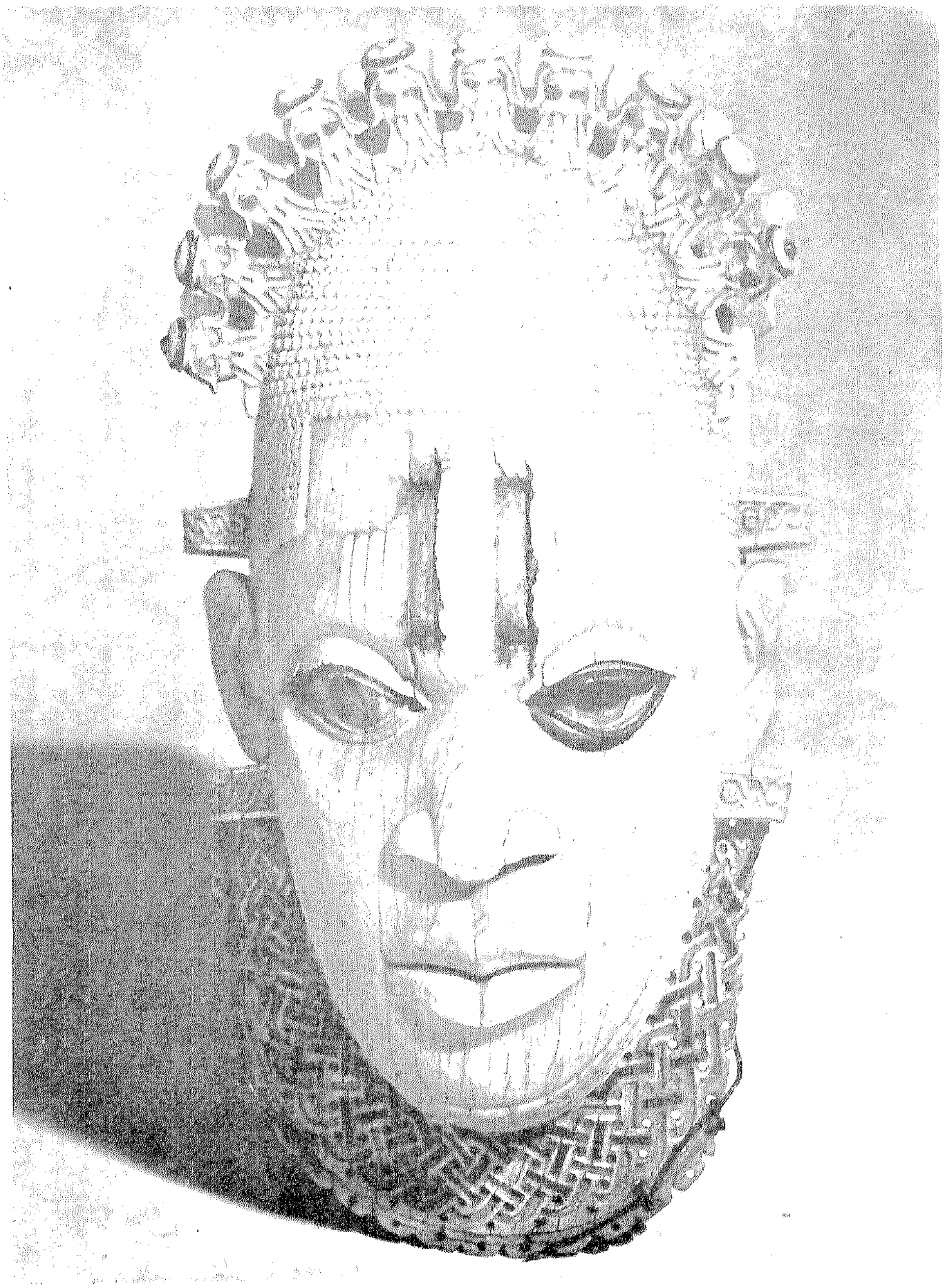
أما مملكة كانم فقد كانت تتألف من قبائل الكانورى Kanuri ، وهى من الشعوب النيلية الصحراوية ، مثلها فى ذلك مثل قبائل السونغاى .

وفى تاريخ هذه الخريطة كانت الدولة الإسلامية لا تدار من شبه الجزيرة العربية [عصر الخلافة العباسية فى بغداد] . وبالرغم من أن معظم العالم الإسلامى كان يعترف بالسيادة الروحية لخلفاء بغداد ، إلا أن حكام الولايات التى كانت من قبل جزءاً من الامبراطورية الإسلامية الموحدة ، أصبحوا يستقلون بممالكهم ويورثون الحكم لأبنائهم .

وفى منطقة شمال افريقيا ، كانت هناك أسرتان حاكمتان من هذا النوع هما : الأغالبة فى

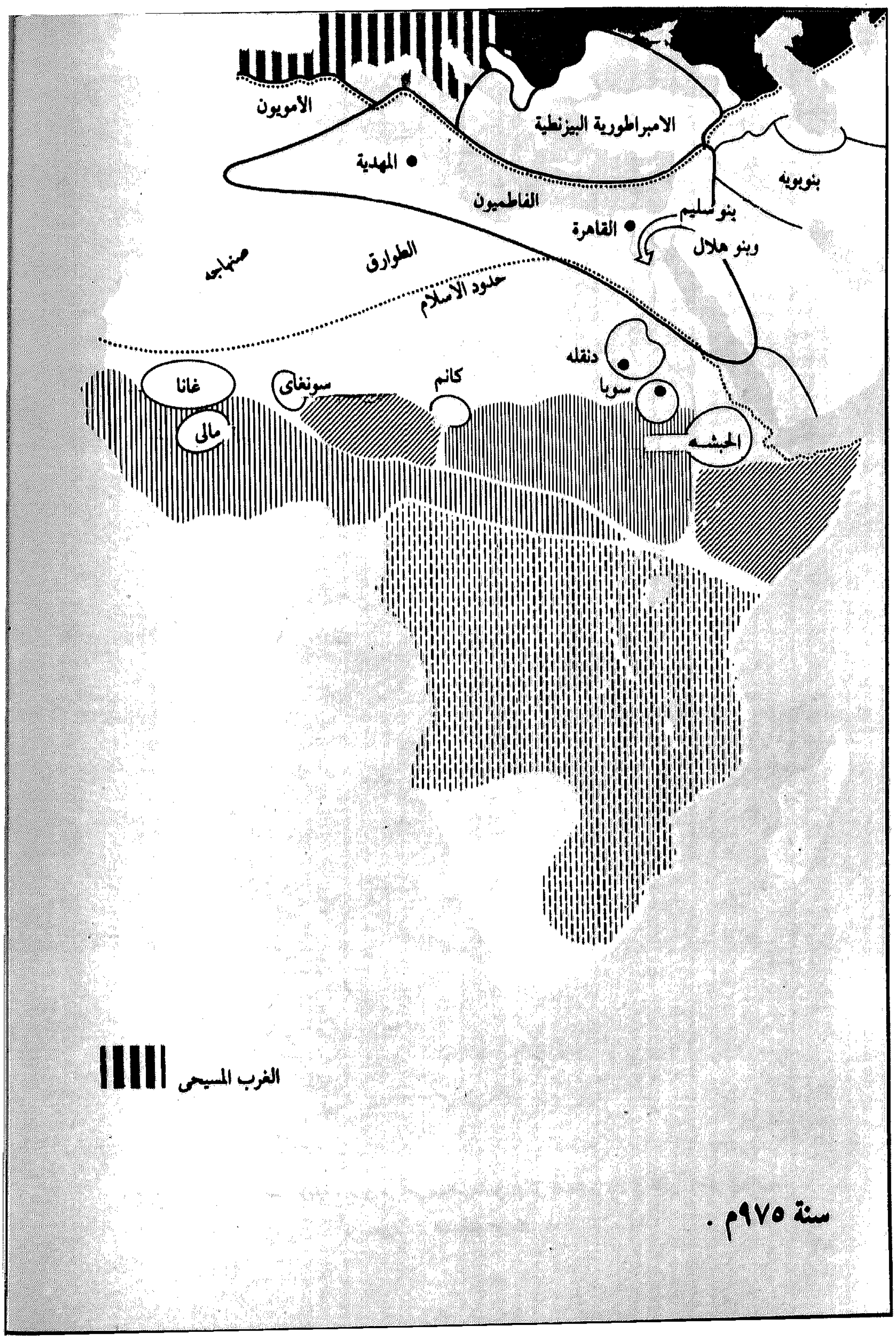
تونس ، والطولونيون فى مصر .

وفى منـاطق المغرب الإسـلامى كانت هنـاك أسـرتان حـاكمتان أخـريان همـا : الأدارسة فى مراكش والأمويون فى اسبانيا . وهؤلاء وأولئك كانوا لا يعترفون بأية سلطة سيـاسية أو روحيـة لخلفاء بغداد بأى شكل كان .



قناع من العاج يمثل رأس ملكة افريقية ، مزين من أعلى بمجموعة من رؤوس البرتغاليين الأوائل الذين وصلوا إلى افريقيا .

من معروضات المتحف البريطانى بلندن .



الأمويون
الامبراطورية البيزنطية
المهدية
الفاطميون
بنوبويه
بنو سليم
وبنو هلال
القاهرة
صنهاجه
الطوارق
حدود الاسلام
دنقله
سوبا
كانم
سونغاى
غانا
مالى
الحبشه
الغرب المسيحى
سنة ٩٧٥م .

سنة ٩٧٥

حتى فى أزهى أيام الخلافة العباسية فى بغداد ، كان هناك بعض المسلمين لا يعترفون بخلفاء بغداد ، بل ولا يعتبرون هؤلاء الخلفاء أكثر من مغتصبين للسلطة من أصحاب الخلافة الأصليين . وكان هؤلاء المسلمون يرون أن الخلافة الشرعية لابد أن تؤول إلى سلالة فاطمة الزهراء بنت النبى ﷺ .

ومنذ مطلع القرن العاشر الميلادى ، انتشرت فى معظم انحاء العالم الاسلامى جمعيات سرية للدعوة لهذا المذهب ونشره بين الناس ، معتمدة فى ذلك على وجود بعض المشكلات المحلية التى ساهمت بالفعل فى تدعيم وجهة نظر الدعوة الجديدة . وقد أطلق المسلمون من اعضاء هذه الجمعيات على أنفسهم اسم «المسلمين الشيعة» .

وقد نشبت ثورة الشيعة ابتداءً من سنة ٩٠٢ م ، فى منطقة شرق الجزائر . وقد نجحت هذه الثورة لدرجة دعت قائدها إلى استدعاء رئيس السلالة الفاطمية الذى كان يعيش آنئذ بسوريا ، والذى يعرف فى المذهب الشيعى باسم «المهدى» للحضور إلى المغرب ليتولى الخلافة وشئون الحكم . وما أن حل عام ٩١٢ م حتى كان المهدى يحكم منطقة تضم تونس والجزائر ، ومن عاصمة جديدة انشئت خصيصاً واطلق عليها اسم «المهدية» .

وقد حقق الخلفاء الفاطميون الذين تلوا المهدى منجزات كبيرة أهمها على الاطلاق استيلاؤهم على مصر سنة ٩٦٩ م . وانشأ الفاطميون فى مصر عاصمة ثانية لهم هى مدينة القاهرة . وهى المدينة التى انتقلوا إليها واتخذوها عاصمة لخلافتهم بصفة مستمرة .

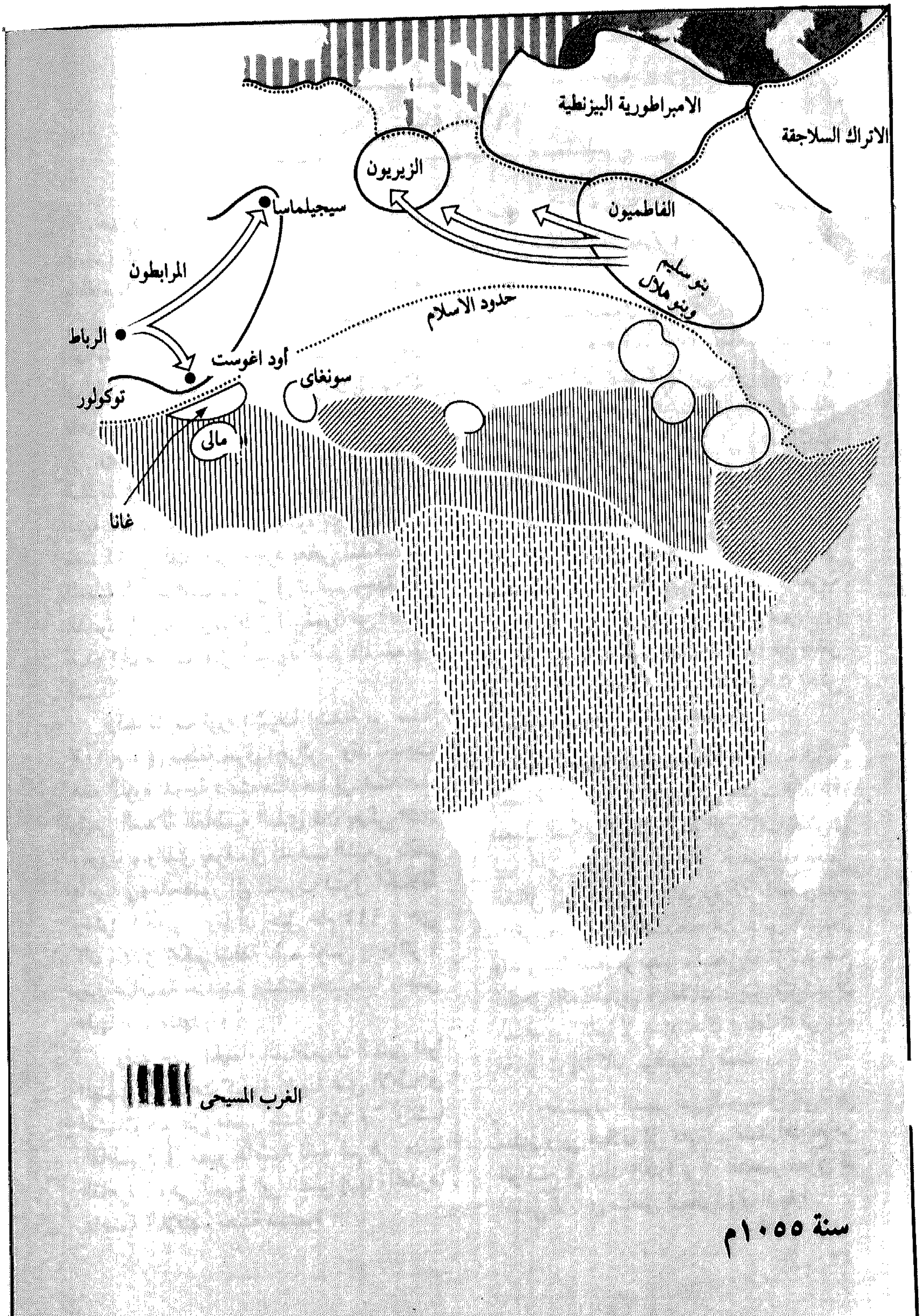
ومن القاهرة سيطر الفاطميون على فلسطين والشام والاجزاء القريبة من شبه الجزيرة العربية .

وترك الفاطميون طرابلس وتونس والجزائر تحت حكم اسرة حاكمة شبه مستقلة تعرف باسم «الزيريين» الذين كانوا فرعاً من قبائل صنهاجه ، ساندوا الفاطميين فى أوقاتهم الحرجة . وقد قام الزيريون بالاستيلاء على مراكش . وبهذا اكملوا السيطرة الفاطمية على كل مناطق شمال افريقيا .

ومن ألاعيب السياسة ، ما ادعاه الفاطميون فور استقرارهم فى القاهرة ، من انهم قاموا باستدعاء قبيلتين كاملتين من شبه الجزيرة العربية هما : قبيلة بنى سليم وقبيلة بنى هلال ، وتمكينهما من الاستيطان بصعيد مصر انتقاماً من بعض القبائل العربية الأخرى التى كانت تعيش بالصعيد وتعارض حكم الفاطميين .

وفى حقيقة الأمر يبدو هذا الادعاء خاليا من الصحة ، إذ تدل الشواهد على حدوث ارتفاع فى المعدل السكانى لقبائل البدو التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربية ، الأمر الذى دفع بعض القبائل إلى الشروع فى الهجرة غرباً نحو مصر والمغرب . وقد تدفقت هجرات هاتين القبيلتين واستوطنتا صعيد مصر ، بطريقة تؤكد عدم تدخل الفاطميين فى ذلك ، بل وتؤكد أن الفاطميين كانوا لا يستطيعون إيقاف تدفق هذه الهجرات إذا كانوا يرغبون فى ذلك .

وبصرف النظر عن السبب فى مجىء بنى سليم وبنى هلال إلى مصر ، فقد أصبح من الواضح فى تلك الفترة ، أن العنصر العربى قد تغلغل تماماً فى مناطق شمال شرق افريقيا .



الامبراطورية البيزنطية
الاتراك السلاجقة
الزيريون
الفاطميون
سيجيلماسا
المرابطون
بنو سليم وبنو هلال
حدود الاسلام
الرباط
أود اغوست
سونغاى
توكولور
مالى
غانا
الغرب المسيحى

سنة ١٠٥٥م

سنة ١٠٥٥

بعد نحو خمس وسبعين سنة من انتقال الفاطميين إلى القاهرة ، تقلصت امبراطوريتهم فى شمال افريقيا وانحسرت حدودها حتى أصبحت قاصرة على مصر وحدها .

فى سنة ٩٨٠ م افلتت مراكش ، وفى سنة ١٠١٤ م انفصلت الإمارات الزيرية بشرق الجزائر ، وفى سنة ١٠٤٩ م انفصلت تونس وطرابلس .

وقد انتقم الفاطميون من تخلى الزيريين عنهم بأن شجعوا بنى سليم وبنى هلال بالهجوم عليهم . وكانت هاتان القبيلتان البدويتان فى طريقهما بالفعل لمغادرة مصر نحو الغرب فرحبتا بهذا التشجيع .

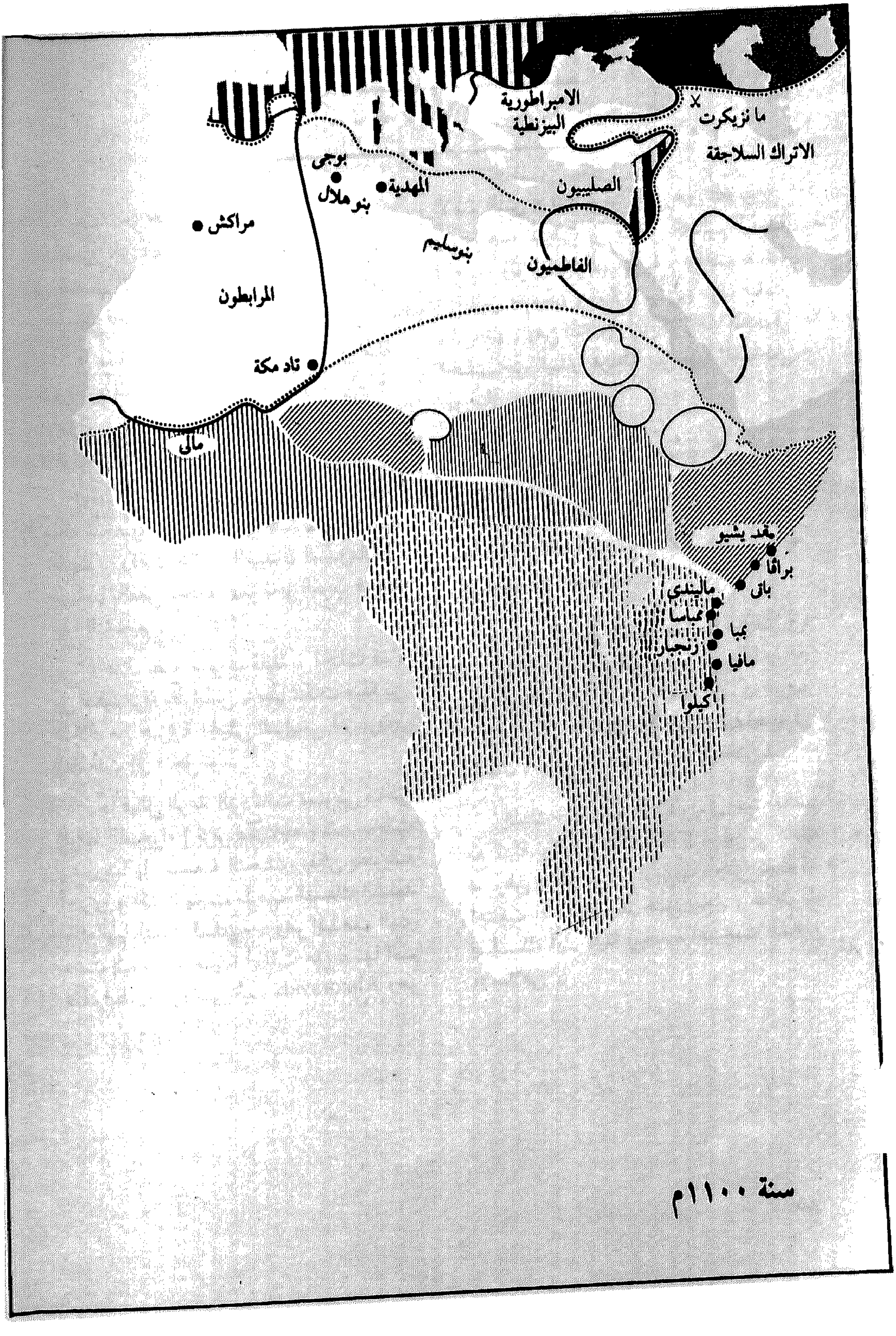
وخلال بضع سنوات قليلة ، احتلت قبيلة بنى سليم برقة وطرابلس ، بينما تمكنت قبيلة بنى هلال من هزيمة الجيش الرئيسى للزيريين وتغلغلت إلى داخل تونس .

أما قبائل الرعاة التى كانت تستوطن مناطق غرب الصحراء [بربر صنهاجه] فقد دخلت بدورها إلى معمعة التحدى ولكن بطريقة أخرى ، فقد انتهجت مذهب التمسك الشديد بالتعاليم الدينية السلفية ، وهو المذهب الذى دعت إليه طائفة جديدة أطلقت على نفسها اسم «المرابطين» أو «المورافيد» Almoravids وهو الاسم الذى عرفت به عند المؤرخين الغربيين . ويدعو هذا المذهب إلى فرض التعاليم الدينية الأصيلة ولو بالقوة العسكرية . وكانت طائفة المرابطين «ترابط» فى مكان سرى عرف باسم «الرباط» . ومن المحتمل أن يكون هذا المكان فى إحدى جزر تيدرا Tidra المواجهة للساحل الموريتانى .

وقد نجحت دعوة المرابطين إلى هذا المذهب الجديد فى منطقة غرب افريقيا . وفى مطلع عقد الخمسينات بعد الألف الميلادية الأولى كانت معظم قبائل صنهاجه قد اعتنقت هذا المذهب وأصبحت من أشد دعاته .

وازداد المرابطون قوة عندما نجحوا فى السيطرة على المدينتين اللتين تقعان فى بداية ونهاية الطريق التجارى الغربى الذى يخترق غرب الصحراء . وهما مدينة «سيچيلماسا» فى الشمال ، ومدينة «أوداجوست» فى الجنوب .

كذلك فقد نجح المرابطون فى عقد تحالف مع قبيلة توكولور Tokolor الزنجية التى كانت تستوطن مناطق النيجر الأوسط ، والتى كانت قد اعتنقت الاسلام منذ جيل سابق ، فاعتبرت بذلك أول قبيلة زنجية اعتنقت الدين الاسلامى .


الامبراطورية
البيزنطية
ما نزيكرت
الاتراك السلاجقة
الصليبيون
الفاطميون
بوجى
المهدية
بنو هلال
مراكش
بنوسليم
المرابطون
تاد مكة
مالى
مقد يشيو
براڤا
باتى
ماليندى
ممباسا
بمبا
زنجبار
مافيا
كيلوا

سنة ١١٠٠م

سنة ١١٠٠

منذ سنة ١٠٥٠ م وحتى نهاية القرن الحادى عشر ، قامت قبائل الرعاة بنشر الدعوة الاسلامية وتدعيم دولة المرابطين فى مناطق غرب افريقيا وجنوب اسبانيا . ففى الفترة بين عامى ١٠٥٦ - ١٠٨٢ م استولى المرابطون على المغرب وغرب الجزائر . وفى الفترة بين عامى ١٠٧٦ - ١٠٨٣ م ، استولوا على مملكتى غانا والسونغاى ، كما ضم المرابطون المناطق المسلمة فى اسبانيا إلى دولتهم قبل حلول عام ١١٠٠ م .

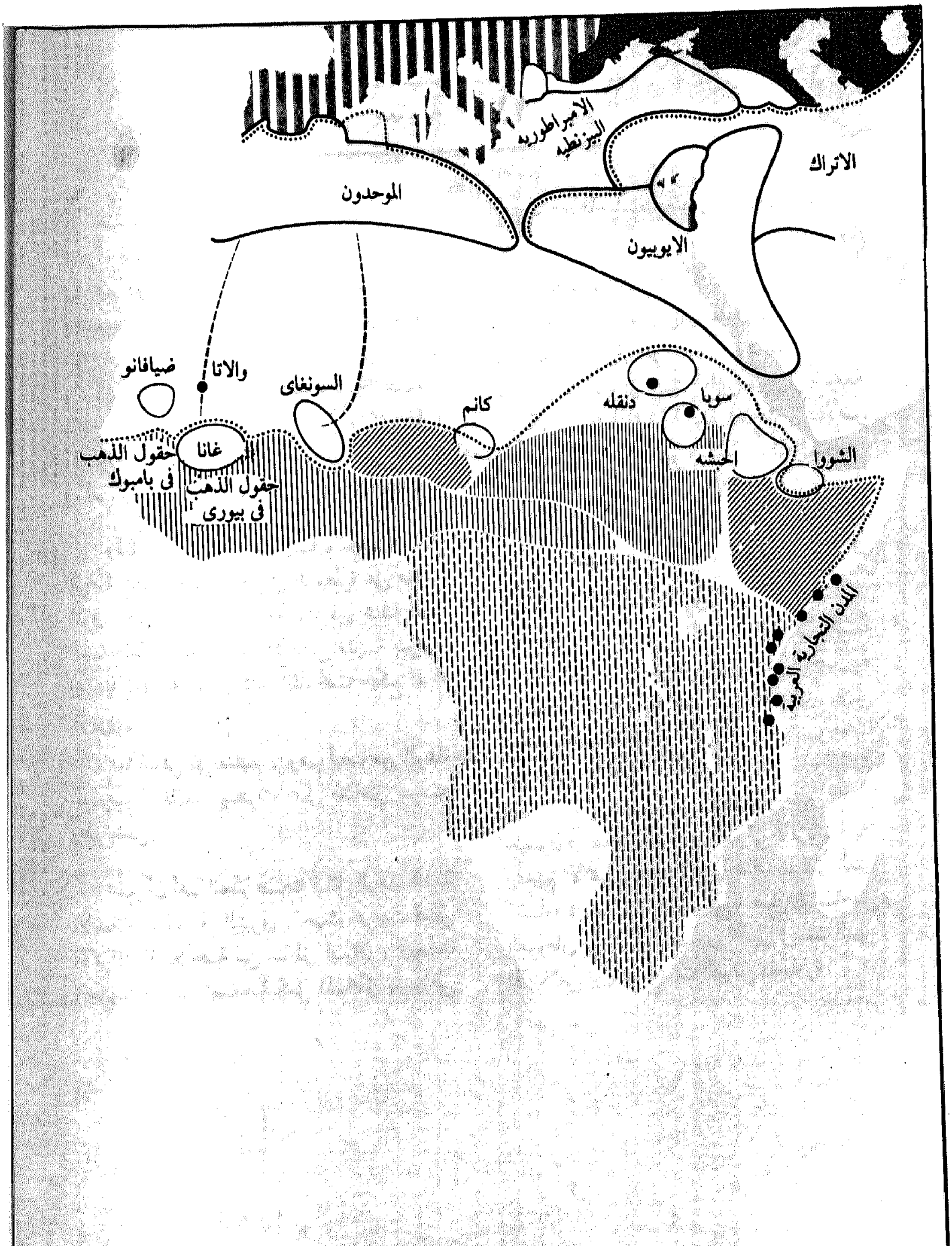
وقبل حلول هذا العام أيضا ، نجحت قبائل الرعاة العرب [الهلالية] فى السيطرة على مناطق شرق الجزائر وتونس . وذلك فيما عدا المدن الساحلية القليلة وعلى الأخص مدينة بوجى ومدينة المهدية اللتين كانتا آنئذ تحت حكم امراء الزيريين .

أما قبائل بنى سليم ، وهم أيضا من الرعاة العرب ، فقد سيطرت على مناطق برقه وطرابلس .

غير أن أهم انجاز صنعته قبائل الرعاة لخدمة الاسلام ، كان فى الشرق . حيث خرجت قبائل الاتراك السلاجقة من مناطق ايران ، وبدأت زحفها الكبير مجتاحة كل المناطق بشرقى السويس ، فاحتلت العراق والقوقاز وسوريا وفلسطين والحجاز .

كذلك فقد كسرت تلك القبائل جمود الهدنة المتربصة بين المسلمين والبيزنطيين ، والتى ظلت قائمة بين الفريقين على مدى ٤٠٠ سنة . وذلك عندما قامت بسحق جيش البيزنطيين فى موقعة مانزيكرت Manzikert سنة ١٠٧١ م . الأمر الذى دعا البيزنطيين إلى الإنتقام ، فقاموا بتجهيز «الحملة الصليبية الأولى» التى حققت بعض النجاح فى سوريا وفلسطين ، ولكنها لم تحقق أى نجاح فى هضبة الاناضول ، حيث أن الأتراك كانوا قد احتلوا تركيا ليبقوا بها .

وفى خلال القرن العاشر الميلادى انشأ التجار العرب مجموعة من المراكز التجارية والمستوطنات على سواحل شرق افريقيا . ومن المحتمل أنهم قد انشأوا تلك المراكز والمستوطنات على الجزر المتاخمة للساحل الافريقى . ولذلك فقد كان تأثير العرب على الأهالى المحليين الذين يعيشون فى مناطق الساحل الشرقى لافريقيا قليلا وعديم الأهمية . وذلك فيما عدا المركز الذى انشأوه فى مدينة مقديشيو على الساحل الصومالى ، والذى لعب دوراً كبيراً فى نشر الدين الاسلامى بين مجموعات القبائل المجاورة .


الامبراطوريه
البيزنطيه
الاتراك
الموحدون
الايوبيون
ضيافانو
والاتا
السونغاى
كانم
دنقله
سوبا
الحبشه
الشووا
غانا
حقول الذهب
فى بامبوك
حقول الذهب
فى بيورى
المدن التجارية العربية

سنة ١٢٠٠ م.

سنة ١٢٠٠

انهارت امبراطورية المرابطين فى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى ، بعد ان استولى «الموحدون» على المغرب والمناطق الاسلامية فى اسبانيا . والموحدون هم طائفة دينية أشد تمسكا بالتعاليم الدينية والمبادىء السياسية التى اشتهرت بها قبائل زناته Zenata وهم من البربر الذين كانوا يعيشون فى جبال أطلس ويعتبرون من أشد اعداء قبائل صنهاجه .

أما فى الجنوب فقد طرد المرابطون من غانا بعد أن استولت على الحكم أسرة مالكة من قبيلة سوسو Susu، وهى قبيلة زنجية كانت تعيش فى منطقة كاناجا Kanaiga وتعتبر فرعاً من قبائل السونينكى .

ولكن هذه الأسرة الحاكمة التى حكمت غانا فى تلك الفترة لم تستطع أن تمد حدود المملكة ناحية الغرب مثلما فعل أسلافهم من قبائل السونينكى حين كانوا يتولون زمام الحكم . وبالتالى لم تستطع قبيلة السوسو ان تخضع لسيطرتها قبائل السونينكى التى ظلت محتفظة بمنطقة ضيافانو Diafanu.

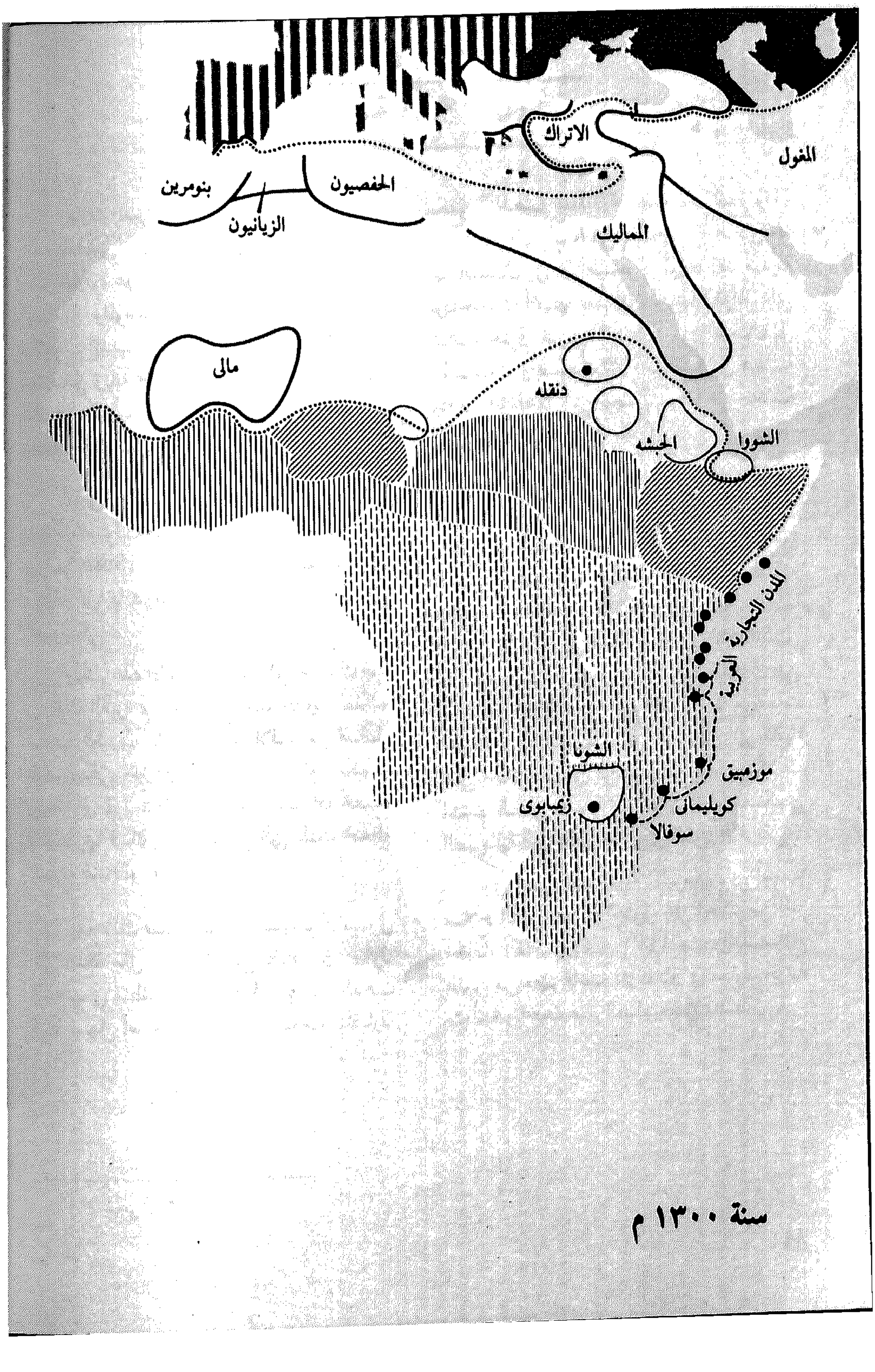
ومع ذلك فقد استطاعت السوسو أن تستولى على مملكة مالى ، وأن تسيطر بالتالى على حقول الذهب فى منطقة بيورى Bure التى كان الذهب فيها اسهل استخراجاً وأغزر انتاجاً بالمقارنة بحقول الذهب التقليدية بمنطقة بامبوك . وكان من نتيجة ذلك أن انتقل النشاط الاقتصادى من نهر السنغال إلى نهر النيجر . كما فقدت مدينة أوداجوست أهميتها بعد أن هجرتها القوافل التى كانت تخترق غرب الصحراء من الشمال إلى الجنوب ، وأصبحت تتجه مباشرة إلى مدينة والاتا Walata التى تبعد شرقاً عن مدينة أوداجوست بنحو ٢٤٠ ميلاً[١] .

وبالرغم من سقوط مملكة مالى ، إلا أن الاسلام ظل محتفظا بنفوذه فى تلك المنطقة بظهور بعض الممالك الاسلامية الجديدة فى مناطق السودان الاوسط . وذلك مثل مملكة كانم Kanem بمنطقة بحيرة تشاد ، والتى تحول ملوكها الذين ينتمون إلى قبيلة سيفاوا Saifawa إلى الاسلام . كما ظهرت إمارة إسلامية أخرى هى إمارة شوا Shoa فى الجانب الشرقى من مرتفعات الحبشة ، كمنافس للمملكة المسيحية التى كانت تحتل الجانب الغربى من هذه المرتفعات . كذلك انتشر الدين الاسلامى بين جميع القبائل الصومالية التى كانت تعيش فى القرن الافريقى .

وفى مصر قامت دولة الأيوبيين التى أسسها صلاح الدين بعد أن استولى على الحكم من آخر الخلفاء الفاطميين سنة ١١٧١ م . واتخذ صلاح الدين من مصر قاعدة للانطلاق فى معارك حربية متعددة وناجحة ضد الصليبيين فى فلسطين .

---

(١) نحو ٣٨٦ كيلو مترا .


الاتراك
المغول
الحفصيون
بنومرين
الزيانيون
المماليك
مالى
دنقله
الحبشه
الشووا
المدن التجارية العربية
الشونا
موزمبيق
كويليمان
زمبابوى
سوفالا
سنة ١٣٠٠ م

سنة ١٣٠٠

تقلص نفوذ دولة الموحدين حتى كاد أن يصبح قاصراً على الاقسام الثلاثة للمغرب وهى من الغرب إلى الشرق : مراكش والجزائر وتونس . ومع ذلك فقد كانت بسيطرتها على هذه الاقسام الثلاثة تبدو أحسن حالاً من دولة المرابطين التى انهارت سواء فى اسبانيا أو فى جنوب الصحراء . أما فى مناطق شمال افريقيا فقد انهارت دولة الموحدين أيضا بنفس السرعة ، ففى خلال ثلاثينات القرن الثالث عشر الميلادى ، أخذ حكام كل من تونس والجزائر فى الاستقلال عن الدولة الأم . وابتداءً من عام ١٢٣٦ م استولت أسرة الحفصيين على تونس واستقلت بحكمها . وفى سنة ١٢٣٩ م استولت أسرة زيان ــ أو الزيانيين ــ على الجزائر واستقلت أيضا بحكمها ، مما أوضح أن الحالة الطبيعية للمغرب هو الانقسام الثلاثى الذى مازال قائما حتى الآن .

أما مراكش فقد ظلت خاضعة لحكم الموحدين لثلاثين سنة أخرى [حتى سنة ١٢٦٩ م] حين استولت عليها أسرة بنى مرين ، وهى فرع آخر من قبيلة زناته .

وخلال القرن الثالث عشر أيضا ، ظهرت امبراطوريتان زنجيتان فى مناطق جنوب الصحراء الكبرى : الامبراطورية الأولى هى امبراطورية مالى التى كانت خاضعة من قبل لحكم ملوك السوسو الجالسين على عرش مملكة غانا . ثم استقلت عن غانا فى بداية هذه الفترة بفضل أحد ملوك قبائل المالينكى ، وهو الملك سوندياتا(١) Sundiata الذى تمكن من الاستقلال بمالى فى سنة ١٢٣٠ م .

وكان سوندياتا ملكا قوياً استطاع فرض نفوذه واخضاع مملكة غانا نفسها ، ثم ضم إلى بلاده الممالك والمدن الأخرى المحيطة مثل : والاتا وتادمكه Tadmekka والسونغاى وبذلك أصبحت امبراطورية مالى أكبر امبراطورية أسسها الزنوج وظلت حتى هذا التاريخ فى مناطق غرب السودان . كما كانت فى الوقت نفسه أكثر هذه الامبراطوريات ثراء وغنى .

وذكر أن أحد ملوك مالى من خلفاء سوندياتا(٢) قام برحلة الحج إلى مكه وأخذ معه كميات ضخمة من الذهب . وعندما وصل إلى القاهرة ، عرض ما معه من الذهب فى السوق ، الأمر الذى أدى إلى تخفيض سعر الذهب بنحو ٢٠ ٪ .

أما الامبراطورية الثانية التى اسسها الزنوج فى تلك الفترة فهى امبراطورية زيمبابوى الكبرى(٣) Great Zimbabwe فى منطقة هضبة روديسيا ، والتى تبعد عن امبراطورية مالى بنحو ٣٥٠٠ ميل [نحو ٥٦٠٠ كيلو متر] باتجاه الجنوب الشرقى . وقد انغمست هذه الامبراطورية بدورها فى عمليات استخراج وتجارة الذهب .

(١) معنى كلمة سوندياتا باللغة الماندية هو «الأسد الجائع» [المترجم] .

(٢) هو الملك مانسا كانكان موسى المشهور باسم «موسى الاسود» [المترجم] .

(٣) كلمة زيمبابوى بلغة البانتو مكونة من مقطعين : زيمبا بمعنى بيوت ، وبوى أو بچى بمعنى أحجار . ومعنى الكلمة إذن هو البيوت الحجرية . [المترجم] .

وفى بداية القرن الثالث عشر أسست قبيلة الشونا Shona، وهى فرع من قبائل البانتو ، هذه الامبراطورية فى مرتفعات هضبة روديسيا . ولحسن حظ هذه القبيلة أنها عثرت على ترسيبات متناثرة من خام الذهب على سطح بعض هذه المرتفعات ، فبدأت فى استغلالها بطريقة منتظمة .

وكانت تقوم بتسويق الذهب فى مدينة سوفالا[1] Sofala التى انشأها العرب الذين كانوا يعيشون فى مدينة كيلوا Kilwa خصيصا كمحطة لتسويق الذهب . وكانت الارباح الطائلة التى تأتى من تجارة الذهب ، تزيد من ثراء مملكة الشونا فى زيمبابوى الكبرى ، كما جعلت مدينة كيلوا أهم المدن الواقعة على الساحل الشرقى الافريقى وأكثرها ازدهاراً .

وأهم الأحداث التى وقعت فى تاريخ هذه الخريطة فى مصر ، هى سقوط دولة الأيوبيين ، وظهور دولة المماليك . وكان ذلك فى عام ١٢٥٠ م . وبالرغم من أن كلمة مماليك معناها «عبيد» الأمر الذى لا يبشر بالخير أو بالقوة لدى الوهلة الأولى ، إلا ان الحال كان على العكس من ذلك تماماً . فقد صاحب نشأة هذه الدولة انبعاث روح جديدة من الحماس ضد الصليبيين .

وقامت دولة المماليك بحملات حربية متكررة وواسعة النطاق ، كان من نتيجتها القضاء على كل ممالك ودويلات الصليبيين فى سوريا وفلسطين . كما ارسلت حملة حربية صغيرة إلى افريقيا ، أدت إلى اهتزاز مملكة دنقله الصغيرة من اساسها .

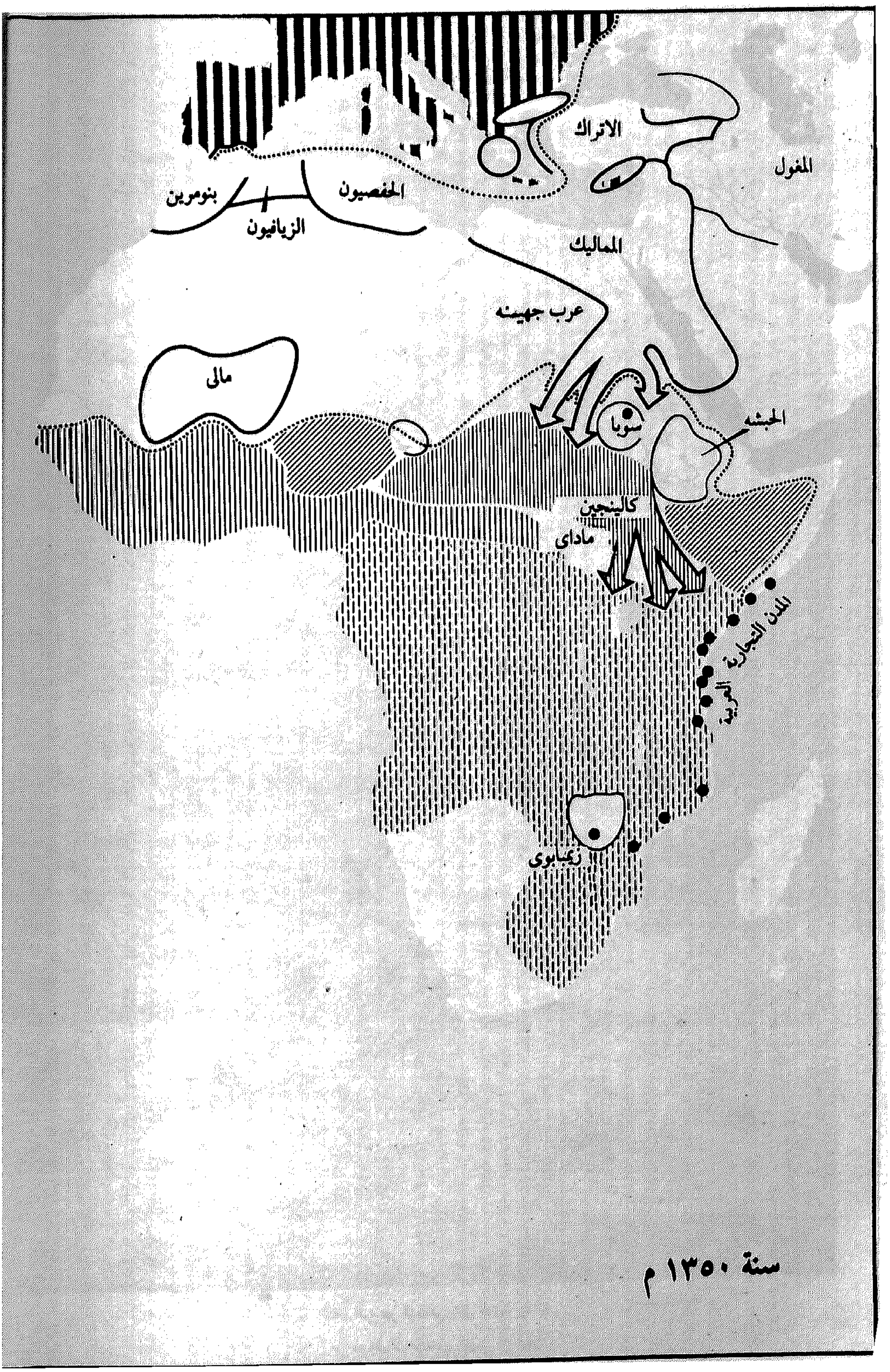
---

(١) إسمها العربى القديم هو سفالة الزنج . أى آخر نقطة وصل إليها العرب فى افريقيا .
[المترجم] .



تمثال قديم من النحاس يمثل جنديا برتغاليا .

من معروضات المتحف القومي في بنين .


الاتراك
المغول
بنومرين
الحفصيون
الزيافيون
المماليك
عرب جهينه
مالى
سوبا
الحبشه
كالينجين
ماداى
المدن التجارية العربية
زيمبابوى

سنة ١٣٥٠ م

سنة ١٣٥٠

لم تستمر مملكة دنقلة فى البقاء طويلا بعد أن نهب المماليك عاصمتها فى عام ١٢٧٦ م . وقد وردت أخبار عن ملك مسلم أجلسه المماليك على عرشها فى سنة ١٣١٥ م . ولكن لم يمضى وقت طويل حتى أطيح بهذا الملك وبمملكة دنقلة نفسها نتيجة لزحف قبيلة عرب جهينه على المنطقة قادمة من الشمال الشرقى .

ومنذ خروج قبيلتى الهلالية وبنى سليم من مصر فى القرن الحادى عشر الميلادى ، عاشت العشائر البدوية فى الحوف الشرقى بصعيد مصر حياة هادئة مستقرة على نحو ما . ولكن سواء أكان هؤلاء البدو قد ازدادوا عدداً ، أو وفدت إليهم عشائر بدوية أخرى قادمة من شبه الجزيرة العربية ، فقد أصبح لزاما عليهم ان يقوموا بهجرة جديدة .

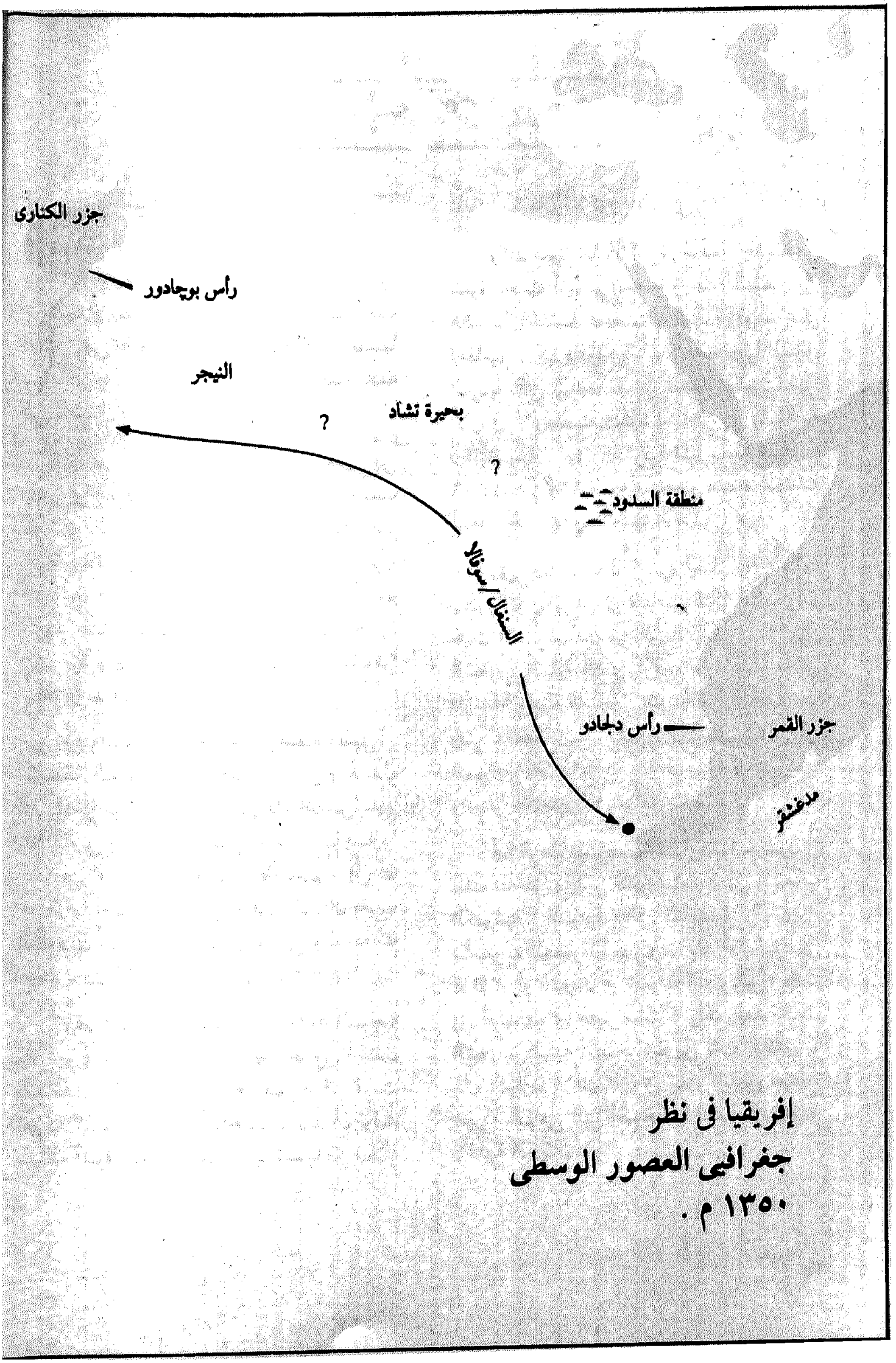
وقد استقر عرب جهينه على ضفاف النيل فى المنطقة الواقعة بين الجندل الثانى والجندل السادس ببلاد النوبة . كما قام البعض منهم بالتوغل إلى مناطق أكثر بعداً ، فاجتازوا الصحراء الغربية ومعهم قطعانهم ، إلى أن استقروا أخيراً فى منطقتى دارفور وكردفان بغرب السودان حيث توجد بعض المراعى والمنتجعات الفقيرة .

وقد احتفظت إمارة سوبا Soba المسيحية ببقائها فى المنطقة النوبية الواقعة جنوبى الجندل السادس على نهر النيل . وفى نفس الوقت قويت شوكة المملكة المسيحية بالحبشة ، بعد أن تولت الملك أسرة حاكمة جديدة تعتبر نفسها من سلالة الملك سليمان المذكور بالانجيل .

وكان ملوك هذه الاسرة الحاكمة الجديدة من القوة بحيث أنهم لم يوقفوا زحف المسلمين إلى هضبة الحبشة فحسب ، بل وردوهم على اعقابهم . كما قاموا أيضاً بالزحف نحو القبائل الوثنية التى كانت تعيش بمناطق جنوبى النيل الازرق . وضمت هذه المناطق إلى المملكة الحبشية . وفى الفترة ما بين عامى ١٣١٦ - ١٣٣٠ م ، أصبحت هذه المملكة ضعف حجمها ومساحتها الأصلية .

وفى خلال تلك الفترة أيضاً ، حدثت تطورات وتغيرات فى مناطق النيل الأبيض ، حيث قامت قبيلتان من الرعاة الذين ينتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية وهما : قبيلة ماداى Madai وقبيلة كالنچين Kalenjin بالزحف نحو جنوب منطقة السدود ، إلى أن استقر الماداى على السواحل الشمالية الغربية لبحيرة ڤيكتوريا ، واستقر الكالنچين فى مرتفعات كينيا .

أما الرعاة السابقون الذين كانوا يعيشون فى تلك المناطق والذين كانوا ينتمون إلى الشعوب الكوشية [النوبية] التى كانت لم تزل تعيش بأسلوب العصر الحجرى ، فقد أوشكوا على الاندثار أو الذوبان فى شعوب البانتو التى زحفت إلى أقاليمهم فى عصر سابق . ولكن بعد وصول الشعوب النيلية الصحراوية إلى تلك الأقاليم ، مال التوازن الاقتصادى فى تلك المناطق لصالح حرفة الرعى التى أصبحت الحرفة الرئيسية لأغلبية السكان .



إفريقيا فى نظر
جغرافيى العصور الوسطى
١٣٥٠ م.

افـريقيا سنـة ١٣٥٠ م
فى نـظر جغرافيى العصور الوسطى

حتى سنة ١٣٥٠ م لم يتوفر سوى قدر ضئيل من المعلومات الجغرافية عن القارة الافـريقية ، أضيف إلى المعلومـات الجغـرافيـة التى كـانت معروفة منـذ سنة ٢٠٠ م . فمن نـاحية غـرب القارة ، كانت رأس بوجادور Cape Bojador لم تزل تعتبر أقصى نقطة يمكن الوصول إليها عن طريق السفن والرحلات البحرية .

أمـا فى شـرق القـارة فقـد امتـد الـطريق التجـارى البحرى وتجـاوز منطقـة رأس دلجادو Cape Delgado حتى وصل جنوباً إلى منطقـة سوفالا [سفالة الـزنج] . وقـد نتج عن هـذا الامتـداد اكتشـاف «جـزر القمـر» Comoro Isles، وهى مجموعة من الجزر لم تكن مأهولة من قبل ، ولكنها سرعان ما استوطنت بخليط من شعوب العرب ومالاجاسى Malagasy والبانتو والمدغشقريين .

وحتى هـذا القدر الضئيـل من المعلومـات الجغرافية التى توفرت فى تلك الفتـرة كان محـل نظر . فقد أطلق العرب اسم جزر القمر على كل من مجموعة جزر كومـورو وجزيـرة مدغشقـر . الأمر الذى يحتمل معه ألا يكون العرب قد توغلوا إلى المناطق الداخلية بجزيرة مدغشقر ، والذى يؤكد قطعاً انهم لم يطوفوا مبحرين حولها .

أمـا المناطق الافـريقية التى تـوفـرت عنهـا معلومات جغرافية كثيرة فى تلك الفتـرة ، فهى مناطق غرب السودان على طول الساحل العشبى للصحـراء الكبرى الممتـد من نهر السنغال حتى بحيرة تشاد ، حيث اصبحت هذه المناطق كلها تابعة للعالم الاسلامى ، وكانت تزورها باستمرار وبـانتظام القـوافل التجـارية التى كـانت تخترق الصحراء . ولهذا السبب فقد عرفت عنها الكثير من المعلومات التى كانت تدرس بالمراكز العلمية الاسلامية .

ومعظم المعلومات الجغرافية التى توفرت ، كانت عن المناطق الواقعة عند منحنى نهر النيجر نحو الشمال ، وهى المناطق التى كانت تسيـطر عليها امبراطورية مالى . كما تـوفرت معلومـات قليلة عن منـاطق نهر السنغال ومنـاطق بحيـرة تشاد .

أمـا المناطق الـواقعة عـلى ضفـاف النيجـر الأدنى ، فلم تتوفر عنها أية معلومات سوى بعض الأخبار الغريبة التى تثير الدهشة .

وقد اعتنق الجغرافيون العرب الفكـرة التى قال بها «بطلميوس الجغرافى» من قبل ، وهى أن نهر النيل ينبع من سلسلة جبـال تقع فى شـرق افريقيا ، وانه يتخذ مجراه نحو الشمال انطلاقـا من بحيرة كبرى .

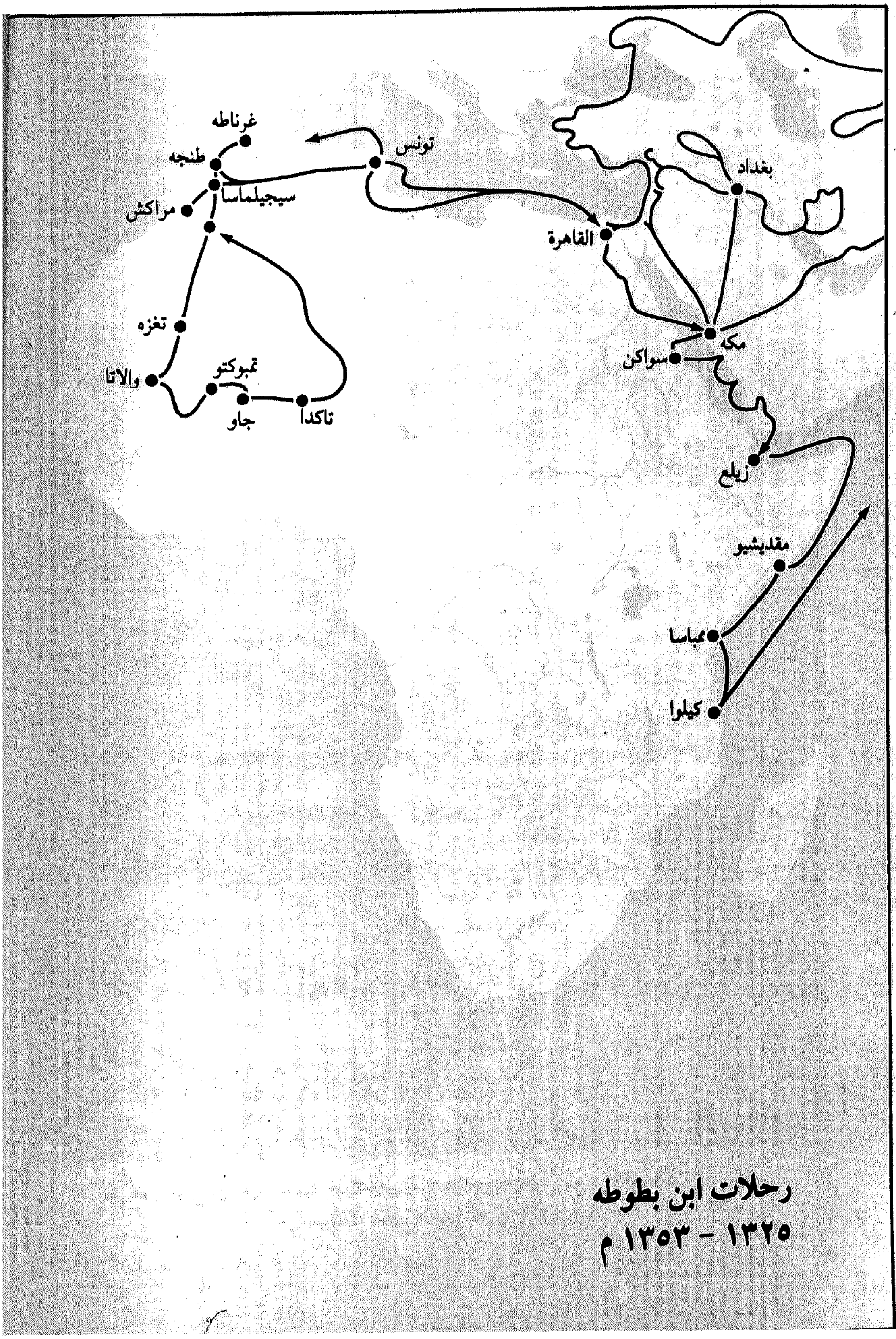
ومـع ذلك فقـد اعتقد معـظم الجغرافيـين العرب أن النيجر يعتبر فرعاً من فروع النيل ، بل وكـانوا يسمـون نهر النيجر نفسـه بـاسم «نيـل الزنوج» . وكانوا يقولون بأن مجراه يمتد حتى يصل إلى بحيـرة تشاد ، ويخـرج منها ممتـداً إلى بـلاد النـوبة ، حيث يتقـابـل مـع «النيـل الافـريقى الشرقى» فيتحد معه فى مجرى واحد يتجه نحـو

الشمال وهو «نيل المصريين» !

ورغم ما فى تلك المعلومات من أخطاء واضحة ، إلا أنها تعتبر أفضل من بعض المعلومات غير السليمة الاخرى التى قال بها قلة من الجغرافيين العرب ، الذين ذكروا أن كلاً من نهرى النيجر والسنغال ، يعتبر ذراعاً ممتداً داخل الأرض قادماً من البحر ، وهى معلومات تتجاهل أبسط البديهيات !



علم مطرز مصنوع من الخيوط القطنية المجدولة خاص بأحد ملوك بنين القدماء ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر.
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بفيينا بالنمسا.



رحلات ابن بطوطه
١٣٢٥ - ١٣٥٣ م

رحلات ابن بطوطه
[١٣٢٥ - ١٣٥٣ م]

لم يظهر فى عالم العصور الوسطى مستكشفون جغرافيون بمعنى الكلمة . ومع ذلك فيمكن القول بظهور مجموعة من «الرحالة» العظام ، أجلهم شأناً وأكثرهم شهرة الرحالة الافريقى العظيم «ابن بطوطه» .

ولد ابن بطوطه فى مدينة طنجه سنة ١٣٠٤ م . وقام برحلة الحج إلى مكة فى سنة ١٣٢٥ م . ومنها انطلق فى رحلة طويلة زار خلالها معظم مناطق الشرق الأدنى . ثم قام بعد ذلك برحلة إلى مناطق الساحل الشرقى لافريقيا ، حتى وصل إلى مقديشيو وممباسا وكيلوا فى سنة ١٣٣١ م . ومنها انطلق إلى الهند التى ذكر عنها بعض المشاهدات الغريبة .

وفى سنة ١٣٤٩ م . عاد ابن بطوطه إلى موطنه الأصلى بالمغرب . ولكنه لم يستقر هناك طويلاً ، فقد كان عليه القيام برحلتين أخريين يستكمل بهما زيارة كل بلاد العالم الاسلامى .

وفى العام التالى قام بالرحلة الأولى وكانت رحلة سهلة ، عبر فيها مضيق جبل طارق ، وزار المناطق الاسلامية القليلة التى كانت لم تزل موجودة فى اسبانيا .

أما الرحلة الثانية فقد استغرقت وقتاً أطول ، واكتنفها الكثير من العناء والمشقة . ومن سيچيلماسا حيث تتجمع القوافل قبل انطلاقها لاختراق الصحراء ، بدأ ابن بطوطه رحلته قاصداً مناطق غرب السودان بصفة عامة ، ومنطقة مالى على وجه الخصوص .

ومثل معظم الرحالة الآخرين ، كانت فى الاخبار التى ذكرها ابن بطوطه عن رحلاته ومشاهداته ، كثير من المبالغات التى تتجاوز حدود الحقيقة . كما أنه ادعى زيارة أماكن وبلاد لم يزرها فى حقيقة الأمر . [الصين على سبيل المثال] .

ومع ذلك لم يشك أحد فى المعلومات التى ذكرها عن مالى ، والتى تناول فيها أوصافاً تفصيلية دقيقة عن ذلك الخليط العجيب من التعاليم الاسلامية والعقائد والعادات المحلية ، الذى كان سائداً بين الملك وأفراد البلاط الملكى .

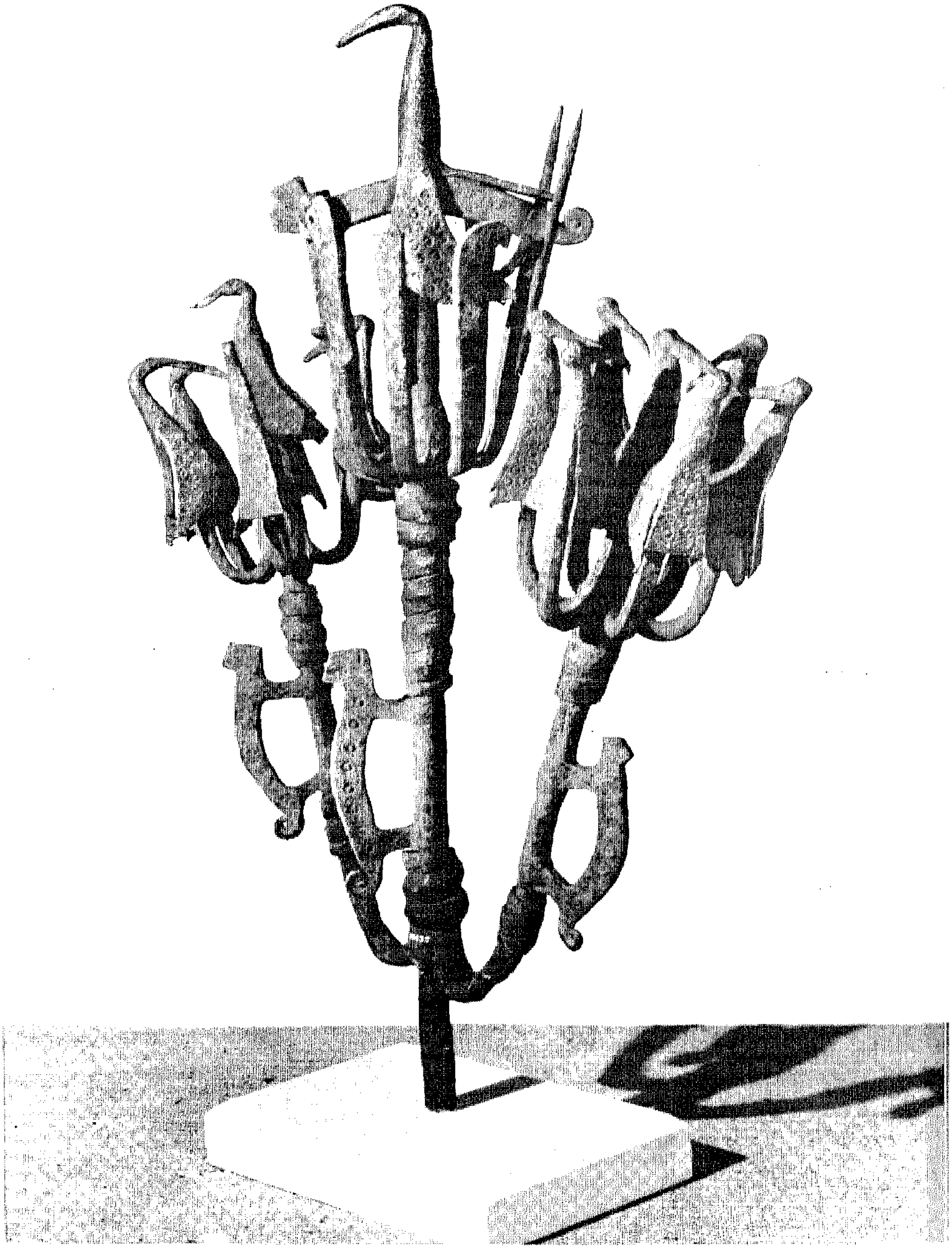
كذلك فقد سجل ابن بطوطه الكثير من تعليقاته المتزمتة والتى تراوحت بين الإعجاب الشديد بقواعد الأمن ومبادىء الحكم العادل التى كانت تسود أرجاء المملكة ، والسخرية والاستهزاء الشديد بالطقوس الاحتفالية المحلية ، وبالمنح والهدايا التى كانت تعطى لطلبة العلم ، والغضب والاستنكار لرؤية أجساد الفتيات والنسوة الصغيرات عارية تماماً لا يسترهن شىء .

كما ذكر ابن بطوطه تقريراً كئيباً يثير الشجن عن ازدهار نظام العبيد ورواج تجارة الرقيق . وذكر أنه عندما شرع فى العودة إلى موطنه بالمغرب ، سافر ضمن قافلة تضم ٦٠٠ جارية من النسوة والفتيات اللاتى أخذن من تاكيدا Takedda ليبعن فى اسواق العبيد فى الشمال . كما ذكر أن تجارة العبيد من الذكور والأناث

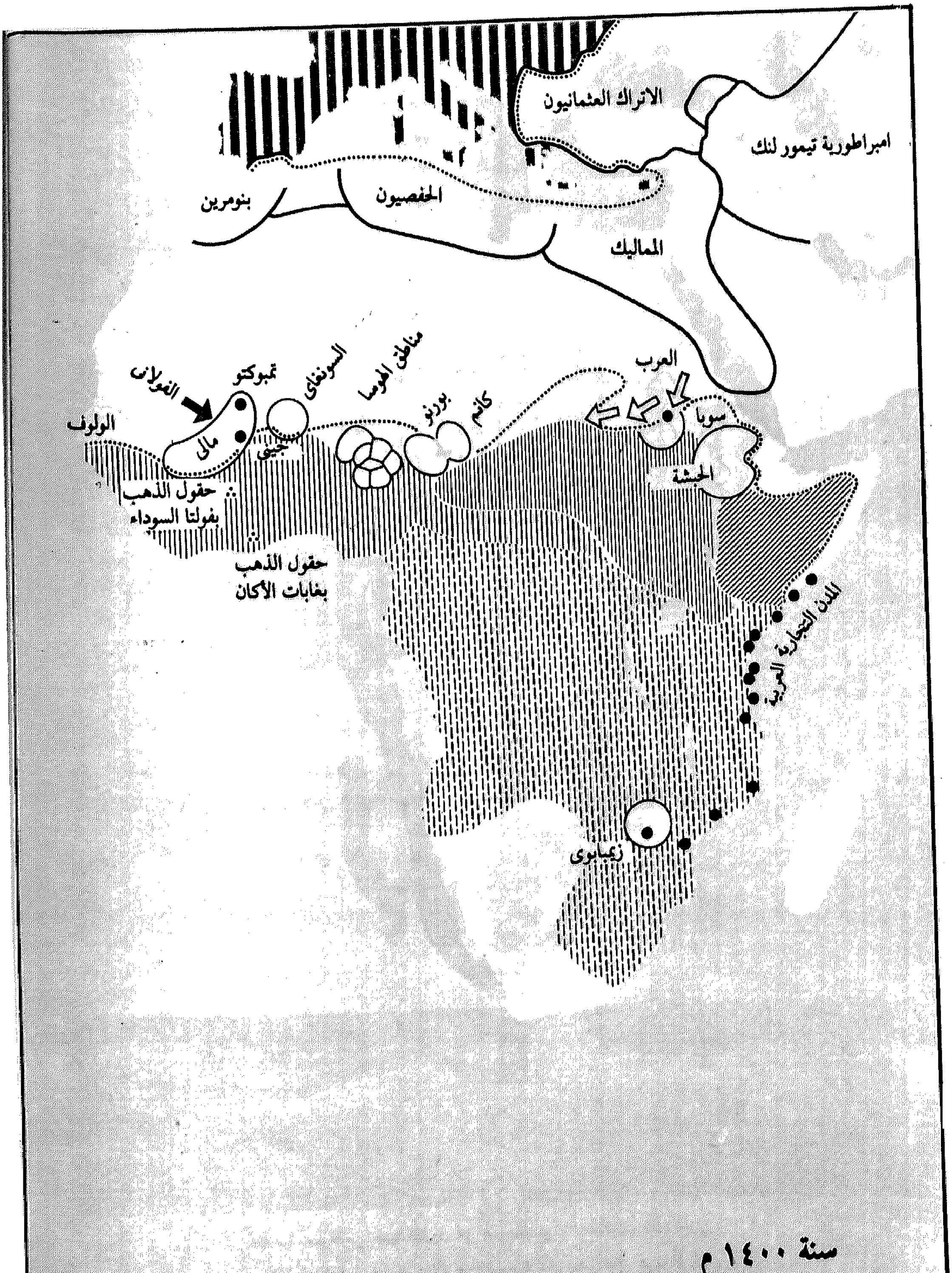
أصبحت تنافس تجارة الذهب . كما أن هاتين السلعتين أصبحتا أهم صادرات مناطق غرب السودان ، بل ومناطق الساحل الشرقي لافريقيا على حد سواء .

وفى سنة ١٣٥٣ م عاد ابن بطوطه إلى موطنه واستقر فيه بقية حياته . وهناك أمر السلطان بتخصيص كاتب ليكون تحت تصرف ابن بطوطه ، وليدوّن ما يمليه عليه من أخبار وذكريات الرحلات والمشاهدات التى مرت فى حياته . وفى آخر فصل من الكتاب الذى دونه هذا الكاتب عن رحلات ابن بطوطه ، كتب يقول : «وهكذا يتضح لنا أن هذا الشيخ هو أعظم رحالة العصر والأوان . . . » .

وهو قول صادق بالفعل .



تحفة فنية مصنوعة من الحديد المطروق تمثل مجموعات من طائر البلشون « مالك الحزين » .
كانت تستخدم في بعض الأغراض السحرية لدى بعض قبائل غرب أفريقيا .
من معروضات متحف التاريخ الطبيعي بشيكاجو .



الاتراك العثمانيون
امبراطورية تيمور لنك
بنومرين
الحفصيون
المماليك
تمبوكتو
الفولاني
السونغاي
مناطق الهوسا
بورنو
كانم
العرب
سوبا
الولوف
مالي
جيني
الحبشة
حقول الذهب
بفولتا السوداء
حقول الذهب
بغابات الأكان
المدن التجارية العربية
زمبابوي
سنة ١٤٠٠ م

سنة ١٤٠٠

فى بداية مطلع القرن الخامس عشر الميلادى ، إنتهى عصر أزدهار امبراطورية مالى ، وبدأت فترة انحسارها . فقد فقدت سيطرتها على مملكة السونغاى ، وزال سلطانها على مناطق نهر السنغال . وانضوى الأهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك المناطق تحت لواء أقوى قبيلة محلية ، وهى قبيلة الولوف Wolof أما قبيلة الفولانى Fulani وهى من قبائل الرعاة ، فقد بدأ زحفها تجاه الشرق لتستقر على ضفاف نهر النيجر .

ومع ذلك فقد احتفظت مالى بعمادها الاقتصادى ، وهو استخراج وتجارة الذهب لفترة أطول ، بالرغم من ظهور الذهب بكثرة فى مناطق أخرى خارج المملكة ، مثل حقول الذهب الجديدة فى ڤولتا السوداء Black volta وفى منطقة غابات الأكان Akan forests وبدأ الذهب المستخرج من هاتين المنطقتين يتدفق عبر الطرق المائية ليتجمع فى النهاية فى مدينتى چينى Jenne وتمبوكتو Timbuctoo اللتين أصبحتا محطتى قيام للقوافل التى تخترق الصحراء تجاه الشمال .

وفى مطلع القرن الخامس عشر أيضا خرجت أول معلومات تاريخية لاشك فيها عن المناطق الواقعة بالساحل العشبى الممتد من نهر النيجر حتى بحيرة تشاد . ففى الجزء الغربى والجزء الأوسط من هذا الشريط بدأ ظهور سبع مدن جديدة أنشأتها قبائل الهوسا Hausa تميزت عن سائر المناطق المحيطة ، بأن كل مدينة منها كانت تتخذ شكل « المدينة/الدولة » City State وكانت أهمها مدن : كانو ، وكاتسينا ، وزايرا ، وجوبير Kano ، Katsina ، Zaira ، Gobir

أما فى الجزء الشرقى من الساحل العشبى ، فقد ظهرت وحدة سياسية جديدة هى مملكة بورنوه Bornu (١) أسسها أحد الملوك المنفيين من مملكة كانم بعد أن استولت قبيلة البولالا Bulala على تلك المملكة .

ولم يعرف على وجه التأكيد ما إذا كانت البولالا عشيرة متفرعة من قبيلة ، أو أنها قبيلة متفرعة من شعب الكانورى Kanuri people الذى كان يعيش فى مملكة كانم ، أو أنهم من الرعاة الذين غزوا تلك المنطقة قادمين من ناحية الشرق .

وأيا كان شأن هؤلاء البولالا ، فقد استولوا على عرش مملكة كانم . وخرجت الاسرة المالكة التى كانت تحكم كانم ، وكونت مملكة جديدة هى مملكة بورنوه . أما الشعب الأصلى الذى كان يعيش فى منطقة بورنوه [وهو من الشعوب التشادية مثل قبائل الهوسا] فقد بدأ يتعرض لخطر فقد صفاته البشرية وهويته السياسية .

وهكذا ساد الاسلام جميع القبائل والشعوب التى كانت تعيش فى الساحل العشبى الممتد جنوب الصحراء الكبرى ، ابتداء من قبيلة الفولانى التى تستوطن نهر السنغال من ناحية الغرب ، إلى العرب الذين كانوا يستوطنون النيل الأعلى ناحية الشرق .

---

(١) هناك اسطورة شائعة بين أهالى تلك المناطق المحيطة ببحيرة تشاد ، تقول أن هذه المناطق هى نفسها الأرض التى عاش عليها سيدنا نوح عليه السلام لذلك أطلقوا عليها اسم بورنوه ومعناه « أرض نوح» فى اللغة المحلية [المترجم] .

ولكن مفهموم الاسلام الذى ساد فى تلك المناطق الشاسعة من افريقيا قد يثير دهشة المسلمين الذين يعيشون فى شبه الجزيرة العربية على سبيل المثال . فقد اختلطت فيه الطقوس والعبادات الاسلامية الحقيقية بالطقوس والعقائد والمعتقدات الروحية التى كانت سائدة بين تلك الشعوب والقبائل قبل دخولها الاسلام ، والتى قد تختلف بين قبيلة وأخرى أو بين شعب وآخر .

وعلى سبيل المثال فقد كان هذا الاختلاط بين مبادىء الدين الاسلامى والعقائد والطقوس الافريقية المحلية مماثلا لذلك الاختلاط بين مبادىء المسيحية والعقائد المحلية التى تسود الآن بين شعب البرازيل فى أمريكا الجنوبية .

ومعنى هذا أن الخط المنقط الذى يظهر بهذه الخريطة ليبين حدود العالم الاسلامى ، يعنى - على الأقل بالنسبة للساحل العشبى الافريقى - أنه خط يبين الشعوب المتأثرة ببعض التعاليم والمبادىء الاسلامية ، أكثر منه خط يبين الحدود الفاصلة بين المجتمعات الاسلامية والمجتمعات غير الاسلامية .

وعلى أية حال فإن هذا الخط لن يظهر مرة أخرى على الخرائط التالية . فقد بدأ انتشار الاسلام فى الانحسار البطىء . ومع ذلك فسوف نشير إلى مآل الاسلام فى افريقيا مرة كل مائة سنة(١) .

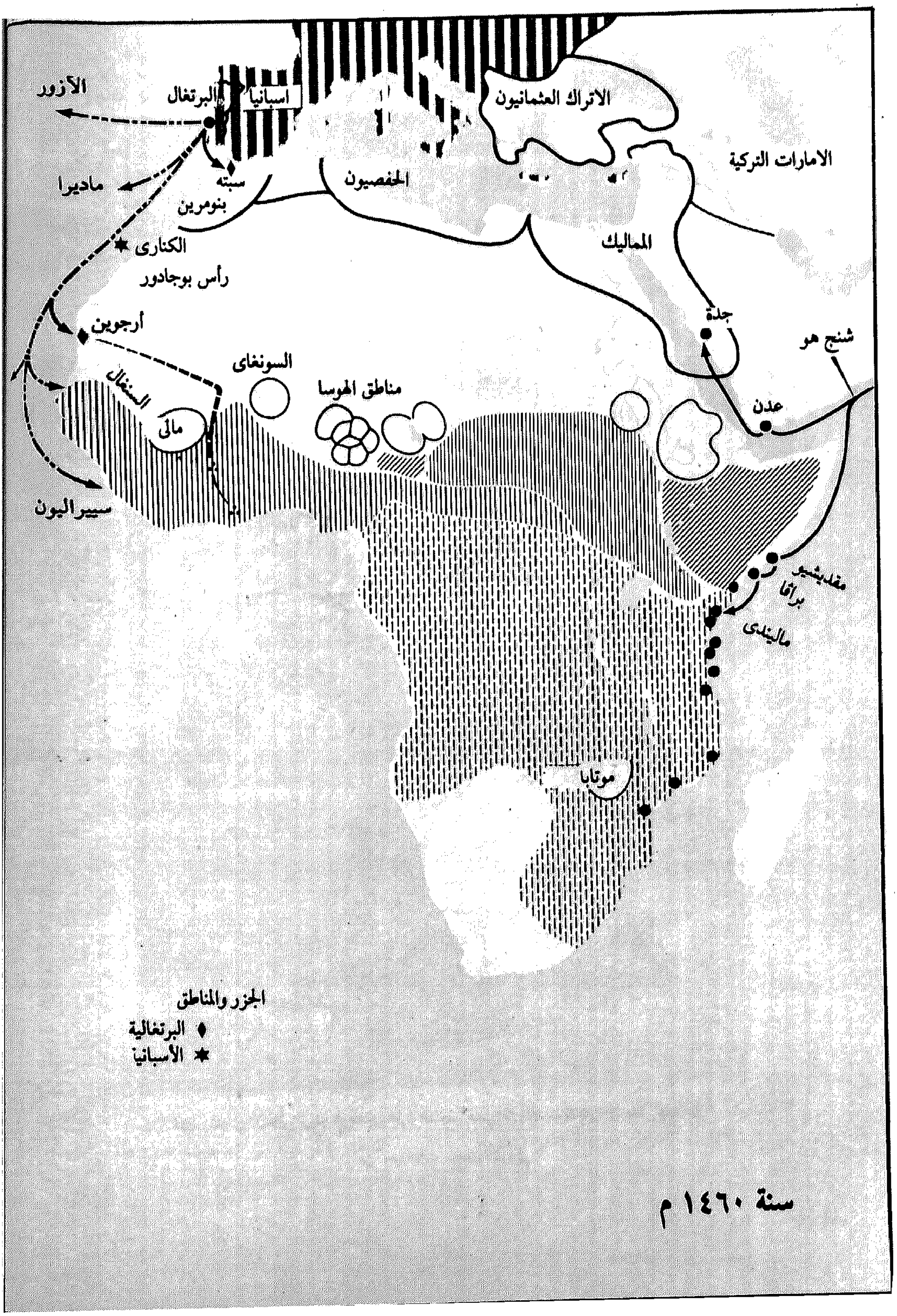
---

(١) ملحوظة : عندما سيظهر هذا الخط المنقط مرة أخرى فى الخريطة السياسية الخاصة بسنة ١٦٠٠م ، فسيكون ذلك للدلالة على الحدود الجنوبية للمناطق الاسلامية . أما الحدود الشمالية لهذه المناطق فسوف تفهم ضمنا بمجرد النظر إلى المهطقة المظللة بالخطوط والتى تبين نطاق وحدود المسيحية . على أن يكون مفهوماً أن تلك المناطق المظللة بالخطوط ستصبح من الآن فصاعداً علامة مميزة للمسيحية الغربية والشرقية على حد سواء وعند ظهور هذه المناطق المظللة بالخطوط على خريطة افريقيا ، فهذا يعنى أننا نشير إلى المناطق الافريقية التى تعرضت للغزو والاستعمار الاستيطانى من جانب الدول الأوروبية .



تمثال رائع من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر يمثل أحد ملوك بنين القدماء يركب حماراً .

من معروضات متحف ليڤربول .



الأزور
البرتغال
اسبانيا
الاتراك العثمانيون
الامارات التركية
ماديرا
سبته
بنومرين
الحفصيون
المماليك
الكناري
رأس بوجادور
أرجوين
جدة
شنج هو
السونغاي
مناطق الهوسا
السنغال
مالى
عدن
سيراليون
مقديشيو
براقا
ماليندى
موتابا
الجزر والمناطق
البرتغالية
الأسبانيا
سنة ١٤٦٠ م

سنة ١٤٦٠

خلال القرن الخامس عشر ، ظهرت طرز محسنة من السفن البحرية فى كل من الصين وأوربا . ففى الصين ظهر طراز من السفن الشراعية يسمى الجنك أو الينك Junk ، وهى سفن ضخمة متعددة الأشرعة وتصل حمولتها إلى نحو ٢٠٠٠ طن . وقد تمكن الصينيون بهذه السفن ، من أن يبحروا فى مناطق المحيط الهندى وأن يصلوا إلى سواحل شرق افريقيا .

غير أن الصينيين لم يحققوا أية اكتشافات جديدة خلال تجوالهم بمناطق المحيط الهندى ، فقد سبقهم العرب منذ قرون طويلة بالتجول عبر الطرق والممرات البحرية فى هذا المحيط .

وفى سنة ١٤١٧م وصل اسطول من السفن الصينية إلى سواحل شرق افريقيا . وجمع الصينيون بعض التحف والحيوانات المدهشة لهم مثل الزراف . وتبين لهم أن كل ما جمعوه لم يكفل تغطية مصاريف الرحلة البحرية الطويلة . وبالتالى فلم تتردد السفن الصينية على السواحل الافريقية مرة أخرى .

أما البرتغال فقد استطاعت أن تشيد طرازاً من السفن الشراعية يسمى الكراڤل Caravel وهى سفن خفيفة سريعة الحركة صغيرة الحجم لا تزيد حمولتها عن ٢٠٠ طن . ولكنها أكثر صلاحية من الناحية الملاحية ، وأقل تكلفة من ناحية التشغيل إذا قورنت بطراز الجنك من السفن الصينية .

وقد رأى الأمير البرتغالى « هنرى الملاح »(١) أن هذا الطراز من السفن الشراعية الصغيرة ، يمكن الاعتماد عليه لتحقيق الطموحات البرتغالية فى القيام بالرحلات الاستكشافية البحرية ذات العائد الاقتصادى ، ولتحقيق أطماع البرتغال فى السيطرة وفرض النفوذ على مناطق أخرى . وكانت أفريقيا على وجه الخصوص أهم وأقرب المناطق التى يهتم بها.

وفى سنة ١٤١٥م ، شارك هذا الأمير ، وكان عمره ٢٢ سنة ، فى أول مغامرة بحرية قامت بها البرتغال وأدت إلى احتلال مدينة « سبته » Ceuta المغربية . وبالتحقيق مع بعض أسراه من المغاربة ، عرف الأمير أسرار تجارة الذهب والعبيد ، والدور الذى تؤديه الطرق التى تخترق الصحراء من المغرب حتى مالى . وهنا ثار التساؤل بين البرتغاليين : هل يمكن أن يصلوا إلى مالى عن طريق الابحار بموازاة سواحل غرب افريقيا لتستأثر البرتغال بتجارة العبيد والذهب ، وبالتالى تقطع الطريق على المغاربة ؟

ولكن الاجابة على هذا التساؤل كانت بالنفى ، فعلى مدى ١٨ سنة متوالية ، لم يستطع الأمير هنرى أن يقنع أحداً من قباطنة السفن البرتغالية ، بالابحار إلى أية منطقة افريقية تقع جنوب رأس بوجادور . وكان خوف القباطنة من الاقدام على الابحار جنوباً ، يرجع إلى أن الرياح تهب فى هذه المنطقة دائما من ناحية الشمال ، الأمر الذى قد تستحيل معه رحلة العودة إلى الوطن مرة أخرى .

---

(١) هنرى الملاح : ابن يوحنا الأول ملك البرتغال . كانت له رغبة عارمة فى توسيع معلوماته عن افريقيا . واشرف على تأسيس ترسانة لصناعة السفن ، ومرصداً ومدرسة لدراسة الجغرافيا والملاحة البحرية . [المترجم]

كذلك فقد فشل الأمير هنرى فى فرض نفوذ البرتغال على مجموعات البحارة المغامرين الذين ينتمون إلى بعض الدول الأوربية المختلفة ، والذين استطاعوا أن يستوطنوا أقرب الجزر فى أرخبيل الكنارى فى الفترة الواقعة ما بين عامى ١٤٠٢ - ١٤٠٥م . وذلك بعد أن أعلن هؤلاء المستوطنون الجدد ولاءهم لأسبانيا .

ومع ذلك فبالمثابرة استطاع البرتغاليون ان يتعلموا سبل الملاحة فى البحار المفتوحة ، واستطاعوا بالتالى أن يستكشفوا ويحتلوا جزيرة ماديرا Madeira سنة ١٤٢٠م . وجزر الآزور Azores سنة ١٤٣١م . كذلك استطاعوا أن يكتشفوا الطريقة الفنية التى تمكنهم من السيطرة على أشرعة السفن وادارتها بالكيفية التى تمكنهم من الاقلاع والابحار ضد مهب الريح .

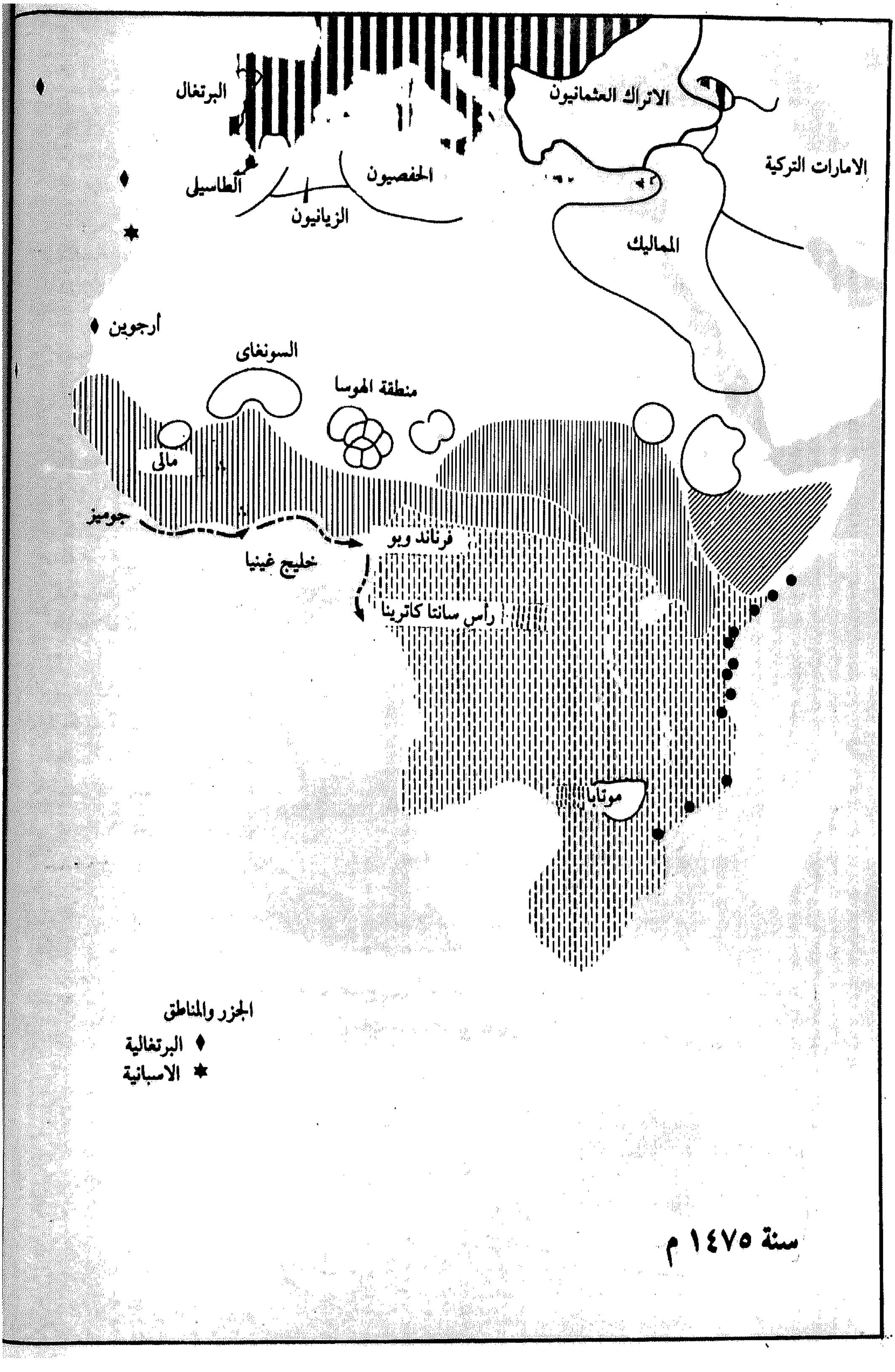
وفى سنة ١٤٣٤م استطاع الأمير هنرى أن يقنع أحد قباطنة سفنه بالإبحار لا ستكشاف ما وراء رأس بوجادور وبالفعل وصلت السفينة إلى هذه الرأس ، ثم تجاوزتها جنوباً بمسافة نحو ٣٠ فرسخاً [حوالى ١٦٦٫٨كم] ثم غيرت السفينة اتجاهها وقفلت راجعة إلى رأس بوجادور مرة أخرى قبل أن تعود مرة أخرى إلى البرتغال .

وبعد ذلك تطورت الأمور بسرعة . وخلال عشر سنوات استطاعت السفن البرتغالية أن تقوم بزيارة مصب نهر السنغال كما استطاعت الوصول إلى منطقة سيراليون Siera Leone قبل موت الأمير هنرى سنة ١٤٦٠م . وأهم من هذا كله هو العائد الاقتصادى الذى عاد على البرتغال نتيجة للقيام بتلك الرحلات . فمن نقطة انطلاق أقامها البرتغاليون فى جزيرة أرجوين Arguin المجاورة للشاطىء الافريقى ، استطاعوا أن يتسللوا إلى الداخل وأن يقتطعوا لأنفسهم جزءاً من تجارة الذهب التى كانت تتم عبر الطرق الصحراوية .

ونشير أخيراً إلى بقية أهم الأحداث التاريخية التى وقعت فى أفريقيا فى تلك الفترة ، وهى تقلص نفوذ إمبراطورية مالى التى فقدت سيطرتها تماماً على طريق چينى/تمبوكتو التجارى . كذلك فقد هجرت مملكة الشونا Shona موقعها فى زيمبابوى ، واتجهت شمالاً وأسست مملكة أخرى هى مملكة موتابا Mutapa . وكان الذهب فى منطقة زيمبابوى قد نضب تماماً أو أوشك على النضوب . أما منطقة موتابا الجديدة فمازالت تنتج الذهب حتى الآن ، وإن كان ذلك بكميات ضئيلة . وهكذا يمكن القول بأن عصر ازدهار تجارة الذهب فى مناطق جنوب وشرق افريقيا قد ولى وأصبح من الذكريات .



حامل حديدى لمصباح زيتى قديم . من صناعة حدادى بنين القدماء .
من معروضات متحف التاريخ الطبيعى بشيكاجو .


البرتغال
الاتراك العثمانيون
الامارات التركية
الطاسيلى
الحفصيون
الزيانيون
المماليك
أرجوين
السونغاى
منطقة الهوسا
مالى
جوميز
فرناند وبو
خليج غينيا
رأس سانتا كاترينا
موتابا
الجزر والمناطق
البرتغالية
الاسبانية

سنة ١٤٧٥ م

سنة ١٤٧٥

وبينما كانت شمس امبراطورية مالى توشك على المغيب ، ظهرت إمبراطورية السونغاى كقوة جديدة تتحكم فى مناطق النيجر الأوسط .

. أسس هذه الامبراطورية الجديدة « الملك على »[١] الذى ارتقى عرشها سنة ١٤٦٤م . وقام بالاستيلاء على مدينة تمبوكتو بعد ذلك بنحو خمس سنوات ، ثم استولى على مدينة چينى بعد أربع سنوات أخرى .

وقد كان من المتوقع أن تسيطر امبراطورية السونغاى ـ باستيلائها على هاتين المدينتين ـ على حقول الذهب بمناطق غابات الأكان وڤولتا السوداء . ولكن هذا لم يحدث ، لأن البرتغاليين كانوا قد وصلوا أيامئذ إلى سواحل الأكان والمناطق الجنوبية المنتجة للذهب .

وكانت لدى البرتغاليين فكرة مشوشة عن المعلومات الجغرافية . فقد ظنوا أنهم قد وصلوا إلى « غانا » [أرض الذهب] فى غرب افريقيا . ولكنهم كانوا يكتبون كلمة غانا Ghana بهجاء مختلف هو « غينيا » Ghuinea وعلى أية حال فلم يعد من الصعب الآن التفرقة بين غانا وغينيا .

وقد تم اكتشاف البرتغاليين لغينيا عن طريق اتفاق خاص عقده ملك البرتغال مع تاجر كبير من لشبونة يدعى « فناو جوميز » Fenao Gomes وكان هذا الاتفاق ينص على أن العرش البرتغالى يوافق على اعطاء جوميز الحق فى احتكار التجارة مع جميع المناطق الافريقية التى تقع جنوب أرجوين لمدة خمس سنوات كاملة . وذلك نظير أن يقوم جوميز بتنفيذ الشرطين التاليين : (ا) أن يدفع ٥٠٠ كروسادو Crusados سنوياً إلى الخزانة الملكية . (ب) أن يلتزم باستكشاف ١٠٠ فرسخ سنويا فى السواحل الافريقية الواقعة جنوب أرجوين[٢] .

وقد كان من المعتقد سلفا أن التجارة مع المناطق التى تقع وراء أرجوين عملية افتراضية قد لا تؤدى إلى تحقيق عائد مجز . ولكن جوميز لم يضيع الوقت ، ووصلت سفنه إلى سواحل غابات الأكان سنة ١٤٧١م . ومن المؤكد أنه قد قام عندئذ وعلى الفور بسك كميات كبيرة من العملات الذهبية .

استغل جوميز منطقة غينيا ، وحقق ثروات طائلة. أما عمليات الاستكشافات الجغرافية فلم يكن يتوقع منها تحقيق أى عائد . ومع ذلك فلم تكن تخلو من عنصر الإثارة . وكتب قباطنة السفن التى كانت تقوم بعمليات الاستكشاف السنوية بعض التقارير التى تؤكد أن ساحل غينيا يمتد باعتدال نحو الشرق . وهذا معناه فى رأيهم انهم بعد سنوات قليلة من القيام بتنفيذ المعدل السنوى للاستكشافات الجغرافية ، سيصلون إلى

(١) اسمه الحقيقى « على بر » Ali Ber وسمى فيما بعد « على الأكبر » وأصبحت امبراطورية السونغاى فى عهده يهاب جانبها ويعمل لها ألف حساب . كما دخلت سيرة هذا الملك مجال الأساطير التى ما زالت تحكى عنه حتى الآن ضمن القصص والحكايات الشعبية التى تتردد بين قبائل السونغاى الذين مازالوا يعيشون حتى الآن على ضفاف النيجر فى شمال غرب دولة نيجيريا الحديثة . [المترجم]

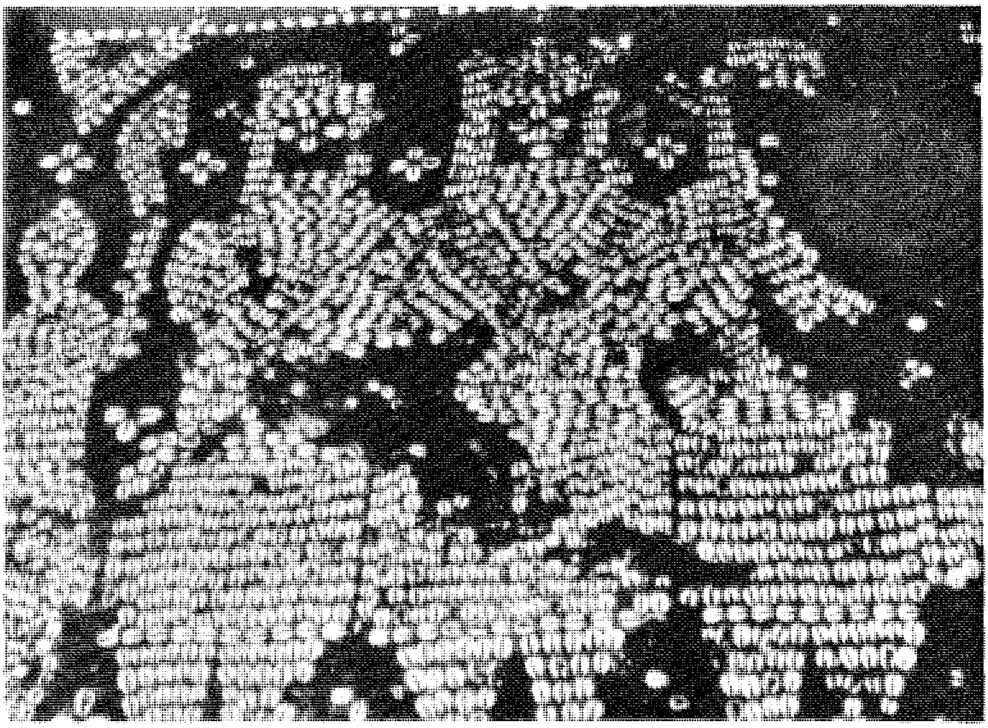
(٢) الفرسخ البحرى League = ٣ أميال بحرية = ٥٦ر٥ كيلو مترا .

المحيط الهندى ، ومنه إلى بلاد الشرق ، حيث تجارة التوابل التى تحقق ثروات طائلة .

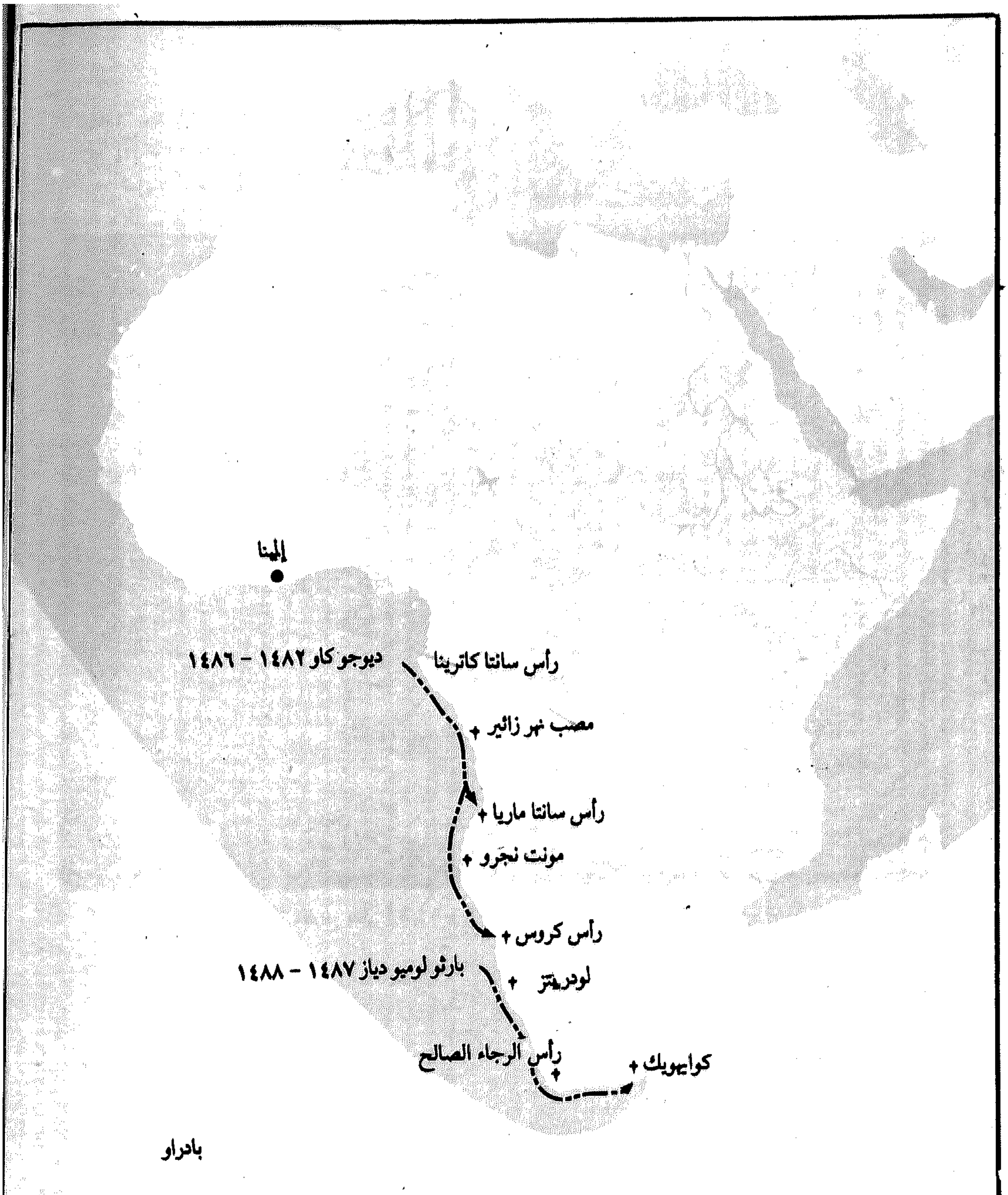
ولكن آخر سفينة قامت برحلة استكشافية تنفيذا للاتفاق الخاص مع جوميز ، كتبت تقريراً بأن الوصول إلى الهند بناء على هذه المعلومات لم يعد ممكنا . ذلك لأن السفينة عندما وصلت إلى جزيرة فرنانـدو بو Fernando po [وهـو اسم أحد قباطنة سفن جوميز] لاحظت أن الساحل الافريقى قد انحنى بشدة تجاه الجنـوب . وحتى بعد أن وصلت السفينة إلى آخر مسافة لرحلتها ، وهى منطقة رأس سانتا كـاترينـا Cape Santa Caterina كان الساحل الافريقى مازال متجها نحو الجنوب لمسافات أخرى .

أما فى مراكش فقد زال حكم بنى مرين ، وحـل محلهم وزراؤ هم الذين ينتمـون إلى قبيلة الطاسيلى Wattasids وذلـك بعد حـرب أهلية اعطت البرتغاليين فرصة سانحة للاستيلاء على بعض المـدن المغربيـة الـواقعـة عـلى السـاحـل الافريقى . وذلك فى سنة ١٤٧١م .

ولم يكن هـذا الحكم الجـديـد فى صـالـح مراكش ، أو هيأ لها مزيداً من القوة ، بـل على العكس ، أصبحت مـراكش وغيرهـا من دول المغرب على درجة كبيرة من الضعف إذا قورنت بـالدولتـين الأوربيتين الصـاعدتـين : البرتغـال وأسبانيا .



تكوين زخرفي بالقواقع يغطي أرضية قاعة الاستقبال ببيت قديم لأحد رؤساء القبائل بغرب أفريقيا .



الرحلات البرتغالية
سنة ١٤٨٢ - ١٤٨٨ م

الرحلات البرتغالية
بين عامى [١٤٨٢ - ١٤٨٨] م .

توقفت الرحلات الاستكشافية البرتغالية بعد انتهاء الاتفاق مع جوميز لفترة بسيطة ، إلى أن ارتقى جون الثانى عرش البرتغال وقرر أن يحرك الأمور من جديد .

وفى سنة ١٤٨١م خرج من لشبونة اسطول ضخم من السفن البرتغالية وعليه مجموعة من عمال البناء والنجارين ، وفرقة من الجيش . وكانت مهمة هذا الاسطول الوصول إلى سواحل الأكان واختيار موقع مناسب لبناء قلعة عسكرية مجهزة بكل المعدات .

وفى نهاية سنة ١٤٨٢م أنتهى البرتغاليون من تشييد قلعتهم . ونظراً لأن الملك جون الثانى كان يظن أن الذهب فى تلك المنطقة يستخرج من «المناجم» [وهو ظن خاطىء لأن الذهب فى تلك المنطقة كان يوجد على شكل رواسب بالتربة] فقد أطلق على هذا الموقع اسم « ساو چورچ ده مينا » Sao Jorge Da Mina [أى سان چورچ راعى المنجم] وهو اسم طويل اختصر فيما بعد وأصبح « إلمنيا » Elmina . وكانت القلعة الحربية التى شيدها البرتغاليون فى هذا الموقع ، هى أول موطىء قدم لأوربا فى مناطق افريقيا السوداء .

وقد شيدت هذه القلعة فى الأصل لتؤكد سلطة البرتغال وسيادتها على هذه المنطقة ، وللدفاع عن المنطقة ضد أى أجانب قد يفكرون فى اغتنام أى شىء من المناطق التى استكشفتها البرتغال أو وصلت إليها . كذلك فقد عمل جون الثانى على توسيع وامتداد الرحلات الاستكشافية إلى مناطق افريقية أخرى .

وبينما كانت معظم سفن الاسطول البرتغالى منهمكة فى تشييد إلمينا ، أرسل چون الثانى سفينتين من هذا الاسطول وضعهما تحت قيادة ديوجو كاو Diogo cao لاستكشاف المناطق الافريقية التى تقع وراء رأس سانتا كاترينا .

وكانت هاتان السفينتان تحملان صلبانا حجرية ضخمة تسمى بادراو Padrao عليها نقوش مكتوبة تقول كيف أن الملك چون الثانى قد كلف ديوجو كاو باستكشاف هذه الأراضى . وذلك فى سنة ٦٦٨١ من خلق العالم ، الموافقة لسنة ١٤٨٢ بعد ميلاد المسيح . وقد استخدمت هذه الصلبان الحجرية كعلامة لأهم المواقع التى وصلت إليها البعثات الاستكشافية البرتغالية .

وفى منتصف صيف سنة ١٤٨٣م وبعد أن تجاوز ديوجو كاو رأس سانتا كاترينا ، وصل إلى منطقة مصب نهر زائير . وهناك وضع كاو أول صلبانه الحجرية . أما الصليب الحجرى الثانى فقد نصبه فى أبعد نقطة وصل إليها وهى منطقة رأس سانتا ماريا Cape Santa Maria التى تبعد بنحو ٦٠٠ ميل تجاه الجنوب ، ليعلن أنه قد وصل إلى آخر افريقيا ، ووجد الطريق أخيراً إلى الجزر الهندية .

وربما يرجع هذا الاعتقاد الخاطىء إلى المعاناة التى صادفها فى رحلة استمرت لفترة طويلة من الابحار فى بحار غامضة مجهولة . وعلى

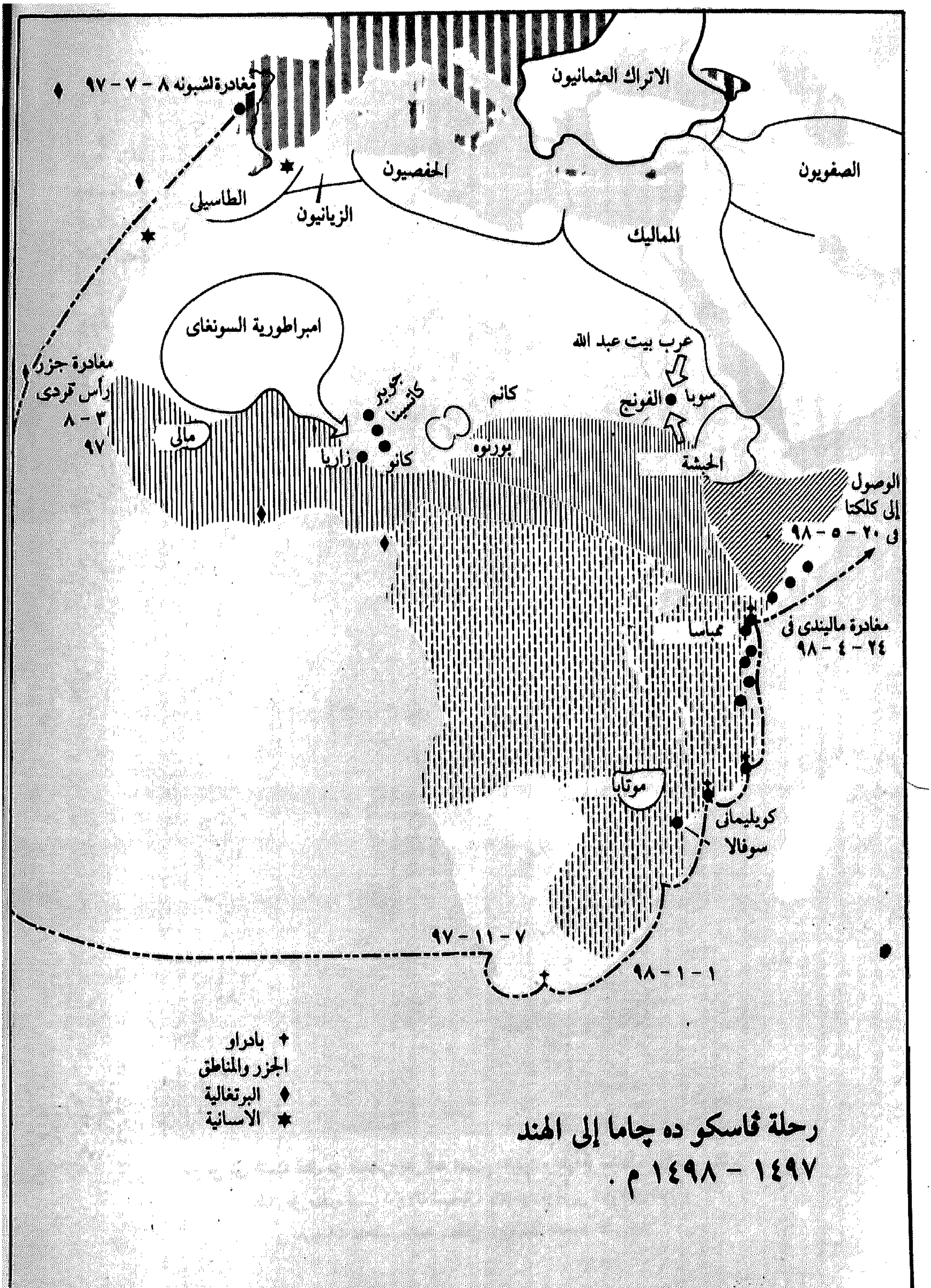
أية حال فقد تبين ديوجو كاو خطأه عندما قام برحلته التالية . وهى الرحلة التى قام فيها بالتوغل فى المناطق الداخلية بأعالى نهر زائير ، حيث قابل ملك الكونغو . وكانت مملكته تعتبر أقوى مملكة فى تلك المنطقة من أفريقيا .

وبعد تلك الزيارة ، عاود كاو إبحاره متتبعاً تعرجات الساحل الافريقى . ورغم كثرة هذه التعرجات والنتوءات الأرضية الداخلة فى البحر ، كان الساحل محافظاً على اتجاهه الرئيسى نحو الجنوب . ومات ديوجو كاو قرب المكان الذى نصب فيه الصليب الحجرى الرابع ، وهو النتوء الجبلى الذى ما زال حتى الآن يسمى رأس الصليب Cape Cross .

ولكن موت ديوجو كاو لم يدفع الملك چون الثانى إلى اليأس ، وأمر بتجهيز رحلة استكشافية أخرى بقيادة قبطان جديد هو : بارثو لوميو دياز Bartholomew Dias الذى تمكن أخيراً من الدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨م ، إلى أن وصل إلى نهر السمك الأكبر Great Fish River وأراد أن يواصل الرحيل ، إلا أن رجاله اقنعوه بالاكتفاء بذلك والعودة إلى الوطن . وهكذا تم اكتشاف وفتح الطريق إلى المحيط الهندى .



من فن بنين القديمة تمثال من النحاس يمثل أحد الصناع الحرفيين « نجاراً أو حداداً » . والصليب الذى يتدلى على صدره ليست له دلالة مسيحية ، وانما هو رمز أفريقى قديم لخلق العالم .
من معروضات متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



رحلة ڤاسكو ده جاما إلى الهند
١٤٩٧ - ١٤٩٨ م.

رحلة ڤاسكو ده چاما إلى الهند

[١٤٩٧ - ١٤٩٨م]

بالرغم من أن بارثولو ميو دياز قد عثر أخيراً على طريق الدوران حول أفريقيا ، إلا أن أحداً من البرتغاليين لم يكن يتصور أن هذا الطريق على مثل هذا القدر من الطول . ولذلك فقد ثارت لدى البرتغاليين عدة تساؤلات : ما جدوى هذا الاكتشاف بالنسبة لهم ؟ . . وهل يمكن أن تكون ثمة مغانم تبرر نفقات الرحلات البحرية عبر كل هذه المسافات الطويلة ؟

حسمت الاجابة على كل هذه التساؤلات ما سمعته البرتغال من أخبار الرحلة البحرية الأولى التى قام بها كريستوفر كولومبوس ، والمغانم التى أتى بها إلى اسبانيا من وراء المحيط الاطلنطى . فإذا كانت إسبانيا ستجنى الثروات الطائلة من وراء المحيط ، فإن البرتغال لابد أيضا أن تجرب حظها .

غير أن الوقت الذى ضيعته البرتغال فى مثل هذه التساؤلات لم يكن عبثا ، فقد تم تكليف دياز بالاشراف على بناء اسطول صغير مكون من أربع سفن جديدة ، وتجهيزها واعدادها للقيام بالرحلة البرتغالية المرتقبة إلى الهند . كما وضع دياز خطة ابحار جديدة لتحديد خط سير الرحلة البحرية عبر طريق جديد على شكل ضلعى مثلث يربط ما بين سواحل البرتغال ومنطقة رأس الرجاء الصالح . وقد وضعت هذه الخطة على أساس استغلال اتجاهات هبوب الرياح فى المناطق المختلفة من المحيط الاطلنطى حيث تهب الرياح الشمالية الشرقية فى مناطق وسط الاطلنطى ، وتهب الرياح الغربية فى منطقة خط العرض الذى تقع عليه رأس الرجاء الصالح .

وفى سنة ١٤٩٧م أصبح الاسطول جاهزاً للقيام بالرحلة المرتقبة إلى الهند . ولكن لسوء حظ دياز ، انه كان ينتمى إلى أسرة من أصل متواضع ، فى الوقت الذى كانت ترى فيه الارستقراطية البرتغالية أنها أحق بتقلد قيادة هذه الرحلة التاريخية الحاسمة . وعلى ذلك فقد اختار الملك أحد رجال حاشيته ليقوم بقيادة هذه الرحلة ، وكان اسمه ڤاسكو ده چاما .

وقد اتبع ڤاسكو ده چاما خط سير الرحلة طبقا للخطة التى وضعها دياز ، رغم أن أول أرض شاهدها بعد الرحلة الطويلة المضنية كانت تبعد بنحو مائة ميل شمال رأس الرجاء الصالح . ومع ذلك فقد أعتبرت تلك الرحلة البحرية التى قام بها ڤاسكو ده چاما ، أطول رحلة قامت بها السفن الشراعية حتى ذلك الزمن فى أعالى البحار . وبالرغم من أن هذه الرحلة قد استغرقت ثلاثة شهور منذ أن غادر ده چاما جزر رأس ڤيرد Capc Verde [جزر الرأس الأخضر] ، إلا أنها اختصرت الزمن الذى كان مفترضاً لاتمامها إلى النصف .

وبعد أن دار ده چاما حول رأس الرجاء الصالح ، تحطمت أكبر سفينة فى اسطوله ، فقام بتوزيع معداتها وتجهيزاتها على السفن الثلاث المتبقية ، وواصل الإبحار محاذياً السواحل الشرقية لافريقيا . ولكنه لم يتنبه إلى وجود أول المراكز التجارية العربية فى سوفالا ، فواصل

الابحار حتى وصل إلى المركز التجارى العربى التالى فى كويليمانى Quelimane . وبهذا ارتبطت البرتغال لأول مرة بالنظام التجارى الذى كان سائداً آنئذ فى مناطق شرق أفريقيا .

وقد كان العرب الذين التقى بهم ده چاما عدائيين بلا سبب مفهوم ، ولكن سوء علاقاته مع ملك مومباسا Mombasa جعلته صديقاً عزيزاً لدى ملك ماليندى Malindi الذى وافق على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحرى يرشدها إلى طريق الابحار نحو الهند(١) . وكافأ ده چاما مدينة ماليندى على ذلك ، بأن أقام فيها آخر صلبانه الحجرية . وفى غضون نحو أربعة أسابيع ، وصلت السفن البرتغالية إلى الهند ، وبدأت فى شحن عنابرها بأنواع مختلفة من التوابل . وقد انقضت عشرة شهور منذ خروج السفن البرتغالية من ميناء لشبونة بالبرتغال حتى وصلت إلى الهند ، وعليها الآن أن تقضى عشرة شهور أخرى حتى تعود إلى وطنها من جديد .

وفى الوقت الذى وصل ڤاسكو دما چاما إلى افريقيا لأول مرة ، كانت هناك مملكتان فقط تدينان بالمسيحية ، وهما مملكة الحبشة ومملكة سوبا النوبية . ولكن عندما عاد ده چاما من رحلته كانت إحدى هاتين المملكتين قد سقطت . فقد قام « عرب بيت عبد الله » بالاستيلاء على سوبا .

[وهم عشيرة تنتمى إلى قبيلة عرب جهينه التى هاجرت من شبه الجزيرة العربية وتمركزت فى المناطق الشمالية الشرقية فى افريقيا خلال القرن الرابع عشر ، ثم بدأت فى الزحف نحو مناطق أخرى فى افريقيا بعد ذلك] .

غير أن عرب بيت عبد الله قد اصطدموا بقبيلة الفونج Funj التى تعتنق ديانة غير سماوية ، والتى كانت تعيش بالمناطق المتاخمة لحدود الحبشة ، ثم بدأت فى تلك الفترة زحفها لتعيش على ضفاف النيل الأزرق .

وتجدر الاشارة أيضا إلى الغزوات التى قام بها الملك محمد(٢) ملك السونغاى ، واستولى بها على ثلاث من المدن الأربعة الرئيسية التى أنشأتها قبائل الهوسا ، وهى مدن : جوبير ، وكاتسينا ، وزازيرا ، كما فرض جزية ثقيلة على المدينة الرابعة [كانو] وهى أكبر هذه المدن .

---

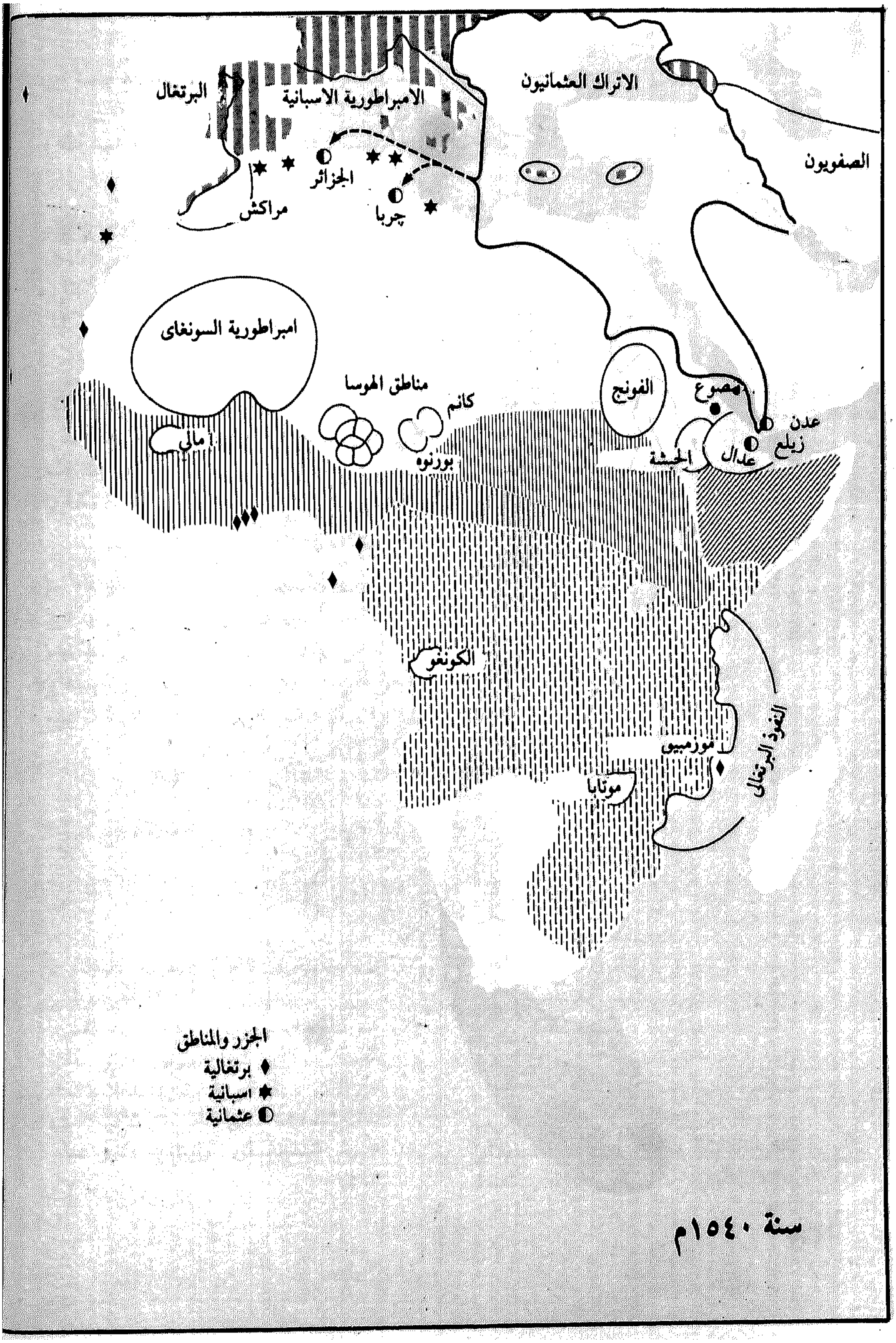
(١) لم يشر المؤلف إلى أن هذا المرشد البحرى كان عربيا اسمه شهاب الدين أحمد المعروف باسم « ابن ماجد الملاح » . رغم أن المعلومات التى أعطاها هذا المرشد كانت السبب الرئيسى المباشر لوصول السفن البرتغالية إلى الهند . وعلى أية حال فقد ولد ابن ماجد فى الجزيرة العربية ، وكان عبقرياً استطاع أن يؤلف ثلاثين كتاباً فى البحرية ، تناول فيها بالتفصيل أصول الملاحة ووصف الطرق البحرية المعروفة . [المترجم] .

(٢) هو الملك محمد تورى ، وكان أحد القواد العسكريين الذين كانوا يعملون فى جيش الملك على الأكبر . وقد قام محمد تورى بانقلاب ضد الملك الضعيف الذى خلف على الأكبر على عرش السونغاى . وكان ذلك فى عام ١٤٩٣م . [المترجم] .



سيف من الحديد مزخرف بأشكال فهود مصنوعة من النحاس . كان يعتبر رمزاً لسلطة ملوك بنين القدماء على رقاب الناس .

من معروضات المتحف القومى بكوبنهاجن بالدنمارك .


البرتغال
الامبراطورية الاسبانية
الاتراك العثمانيون
الصفويون
الجزائر
مراكش
جربا
امبراطورية السونغاى
مناطق الهوسا
كانم
بورنوه
مالي
الفونج
مصوع
عدن
زيلع
عدال
الحبشة
الكونغو
موزمبيق
موتابا
النفوذ البرتغالي
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
عثمانية
سنة ١٥٤٠م

سنة ١٥٤٠

لا شك أن الرحلات الاستكشافية التى قام بها كل من كريستوفر كولومبوس ، وڤاسكو ده چاما قد فتحت أرجاء العالم . وما كاد القرن الخامس عشر أن ينتهى ، ويبدأ شروق القرن الجديد ، حتى دخل العالم دائرة التاريخ الحديث، خارجاً من مرحلة العصور الوسطى .

ومع ذلك فقد ظلت عقلية العصور الوسطى مسيطرة لفترة طويلة تالية ، حيث ظل « الدين » هو المحرك الأكبر لشئون السياسة الخارجية ، وظل الصراع العنيف قائماً بين المسيحية والإسلام ، متمثلا فى الحملات « الصليبية » ضد المسلمين ، وفى « جهاد » المسلمين ضد المسيحيين .

وفى القرن السادس عشر لحقت بالجيوش المسيحية هزائم نكراء متكررة ومستمرة . فقد اكتسحت جيوش الاتراك العثمانيين مناطق جنوب شرق أوربا . وقد ازدادت قوة هذه الجيوش بعد أن ضم الأتراك إمبراطورية المماليك فى مصر والشام بين عامى ١٥١٦ - ١٥١٧ م .

أما فى مناطق شمال غرب افريقيا ، فقد تدخل الأتراك العثمانيون بقواتهم لفرض أوضاع سياسية جديدة على تلك المناطق التى كان متصوراً من قبل من قبل أنها أصبحت لقمة سائغة للدولة المسيحية فى اسبانيا . وفى النهاية أصبحت تلك المناطق التى كانت تتسم من قبل بنوع من الفوضى السياسية ، مناطق صراع مرير بين المسيحية والاسلام .

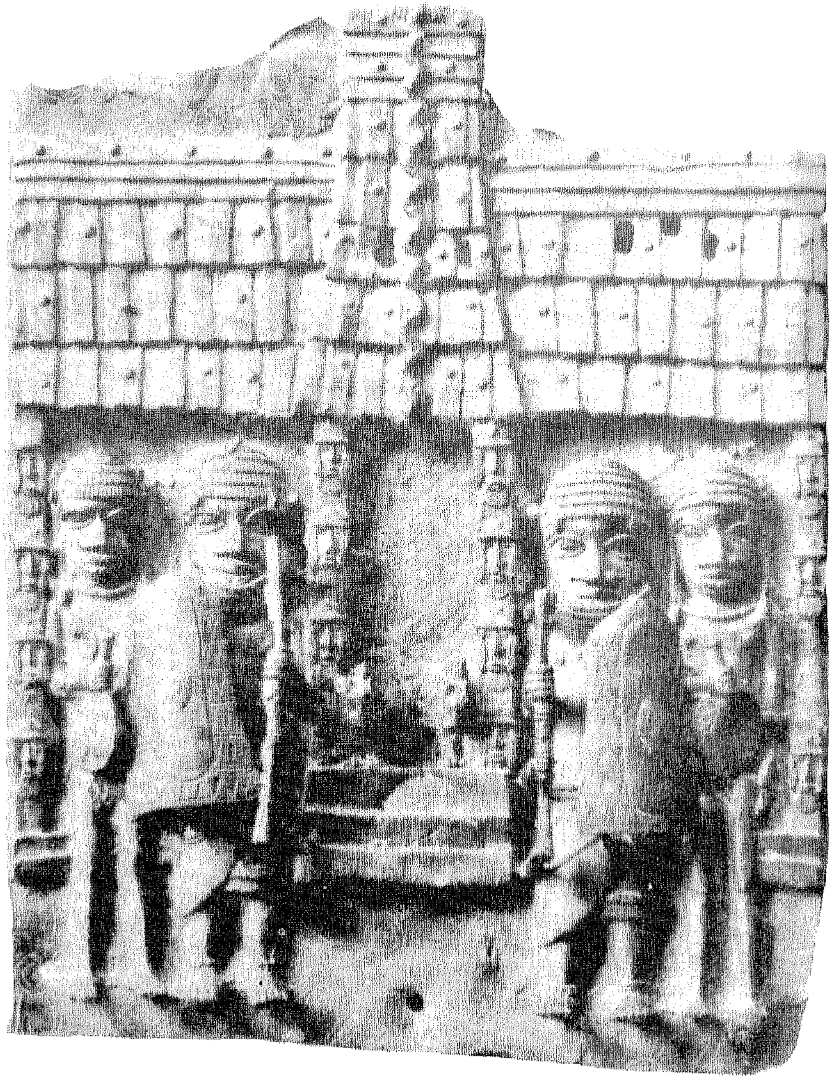
وقامت الإمبراطورية العثمانية بتوسيع رقعة المناطق العربية والأفريقية التى كانت تحت سيطرة ونفوذ إمبراطورية المماليك ، فتم الاستيلاء على برقه والمناطق المحيطة بها ، كما تم مد الحدود المصرية من الجندل الأول حتى الجندل الثالث بمجرى النيل . كما قام العثمانيون أيضا بالسيطرة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر حيث أقاموا حامية عسكرية فى زيلع سنة ١٥٢٠ . وحامية عسكرية أخرى فى عدن سنة ١٥٣٨ م . كما أمدوا سلطان عدال بمعدات حربية وبفرقة من الفرسان ساعدته فى تحقيق النصر ضد الأحباش ، حتى اضطر ملك الحبشة إلى الفرار من جبل إلى آخر أمام زحف المسلمين الذين أخذوا يستولون على العديد من مناطق المرتفعات الحبشية .

وكادت هذه الأوضاع ان تدفع البرتغال إلى حافة اليأس . برغم أن البرتغال قد احتفظت بسيادتها على المدن العربية التجارية الواقعة على سواحل شرق افريقيا ، وذلك اعتماداً على قوتها البحرية أساساً ، وعلى قليل من القوات البرية بصفة ثانوية . ومع ذلك فقد كانت البرتغال فى حاجة ماسة إلى وجود حليف افريقى يساندها فى تعزيز قوتها وتدعيم مركزها .

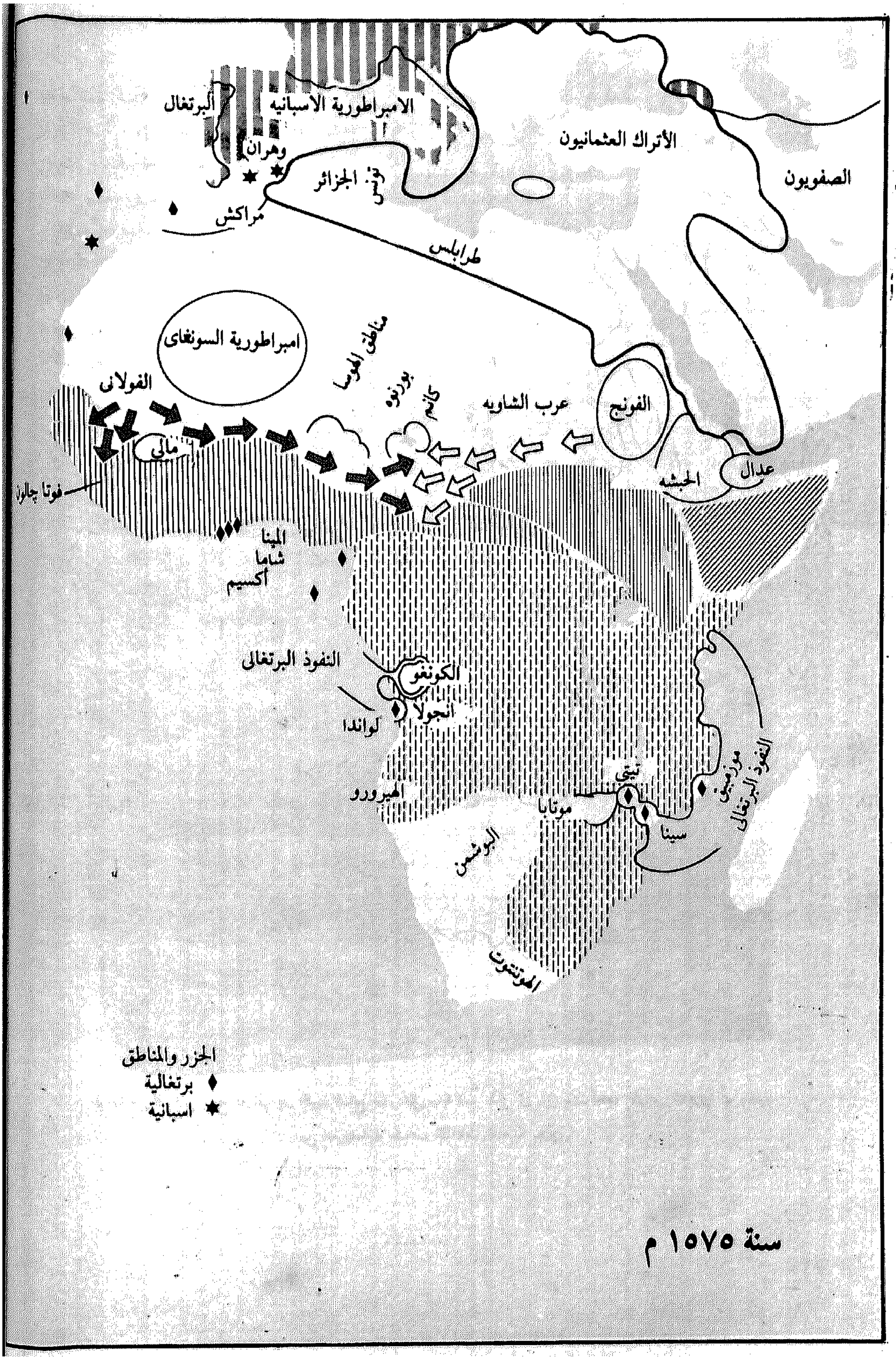
وقد كان من الطبيعى ان تفكر البرتغال فى المملكة المسيحية بالحبشة للقيام بدور هذا الحليف . بل وكانت لدى البرتغاليين فكرة خاطئة عن الحبشة ، حيث كانوا يظنون أنهم قد عثروا على « مملكة برستر چون Prester John Kingdom » الذى انتشرت عنه الأساطير فى القرون الوسطى بأنه كان يوقع الرعب فى قلوب المسلمين . وعلى أية حال فقد فطن البرتغاليون إلى أن هذه المملكة لم تكن قائمة فى الواقع ، بل ولم يتحقق لها وجود من قبل .

ومع ذلك وحتى لا يعتقد البرتغاليون أن طموحاتهم قد انهارت تماماً ، فقد اضطروا إلى ما ليس منه بد ، وهو إنزال قواتهم البرية على الشاطىء لاحتلال الأرض وإقامة الحاميات العسكرية . وفى سنة ١٥٤١ م أنزل البرتغاليون جيشا صغيراً مكونا من ٤٠٠ مقاتل تحت قيادة كريستوفر ده چاما [ابن ڤاسكو ده چاما] . وعسكر هذا الجيش بمنطقة مصوع التى تطل على جنوب البحر الأحمر .

أما بالنسبة لمملكة سوبا ، فقد ذكرنا أن عرب بيت عبد الله قد احتلوها فى نهاية القرن الخامس عشر . ولكنهم انهزموا أمام قبيلة الفونچ فى مطلع القرن السادس عشر . واعقب ذلك حدوث نوع من التوازن بين العرب والفونچ ، حيث أصبح النصف الشمالى من مملكة الفونچ خاضعاً لحكم العرب ، أما النصف الجنوبى فأصبح خاضعاً لملك من الفونچ . وقد أدى تحول الفونچ بعد ذلك إلى الاسلام ، إلى تقوية مملكة الفونچ بقسميها .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السابع عشر تمثل بوابة قصر ملكي في بنين يقف أمامه الحراس شاهري أسلحتهم .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية ببرلين .


البرتغال
الامبراطورية الأسبانيه
وهران
الجزائر
تونس
مراكش
طرابلس
الأتراك العثمانيون
الصفويون
امبراطورية السونغاى
مناطق الهوسا
بورنو
كانم
عرب الشاويه
الفونج
الفولانى
مالى
فوتا جالون
الحبشه
عدال
المينا
شاما
أكسيم
النفوذ البرتغالى
الكونغو
انجولا
لواندا
الهيرورو
موتابا
تيتى
سينا
موزمبيق
النفوذ البرتغالى
البوشمن
الهوتنتوت
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
سنة ١٥٧٥ م

سنة ١٥٧٥

تعرضت الحملة العسكرية التى حاولت بها البرتغال مساعدة حليفتها المسيحية فى مملكة الحبشة لهزيمة منكرة فى أول الأمر . حيث قتل قائدها ومعه نصف عدد الجنود . ولكن فى العام التالى استطاع البرتغاليون أن يحققوا نصراً حاسماً على جيش سلطان عدال ، الأمر الذى مكن ملك الحبشة من استعادة مملكته والمناطق التى كانت قد سلبت منها . كما ترك البرتغاليون بعض قواتهم لمؤازرة ملك الحبشة وتعزيز قواته .

وكان رد الفعل بالنسبة للعثمانيين أن قاموا بالهجوم على مصوع واحتلالها سنة ١٥٥٧ م . وبذلك قطعوا الطريق على أية امدادات برتغالية يمكن أن تصل إلى الحبشة .

أما فى منطقة البحر المتوسط فقد كان العثمانيون مطلقو اليد ، إذ قاموا بطرد الأسبان من إقليم تربوليتانيا [طرابلس] سنة ١٥٥١ م ، ومن منطقة الجزائر [بر وهران] سنة ١٥٥٥ ، ومن منطقة تونس سنة ١٥٧٤ م .

أما بالنسبة لمناطق افريقيا السوداء ، فلم تحقق المسيحية كثيراً من النجاح . وبالرغم من أن ملك الكونغو قد قبل أن يعمد كمسيحى ، فلا يمكن القول بأن المملكة نفسها قد تحولت إلى مملكة مسيحية ، أو أن المسيحية قد أصبحت الديانة السائدة بين شعب المملكة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن مناطق افريقيا السوداء كانت تقبل الديانات الجديدة [الاسلام أو المسيحية] على أساس أنها ديانة اضافية إلى جانب الرصيد الضخم المتأصل فى نفوس الافريقيين من العقائد والمعتقدات المحلية .

وعلى هذا الاساس لم تثمر الوصاية السياسية التى فرضتها البرتغال على مملكة الكونغو بأى نفع يعود على البرتغال أو على مملكة الكونغو نفسها .

أما بالنسبة لنفوذ البرتغال فى مناطق شرق أفريقيا ، فقد ظل الوضع كما هو من حيث سيطرة البرتغال على المدن التجارية العربية بسواحل شرق افريقيا . ولكن المسلمين الذين كانوا يعيشون فى تلك المدن ، والذين قبلوا سيادة البرتغال على مضض ، ظلوا متمسكين بالإسلام .

أما قبائل البانتو الذين كانوا يعيشون بالمناطق الداخلية ، فقد ظلوا على حالهم ، ولم يتأثروا لا بالاسلام ولا بالمسيحية .

ونشير إلى أن القوات المسلحة التى أنزلتها البرتغال بمختلف المناطق الأفريقية كانت قليلة ، ولا تتعدى جميعها ألف جندى ، متفرقين فى العديد من القلاع التى أنشأتها البرتغال فى إلمينا وأكسيمAxim [بنيت سنة ١٥٠٣ م] وشاماShama [بنيت سنة ١٥٢٦ م] . وهى القلاع الثلاث التى أقامتها البرتغال بسواحل الأكان . وكذا قلعة لواندا Luanda [بنيت سنة ١٥٧٥ م] فى اقليم انجولا . وقلعتى تيتىTete وسيناSena [بنيتا سنة ١٥٧٢ م] فى منطقة نهر زامبيزى . وكذا القلعة الحصينة التى كانت البرتغال قد اقامتها سنة ١٥٠٨ م ، بموزمبيق التى اعتبرت محمية برتغالية فى شرق افريقيا .

ولكن التجار والمبشرين البرتغاليين كانوا أكثر نشاطاً ، فقد تغلغلوا فى المناطق الداخلية لسواحل غينيا ، وضفاف نهرى زائير وزامبيزى . وكان عدد هؤلاء التجار والمبشرين لا يتجاوز

الألف أيضاً خلال القرن السادس عشر .

وفى حقيقة الأمر يمكن القول بأن الرحلات الاستكشافية التى قامت بها البرتغال ، فتحت أمامها الطريق إلى الكثير من الأرباح والمغانم . ولكن الاغلبية العظمى من هذه الأرباح والمغانم لم تكن فى افريقيا ، بقدر ما كانت فى المناطق الجديدة التى أخذت البرتغال تتطلع إليها ، فى الهند واندونيسيا والصين واليابان .

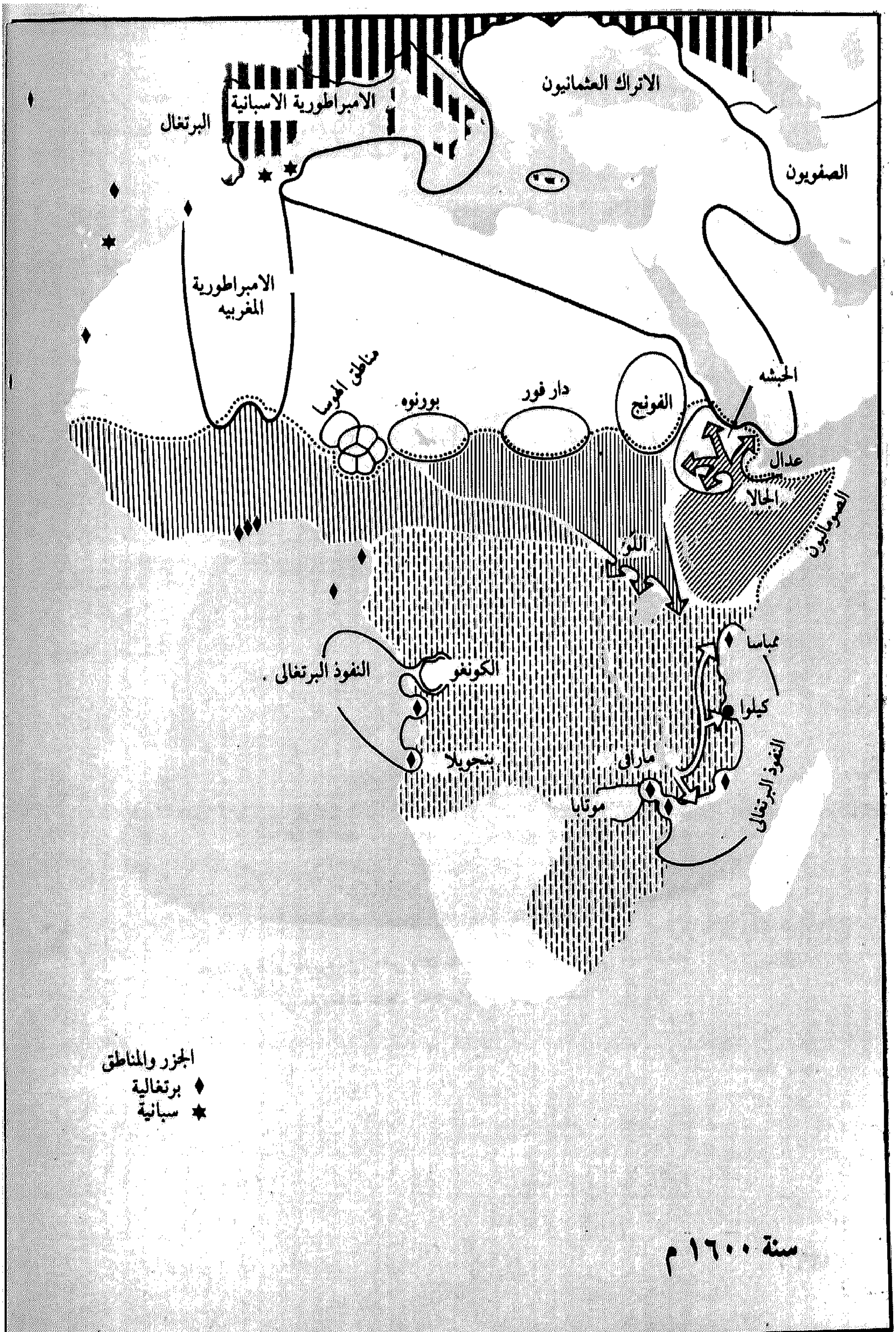
أما بالنسبة للمناطق الداخلية بقلب القارة ، فقد بلغت تنقلات وهجرات القبائل ذروة نشاطها خلال القرن السادس عشر . فقد قامت قبائل الفولانى [وكانت قبائل بدوية تحترف رعى القطعان وتعيش على ضفاف نهر السنغال] بالزحف نحو الشرق ، وانتشرت فى منطقة نهر النيجر الأوسط حيث وصلت إلى منطقة فوتاجالون Futa Jallon ثم واصلت انتشارها نحو الشرق حتى وصلت إلى مناطق جنوب بحيرة تشاد . وهناك اختلطت وامتزجت مع قبيلة عرب الشاوية Shuwa التى كانت تزحف بدورها إلى مناطق الساحل العشبى بجنوبى الصحراء ولكن فى الاتجاه المضاد .

وعرب الشاوية هؤلاء كانوا آخر موجة من القبائل العربية التى كانت تعيش فى صعيد مصر ، ثم زحفت نحو مناطق السودان . والملاحظ أن هذه القبائل العربية قد فقدت عروبتها بمرور الوقت ، بل ولم يعد لها من عروبتها سوى اللغة العربية ، وأصبحت ترعى المواشى بدلاً من رعى الجمال . كما أصبحت ملامحهم العامة وعاداتهم وطرق سلوكهم مماثلة للشعوب النيلية الصحراوية التى كانت تعيش أصلاً فى تلك المناطق الافريقية .

وأخيراً نشير إلى اكتمال زحف شعوب البانتو نحو مناطق جنوب القارة ، بوصول قبيلة الهريرو Hereros إلى منطقة شمال غرب ناميبيا Namibia .



غطاء قديم للرأس مصنوع من النحاس وكان مثله شائع الاستعمال بين محاربى بنين القدماء.
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بڤيينا بالنمسا.


الاتراك العثمانيون
الامبراطورية الاسبانية
البرتغال
الصفويون
الامبراطورية
المغربيه
مناطق الهوسا
بورنوه
دار فور
الفونج
الحبشه
عدال
الجالا
الصوماليون
اللو
ممباسا
النفوذ البرتغالى
الكونغو
كيلوا
النفوذ البرتغالى
انجولا
ماراق
موتابا
الجزر والمناطق
برتغالية
سبانية
سنة ١٦٠٠ م

سنة ١٦٠٠

بينما كان الصراع الحربي بين الأتراك والأسبان على أشده فى مناطق البحر المتوسط . كان هناك صراع حربي مماثل — وإن كان أضيق نطاقا — بين البرتغال ومراكش . وكانت كفة البرتغاليين هى الراجحة على أساس أن قوتهم البحرية كانت تعطيهم فرصة المبادرة فى اختيار الوقت والمكان للدخول فى المعارك الحربية . ونتيجة لذلك ، كانت البرتغال فى خلال القرن السادس عشر ، تسيطر على مساحة من السواحل المغربية مماثلة تقريبا للمساحة التى تسيطر عليها مراكش من هذه السواحل .

وفى سنة ١٥٧٨ م ، حاولت البرتغال تحسين أوضاعها فى مراكش . فأرسلت اكبر جيش اخرجته البرتغال من أرضها حتى ذلك الزمن . ونزل الجيش بسواحل مراكش ، وكان بقيادة الملك نفسه ، وفى معيته أحد الأمراء المغاربة المطالبين بعرش مراكش . وكانت خطة البرتغال أن تجعل من مراكش دولة تدور فى فلكها ، كما تتخذها قاعدة للهجوم على الاتراك وطردهم من سواحل شمال افريقيا .

وسرعان ما نشبت المعركة بين البرتغاليين والمغاربة وهى المعركة المعروفة باسم معركة الكزار الكبيرAlcazar El Kebir والمشهورة باسم معركة الملوك الثلاثة ، وسميت كذلك لأن كلاً من ملك البرتغال والسلطان المطالب بعرش مراكش قد قتل اثناء المعركة ، كما أن ملك المغرب نفسه كان قد أصيب بالحمى ومات اثناء الحرب .

وتعتبر نتيجة هذه المعركة أكبر كارثة مدمرة أصيبت بها البرتغال ، فلم تكتب النجاة إلا لقلة قليلة جداً من جيشها الذى كان يصل تعداده إلى ٢٦,٠٠٠ جندى . كما وقعت البرتغال نفسها — على مدى جيل كامل — تحت سيطرة اسبانيا .

أما مراكش فقد خرجت من المعركة وقد اكتسبت مزيداً من القوة التى أهلتها لعدم الوقوع فى قبضة الاتراك . كما أن الأمير الجديد الذى تولى عرش ملكها أطلق على نفسه لقب المنصور ، وكانت له طموحات عسكرية .

وفى سنة ١٥٩٠ م ، وضد نصيحة إجماعية من جانب وزرائه ، نظم المنصور حملة حربية لغزو مملكة السونغاى جنوب الصحراء . ويبدو أن المنصور كان على دراية واسعة بفن نقل الجنود وكيفية تزويدهم بالعتاد والمؤن اللازمة لاختراق الصحراء عبر كل تلك المسافة الطويلة . ذلك لأن الجيش الذى أعده كان لا يزيد عدده عن ٥,٠٠٠ جندى عندما خرج من مراكش فى اكتوبر ١٥٩٠ م ، ولم يصل سوى نصفه فقط إلى نهر النيجر بعد رحلة شاقة مضنية استغرقت أربعة شهور . ومع ذلك فقد كان هذا الجيش كافياً لتشتيت جيش السونغاى ، وضمها كاقليم تابع لامبراطورية المنصور . وسرعان ما امتلأت خزائن مراكش بسبائك الذهب .

أما مناطق شرق أفريقيا فى تاريخ هذه الخريطة ، فقد كانت حافلة بنشاط جم فى عمليات انتشار القبائل . فمن ناحية ، زحفت قبائل اللوLuo [وهم من الرعاة الذين ينتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية] إلى مناطق أعالى النيل الأبيض والشواطىء الشمالية لبحيرة ڤيكتوريا .

كذلك حدث زحف آخر من منطقة

ماراڤى Maravi قامت به قبائل الزيمبا Zimba ، وهى قبائل بدائية شرسة من أكلة لحوم البشر ، أوقعت الرعب فى جميع مدن ومناطق الساحل الشرقى ، حتى وصلت إلى ماليندى ، ونهبت ومباسا فى سنة ١٥٨٩ م ، الأمر الذى سهل للبرتغاليين فرصة السيطرة على هذه المناطق التى كانت قد واجهت فيها مقاومة اسلامية .

أما فى منطقة القرن الافريقى ، فقد حدث زحف آخر قامت به قبائل الجالا Galla التى كانت تعيش فى اقليم أوجادين Ogaden بالمنطقة الصحراوية داخل القرن الافريقى . فقد انتشرت هذه القبائل تجاه الغرب ، واكتسحت مملكة عدال ومملكة الحبشة .

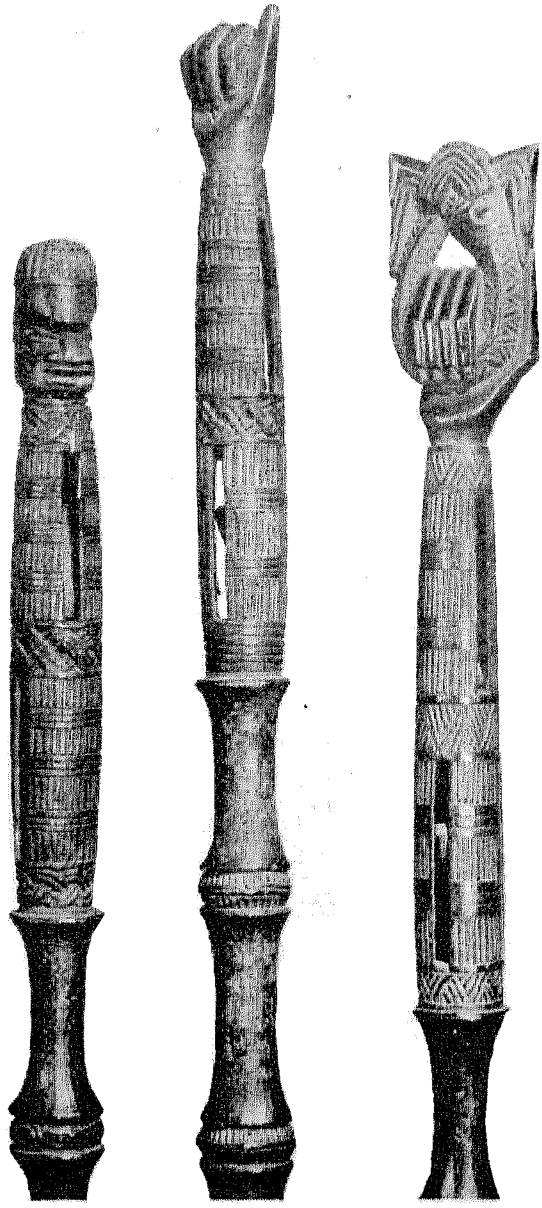
وقد كان من المعتقد أن قبائل الجالا قد قامت بالهجرة بسبب ضغط من القبائل الصومالية التى تعيش على سواحل القرن والتى كانت تدين بالاسلام فى تاريخ هذه الخريطة . ولكن المرجح ان سبب هجرة وزحف قبائل الجالا هو نفس السبب الذى يدفع البدو الرعاة دائما إلى الانتقال إلى المناطق العشبية . كما أن قبائل الجالا تعتبر اولاد عمومة للقبائل الصومالية ، والفارق الوحيد بينهما أن هذه القبائل الأخيرة كانت تدين بالاسلام ، بينما كانت قبائل الجالا تعيش على الفطرة والمعتقدات الوثنية .

أما فى المنطقة الواقعة بين النيل الأبيض وبحيرة تشاد ، فقد ظهرت سلطنة جديدة هى سلطنة دارفور . وكان سلاطينها من العرب المسلمين ، أما الرعية [وهم ينتمون إلى الشعوب النيلية الصحراوية] فلم يكن من المؤكد على وجه اليقين مدى اعتناقهم للاسلام .

وفى منطقة بحيرة تشاد ظهر حاكم قوى هو السلطان إدريس علومه[1] ملك بورنوه [أو أرض نوح] وقد استفاد من التجربة التى سبقه إليها المنصور ، فقام بتجهيز فرقة من الفرسان استقدمها من اقليم طرابلس ، واستخدمها فى الاستيلاء على مملكة كانم .

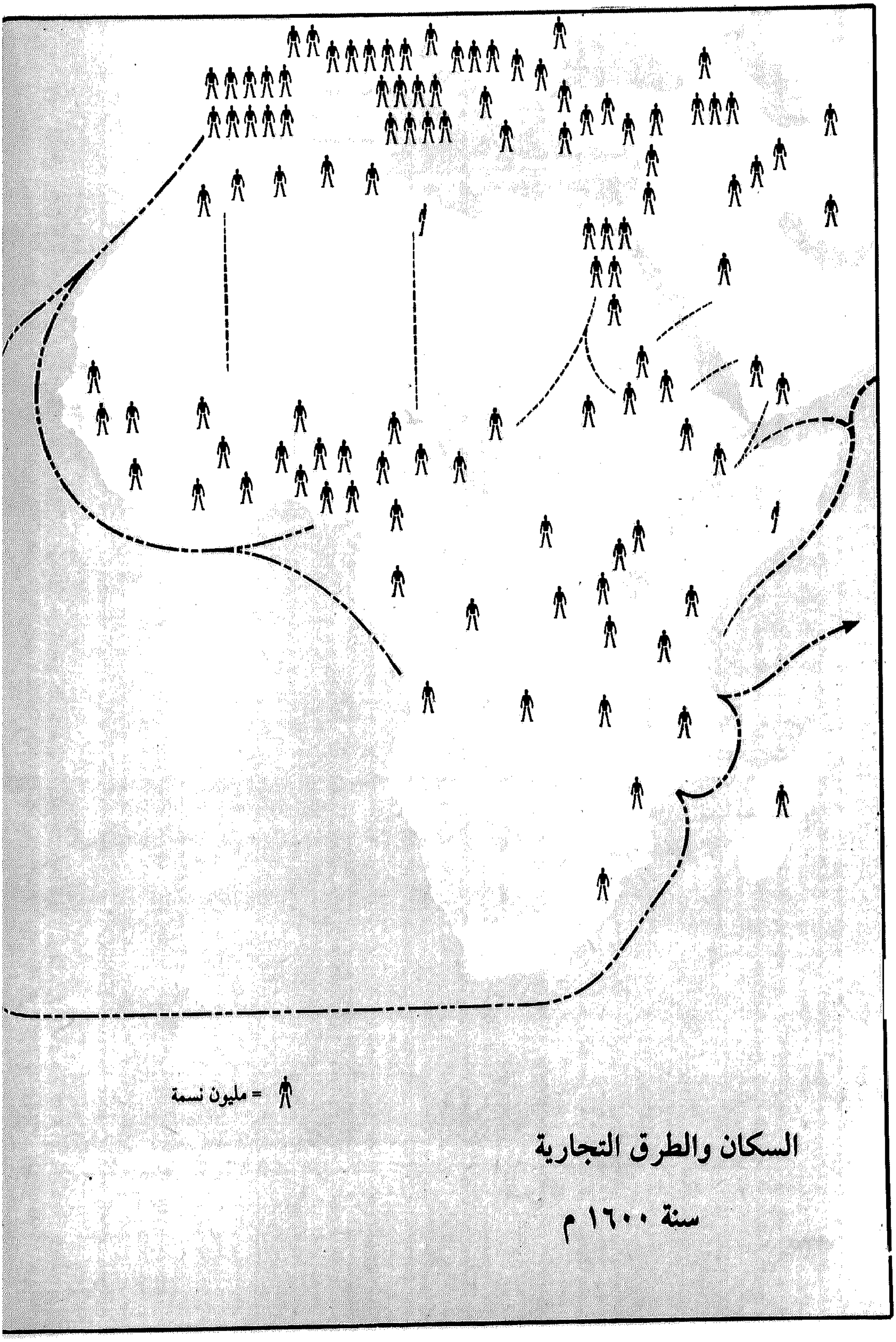
---

(١) يعتبر ادريس علّومه من أشهر المايات [الملوك] فى تاريخ بورنوه . وقام بتأسيس أرقى جيش ظهر فى ممالك وامبراطوريات افريقيا السوداء . ولم يكن لهذا الجيش مثيل بين كل الجيوش الأفريقية ، إذ يعتبر أول جيش افريقى يعتمد فى تسليحه على النار والبارود ، فى حين كانت الجيوش الأخرى ما زالت تستعمل الأسلحة الافريقية التقليدية كالسهام والرماح والحراب . [المترجم] .



صولجانات قديمة للدلالة على النبالة والملكية كانت مستخدمة فى مملكة بنين القديمة .

من معروضات متحف التاريخ الطبيعى بشيكاجو .


= مليون نسمة
السكان والطرق التجارية
سنة ١٦٠٠ م

السكان والطرق التجارية سنة ١٦٠٠

فى مطلع القرن السابع عشر [سنة ١٦٠٠م] وصل التعداد الاجمالى للسكان فى قارة افريقيا إلى نحو ٥٥ مليون نسمة . يعيش نحو ١١ مليون منهم ـ أى الخمس ـ فى مناطق شمال الصحراء الكبرى ، نصفهم فى مصر والنصف الآخر فى بلاد المغرب .

أما أربعة أخماس هؤلاء السكان فكانوا يعيشون فى مناطق جنوب الصحراء . وكانت منطقة غرب افريقيا هى أكثف المناطق سكانا تليها منطقتا رواندا وبورندى - Rwanda Burundi اللتان تقعان ـ فى أوغندا الحديثة ـ بوسط القارة .

وكانت معظم المناطق فى افريقيا السوداء على علاقة بنحو ما مع العالم الخارجى ، نتيجة لشبكة الطرق التجارية التى انشأها العرب فى فترة العصور الوسطى عبر الساحل العشبى جنوبى الصحراء ومناطق السودان وسواحل شرق القارة . وذلك بالاضافة إلى الطرق البحرية التى استخدمها البرتغاليون فى الربط بين مجتمعات الأطلنطى ومناطق موزمبيق وروديسيا .

وكانت السلع التى يرتفع الطلب عليها فى مناطق الساحل العشبى والمناطق السودانية بصفة عامة هى : الملح والخيول والأقمشة والمصنوعات الخزفية والمصنوعات المعدنية . وبالنسبة للمناطق الساحلية ارتفع الطلب على المنسوجات والمصنوعات بمختلف انواعها ، ثم بدأ الطلب يزداد فيها بعد على الكحوليات والطباق .

وحتى يقوم الافريقيون السود بالوفاء بأثمان كل هذه الواردات ، لم تكن لديهم للتصدير سوى سلعة واحدة على أكبر قدر من الأهمية وهى الذهب . وتليه فى الأهمية سلعة أخرى هى العبيد . وكان العالم العربى آنئذ يعتبر السوق التقليدية لشراء العبيد خصوصاً من الجوارى الأناث اللاتى كن يستخدمن فى الأعمال المنزلية .

ويمكن القول بصفة عامة أن تجارة الذهب والعبيد كانت تمثل نحو ٩٠٪ من صادرات افريقيا فى ذلك الزمن ، أما النسبة الباقية فتتمثل فى تجارة العاج .

وفى ذلك الزمن لم تكن فى أوربا مجالات مناسبة للاستفادة من نظام استخدام العبيد ، لدرجة أن البرتغاليين عندما حاولوا تسويق العبيد الافريقيين فى أوربا ، لم يلقوا الطلب المناسب على هذه السلعة ، فاضطر البرتغاليون إلى بيع العبيد الافريقيين فى افريقيا نفسها [على الأخص فى بلاد المغرب] .

ولكن سرعان ما اكتشف البرتغاليون أنهم فى حاجة إلى استخدام العبيد فى عمليات زراعة قصب السكر التى بدأوها فى جزر الاطلنطى المتاخمة لافريقيا ، والتى اكتشفوها خلال رحلاتهم البحرية [جزر ماديرا Madeira ، ومجموعة جزر رأس ڤيرد ـ جزر الرأس الأخضر(١) ـ Cape Verde Isles ، وجزر ساو تومى وبرنسيب Sao Tome And Principe] وقد تبين للبرتغاليين أن العبيد السود هم خير عمالة فى هذه الزراعة التى كان الأوربيون لا يقبلون على العمل بها .

وفى النصف الأول من القــرن الســادس عشــر ، بـدأت حـركـة نشـطة لنقـل العبيــد [خصوصا الرجال] من مناطق غرب افريقيا إلى جـزر الاطلنطى المتـاخمة للقـارة . ثم سـرعـان مـا امتدت حـركة النقـل هذه إلى المستـوطنات والمنـاطق الزراعيـة التى انشأهـا البرتغـاليون فى المناطق التى اكتشفوها فى العالم الجديد .

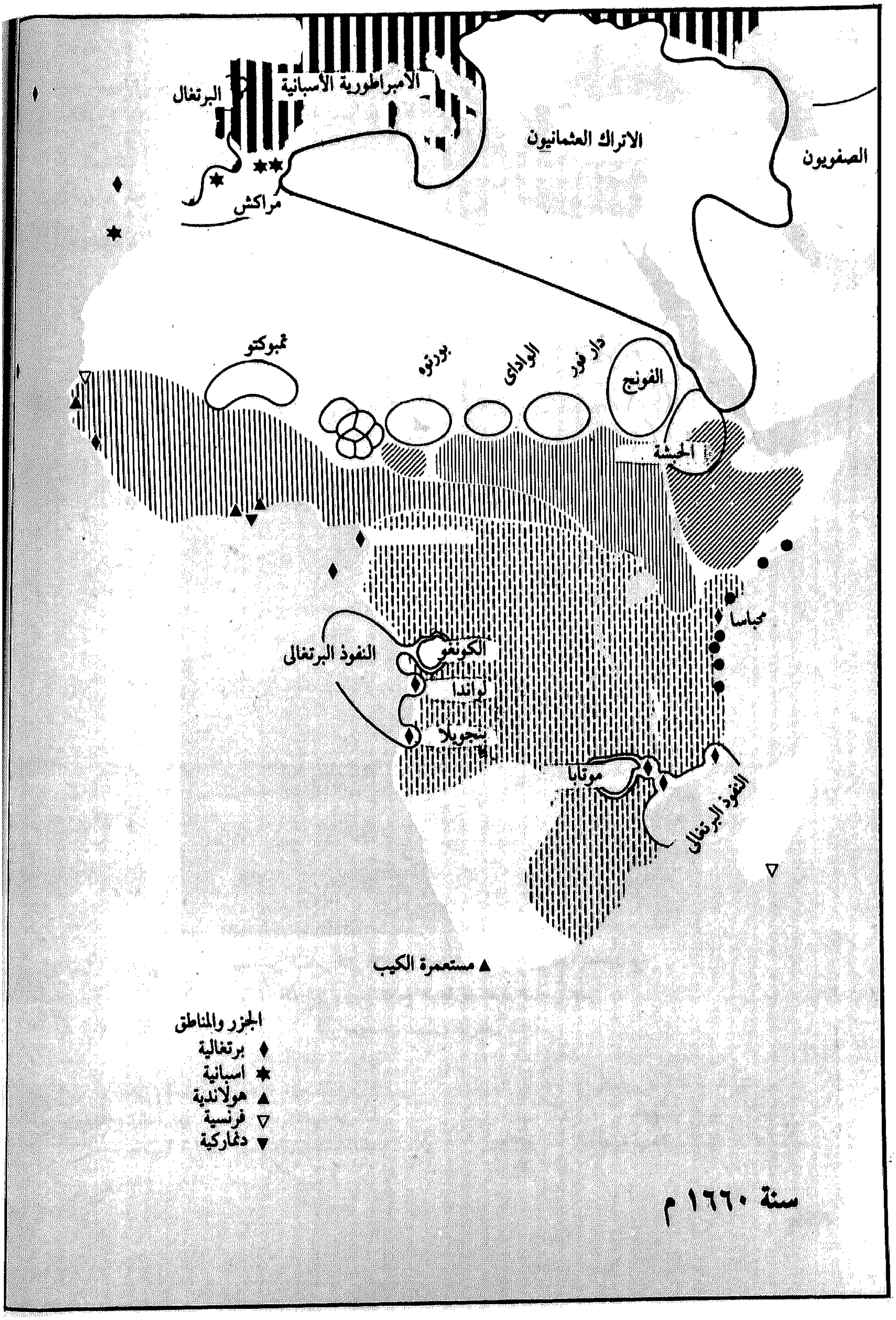
وهكـذا ارتفع معـدل تصديـر العبيـد من افريقيا السوداء من نحو ألف عبد سنوياً فى بداية القرن السادس عشر [وكلهم كانوا يباعـون فى العالم العربى] إلى نحو خمسة آلاف عبد سنوياً فى نهايات ذلك القرن ، ومعظمهم كانوا يصدرون للعمل فى المناطق المكتشفة فى الأمريكتين .

---

(١) مجموعة جـزر الرأس الأخضـر : تتكون من (١٠) جزر متوسطة و (٥) جزر صغيـرة . تقع فى المحيط الاطلنطى على بعد نحو بعد ٤٨٠ كيلو مترا غـرب السنغال . وتبلغ مساحتها جميعاً نحو ٤٠٠٠ كيلومتر مربع . وعدد السكان لا يتجاوز ٣٠٠ ألف نسمة حوالى ٦٠٪ منهم مخلطين من أصول افريقية/أوروبية والباقون من الافريقيين السود . وقد أعلنت جمهورية مستقلة سنة ١٩٨٢ باسم جمهورية كيب ڤيرد . [المترجم] .



لوحة من النحاس تمثل ثلاثة من التجار الأفريقيين الذين كانوا يتعاملون مع الأوربيين . يرجع تاريخ اللوحة إلى القرن السادس عشر .
من معروضات المتحف البريطانى بلندن .



البرتغال
الامبراطورية الأسبانية
الاتراك العثمانيون
الصفويون
مراكش
تمبوكتو
بورنو
الواداى
دار فور
الفونج
الحبشة
ممباسا
النفوذ البرتغالى
الكونغو
لواندا
بنجويلا
موتابا
النفوذ البرتغالى
مستعمرة الكيب
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
هولاندية
فرنسية
دنماركية

سنة ١٦٦٠ م

سنة ١٦٦٠

لم يكن الارتباط الذى تم بين البرتغال واسبانيا ذا فائدة للبرتغال ، بل على العكس فقد جر عليها الكثير من المتاعب . فقد دخل ملك اسبانيا فى صراع مع الهولانديين الذين بدأوا يحتلون مركزهم كأكبر قوة بحرية فى العالم .

وهكذا وجدت البرتغال منافساً قوياً لها فى المناطق التى كانت تسيطر عليها فى افريقيا . وفى سنة ١٦٣٧ ، استولى الاسطول الهولاندى على إلمينا ، وبعد سنوات قليلة أخرى استولى الهولانديون على بقية المراكز والمواقع البرتغالية الأخرى على ساحل الأكان . وبذلك تم اخراج البرتغاليين تماماً من عمليات تجارة الذهب بغرب افريقيا .

ثم واصل الهولانديون بعد ذلك عمليات استيلائهم على كل المناطق التى كانت خاضعة لنفوذ البرتغال فى الشرق الأقصى وفى البرازيل بأمريكا الجنوبية .

وفى سنة ١٦٤٠م ، انفصلت البرتغال عن اسبانيا كمحاولة منها للتفرغ لمواجهة هذا السيل المتدفق من النكبات وايقافه عند حده . غير أن هذا الانفصال لم يثمر بنتائج فورية ، ففى السنة التالية ، استولى الهولانديون أيضا على جميع موانى تصدير العبيد من افريقيا .

وفى سنة ١٦٤٨ تغيرت الأحوال لصالح البرتغال التى خصصت موارد ضخمة لمواجهة الهولانديين . وبذلك استعادت البرتغال المواقع الرئيسية الثلاثة التى فقدتها سنة ١٦٤١م . وهى : فرناندو بو ، ولواندا ، وبنجـــــويلا Fer nando Po و Luanda و Benguela كما استعادت نفوذها فى مناطق جنوب الاطلنطى.

ولم تكن هولاندا هى المنافس الوحيد الذى استولى على المواقع التى كانت تسيطر عليها البرتغال فى افريقيا . ففى سنة ١٦٥٣م قام اسطول عمانى قادم من شبه الجزيرة العربية بالقضاء على سيادة البرتغال التى كانت قد فرضتها على المدن التجارية العربية بالساحل الشرقى لافريقيا .

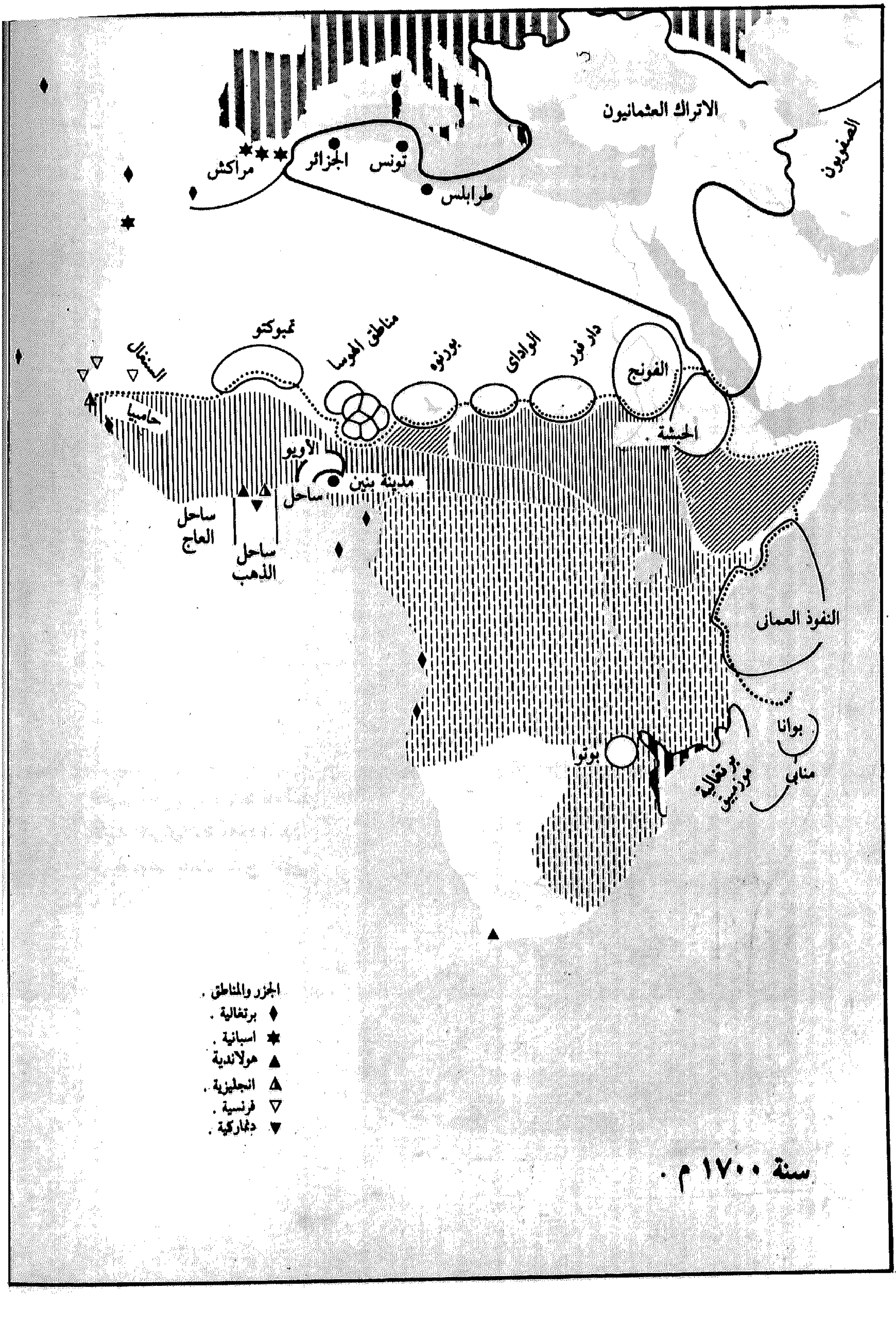
ولكن البرتغاليين استطاعوا بعد ذلك أن يستعيدوا مدينة مومباسا ومنطقة موزمبيق وبعض المواقع الأخرى جنوب موزمبيق . كما قاموا بتدعيم مركزهم بداخل القارة ، حيث حققوا طموحاتهم فى الاقامة الطويلة بتلك المناطق الداخلية . وفى سنة ١٦٣٣م كانوا قد سيطروا تماماً على مملكة موتابا Mutapa وإن كانوا لم يحققوا من وراء ذلك أرباحاً طائلة كما كانوا يتوقعون ، فكل الذهب الذى كانت تنتجه هذه المنطقة ، لا يمثل أكثر من جزء ضئيل من كميات الذهب الهائلة التى تنتجها مناطق غرب افريقيا .

أما أهم ما تجدر الاشارة إليه من أحداث تلك الفترة ، فيتمثل فى ظهور محطات الامداد والتموين التى انشأتها بعض الدول الأوربية الأخرى لخدمة أساطيلها التجارية المتجهة نحو الهند والشرق بصفة عامة . ففى سنة ١٦٤٢م أنشأ الفرنسيون محطة بجزيرة مدغشقر . وفى سنة ١٦٥٢م انشأ الهولانديون محطة فى منطقة الكيب Cape .

كـذلك فقـد ظهرت سلطنـة جديـدة هى سلطنة الوادای Wadai المجاورة لدارفور .
كـذلك فقـد ضعفت سيطرة مـراكش على المناطق التى كان تابعة لها بجنوب الصحـراء ، فـاستقل بـاشاوات تمبـوكتو بحكمهـا ، وعينـوا أنفسهم امـراء عليها ، وإن كـانوا من النـاحية النظرية مازالوا يعترفون بولاء غير مخلص لحكام مراكش .



تمثال من العاج يمثل ملكا ، عثر عليه أحد الأطباء الامريكيين سنة ١٨٩٧ فى بنين . من معروضات متحف التاريخ الطبيعى بشيكاجو .


الاتراك العثمانيون
الصفويون
مراكش
الجزائر
تونس
طرابلس
تمبوكتو
السنغال
جامبيا
مناطق الهوسا
بورنو
الواداى
دار فور
الفونج
الحبشة
الأويو
مدينة بنين
ساحل
ساحل العاج
ساحل الذهب
النفوذ العمانى
بوانا
منابى
بوتوا
برتغالية
موزمبيق
الجزر والمناطق .
برتغالية .
أسبانية .
هولاندية
انجليزية .
فرنسية .
دنماركية .

سنة ١٧٠٠ م .

سنة ١٧٠٠

فى مطلع القرن الثامن عشر ، أصبح من الواضح أن الامبراطورية العثمانية أصبحت أضعف بكثير مما كانت عليه منذ قرن مضى ؛ فقد أخذت الولايات الافريقية تتمتع بسلطات شبه مستقلة ، وأصبح الحكام الذين يتولون حكم الجزائر وتونس وطرابلس ، أقرب إلى الملوك منهم إلى نواب للسلطان العثمانى . أما فى مصر ، فبالرغم من أنها استمرت فى دفع الجزية إلى استامبول ، إلا أن امراء المماليك قد استعادوا الكثير من سلطاتهم ونفوذهم الغابر ، واصبحوا أصحاب الكلمة العليا فى حكم البلاد . الأمر الذى أصبح يعطى صورة بأن الباب العالى قد فقد القدرة على بسط نفوذه كما قلت الثقة فيه .

وبينما كانت الامبراطورية العثمانية تزداد ضعفا ، كانت أوربا الغربية تزداد قوة . وبالتالى ازداد نشاط الدول الأوربية فى تجارة العبيد . وفى خلال السنوات الأولى من القرن الثامن عشر ، ارتفع معدل عدد العبيد الذين كانوا ينقلون عبر الاطلنطى إلى نحو (٥٠) ألف عبد سنوياً . أى نحو عشرة أضعاف عدد العبيد الذين كانوا ينقلون سنوياً فى بداية القرن السابع عشر .

وكانت يتم توريد نصف عدد هؤلاء العبيد تقريباً بواسطة الموردين المحليين فى خليج بنين Bight Of Benin ، خصوصاً فى قطاعه الغربى الذى أصبح يسمى ساحل العبيد Slave Coast . ولم تطلق هذه التسمية جزافاً ، فمن المعروف أن المنطقة الجنوبية من نيجيريا الحديثة ، كانت أكثر المناطق الافريقية كثافة فى السكان . كما أن مملكة أويو Oyo التى انشأتها قبائل اليوروبا Yoruba بمنطقة خليج بنين كانت تقوم بعمليات واسعة لاقتناص العبيد وتوريدهم .

والحقيقة أن التنظيم السياسى لممالك الزنوج قد استعصى على أفهام أوربا فى البداية ، فقد كانت هذه الممالك عبارة عن تجمعات قبلية تعتنق شعائر أو طقوساً عقائدية معينة ، أكثر من كونها وحدات إدارية تخضع لنظام ادارى موحد . ونظراً لأن الأوربيين كانوا مضطرين للتعامل مع تلك الممالك ، فقد كانوا يعترفون بداءة بشرعية حكم الملوك أو الرؤساء المحليين . ولا يتدخلون فى كيفية اختيارهم أو تعيينهم ، ولا السيطرة عليهم .

وكان توريط مثل هذا النوع من الممالك بدفعها إلى قبول التزامات باهظة لا تستطيع الوفاء بها ، هو الوسيلة التى اتبعها الأوربيون للسيطرة عليها ، وهو السبب المباشر الذى أدى إلى زوال بعض تلك الممالك وانهيارها . وذلك مثلما حدث بالنسبة لمملكة الكونغو التى انهارت تماماً فى أواخر القرن السابع عشر ، ومملكة موتابا التى دمرتها مملكة بوتوا Butua وهى مملكة منافسة أنشأتها قبائل الشونا Shona سنة ١٦٩٣م .

وقد حاول البرتغاليون أن ينشئوا لأنفسهم مستوطنة على ساحل خليج بنين ليباشروا شئون التجارة بأنفسهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك لعدم ملاءمة الظروف الصحية ، حيث كانت الحمى تفتك بهم أولاً بأول . لذلك فقد اعتمد البرتغاليون على مملكة أويو التى اتسعت سلطتها وزادت سيطرتها على تلك المنطقة ، لكى تباشر أعمال الوساطة التجارية بينهم وبين المناطق الداخلية والمناطق المجاورة . والملاحظ بصفة

عامة أن المبادلات التجارية بين أوربا وافريقيا قد ازدادت واتسع نطاقها . وكان طلب الافريقيين على السلع والبضائع الأوربية ، أكبر كثيراً من طلب الأوربيين على سلعة العبيد .

أما بقية أهم الأحداث التاريخية التى وقعت فى منطقة غرب افريقيا فى تاريخ هذه الخريطة ، فتتمثل فى الاستكشافات التى قام بها الفرنسيون لمناطق نهر السنغال ، وهو أحد الأنهار الافريقية القليلة الصالحة للملاح .

كما نشير إلى ظهور الانجليز فى منطقة جامبيا Gambia وساحل الذهب ، الأمر الذى يعنى انتهاء سيطرة الهولانديين على هاتين المنطقتين .

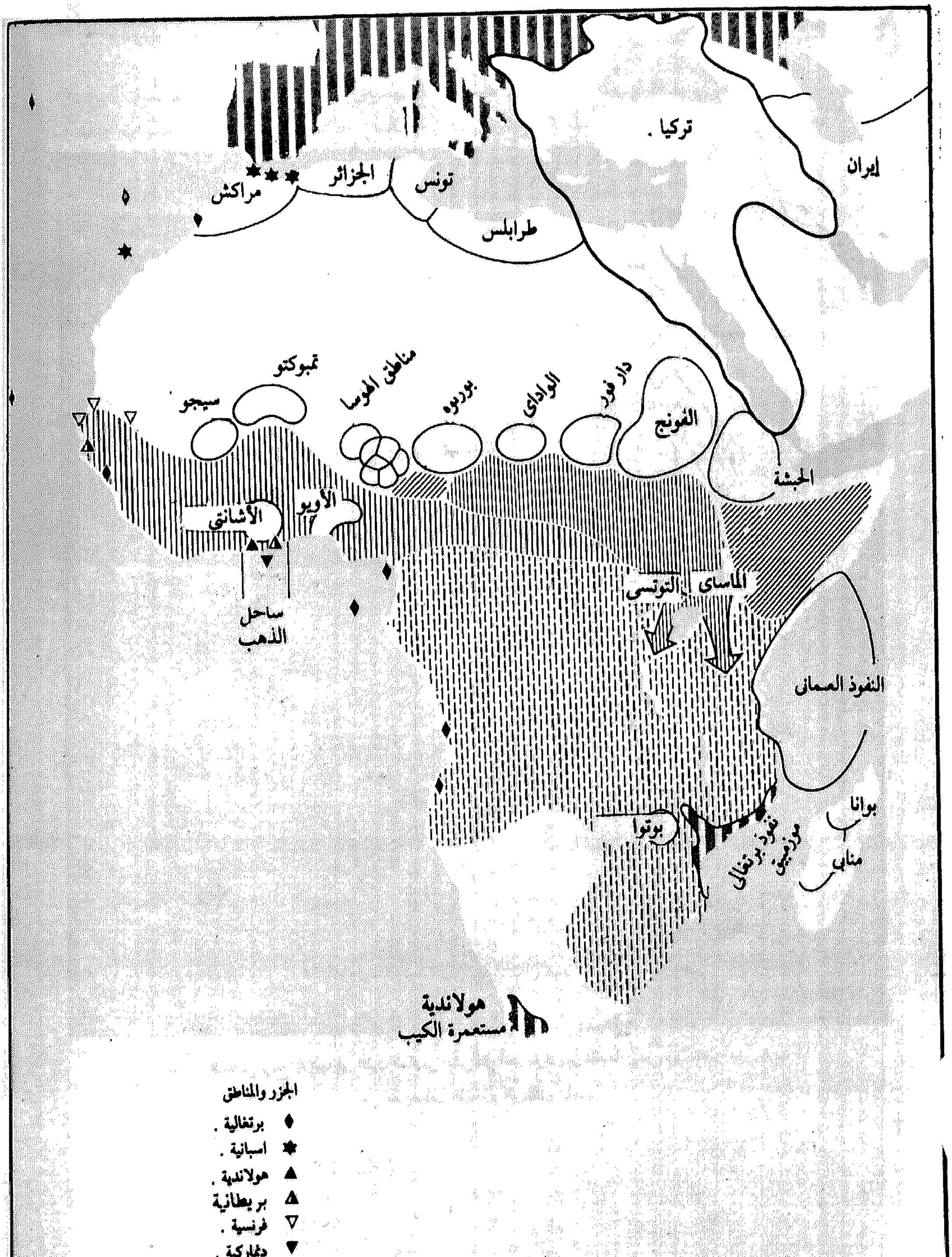
أما بالنسبة لمناطق شرق افريقيا ، فقد انتهى نفوذ البرتغاليين على مومباسا بعد أن وقعت فى يد العمانيين القادمين من شبه الجزيرة العربية ، والذين حاصروا المدينة على فترات متقطعة استمرت نحو ثلاث سنوات [١٦٩٦ - ١٦٩٨م] .

كذلك فقد دعم البرتغاليون سيطرتهم على مناطق نهر الزامبيزى الأدنى Lower Zambesi [اقليم موزمبيق]

أما فى جزيرة مدغشقر فقد ظهرت لأول مرة مملكتان محليتان جديدتان انشأهما السكان المحليون من قبائل السكالافا Sakalava وهما : مملكة منابى Menabe ومملكة بوانا Boina . وذلك بعد انسحاب الفرنسيين من الجزيرة إثر نجاحهم فى استعمار جزر الريونيون Reunion التى تبعد نحو ٤٠٠ ميل نحو الشرق .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر تمثل أحد ملوك بنين القدماء وهو يعود منتصراً من الحرب .
من معروضات المتحف البريطانى بلندن .


تركيا
إيران
مراكش
الجزائر
تونس
طرابلس
تمبوكتو
سيجو
مناطق الهوسا
بورنو
الواداى
دار فور
الفونج
الحبشة
الأشانتى
الأويو
ساحل الذهب
الماساى
التوتسى
النفوذ العمانى
بوتوا
نفوذ برتغالى
موزمبيق
بوانا
منابى
هولاندية
مستعمرة الكيب
الجزر والمناطق
برتغالية .
أسبانية .
هولاندية .
بريطانية
فرنسية .
دنماركية .

سنة ١٧٥٠ م

سنة ١٧٥٠

لم تحدث تغيرات كبرى فى افريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ، سوى ما حدث من استقلال معظم الولايات الواقعة على الساحل الشمالى لافريقيا عن الامبراطورية العثمانية . حيث استقلت تونس سنة ١٧٠٥م ، واستقلت الجزائر سنة ١٧١٠ م ، واستقلت طرابلس سنة ١٧١٤م .

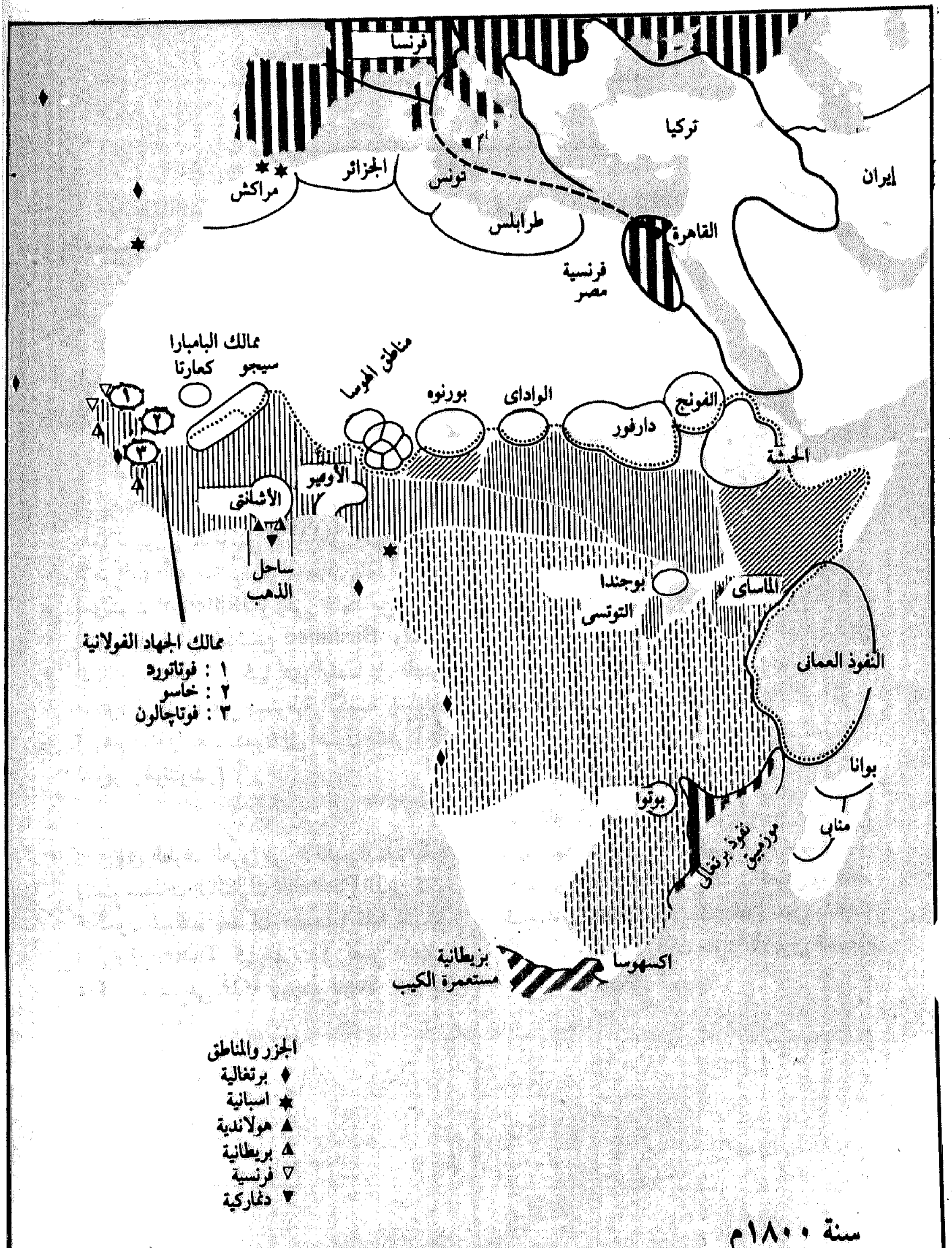
أما فى الطرف الجنوبى من القارة ، فقد قام البوير Boers [وهم مجموعات من المستوطنين الهولانديين] بالتغلغل فى المناطق الداخلية ، الأمر الذى أدى مباشرة إلى انخفاض تعداد قبائل الهوتنتوت Hottentot [وهى خليط من أصول تنتمى إلى قبائل البوشمن Bushmen وقبائل البانتو Bantu] . كما أدى أيضا إلى ظهور مستوطنة جديدة هى مستوطنة الكيب للملونين [وهم ابناء واحفاد ينتمون إلى أصول مشتركة من البوير والهوتنتوت] .

وفى الطرف الغربى من الأقاليم السودانية ، زالت سلطات الباشاليك Pashalik الذين كانوا يحكمون تمبوكتو بعد أن خضعوا كلية لقبائل الطوارق Tuareg كما ظهرت فى نفس المنطقة مملكة جديدة هى مملكة سيجو Segu انشأتها قبائل البامبارا Bambara [التى تنتمى إلى القبائل المتحدثة بلغة الماندى Mandi ولها عقائدها التقليدية المحلية] .

أما فى الطرف الشرقى من الأقاليم السودانية ، فقد قام سلطان الفونج بغزو اقليم كردفان وضمه إلى مملكته .

أما بالنسبة لهجرات وتحركات الشعوب النيلية الصحراوية فى مناطق شرق افريقيا ، فقد زحفت قبائل الماساى Masai من منطقة بحيرة توركانا Turkana واتجهت جنوبا عابرة مرتفعات كينيا لتقيم فى الاقليم العشبى بتانزانيا . كما زحفت عشائر التوتسى Tutsi [وكانوا من المحاربين] من منطقة أعالى النيل الأبيض ، واستقرت فى رواندا وبوروندى ، حيث فرضت نفسها حكاماً على عشائر الهوتو Hutu المحلية التى تنتمى إلى قبائل البانتو .

وفى منطقة ساحل الذهب Gold Coast التى تقع فى غانا الحديثة [وليست غانا طبقا لمفهومها التاريخى القديم] ، قامت قبائل الأشانتى Ashanti التى كانت تعيش فى اقليم كوماسى Kumasi بالسيطرة على منطقة الأكان ، منافسة فى ذلك ملوك الأويو فى السيطرة على شعوب وقبائل اليوروبا .



فرنسا
تركيا
إيران
مراكش
الجزائر
تونس
طرابلس
القاهرة
فرنسية
مصر
ممالك البامبارا
سيجو
كعارتا
مناطق الهوسا
بورنوه
الواداى
الفونج
دارفور
الحبشة
الأويو
الأشانتى
ساحل الذهب
بوجندا
التوتسى
الماساى
النفوذ العمانى
ممالك الجهاد الفولانية
١ : فوتاتورو
٢ : خاسو
٣ : فوتاچالون
بوانا
منابى
بورتوا
نفوذ برتغالى
موزمبيق
اكسهوسا
بريطانية
مستعمرة الكيب
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
هولاندية
بريطانية
فرنسية
دنماركية
سنة ١٨٠٠م

سنة ١٨٠٠

فى مطلع القرن التاسع عشر ، طرأ تغيير طفيف على خط الحدود الجنوبية للاسلام فى المناطق الافريقية بالنسبة لما كان عليه الحال فى مطلع القرن الثامن عشر .

وفى الفترة ما بين عامى ١٧٧٦ - ١٧٨٦م ، قامت قبائل الفولانى بجهاد مثابر لنشر الدعوة الاسلامية فى ثلاث مناطق جديدة بمناطق غرب السودان . وانشأت بالتالى ثلاث دويلات ثيوقراطية [دينية] هى : فوتاتورو Futa Toro ، وفوتاچالون Futa Jal-lon ، وخاسو Khasso . وتتسم هذه الدويلات جميعاً بشدة التمسك الصارم بتعاليم الدين . وهذا الاتجاه يشذ عن الطريقة الشائعة فى ممارسة الأديان بمناطق افريقيا السوداء .

أما فى مناطق نهر النيجر ، فقد كان الحال على العكس ، حيث قامت قبائل البامبارا ــ وهى ذات عقيدة افريقية محلية ــ بالقضاء على تمبوكتو فى سنة ١٧٨٧ ، وضمتها إلى مملكتهم فى سيجو .

أما فى بقية المناطق السودانية فلم يطرأ شىء جديد سوى ازدياد عدد المسلمين فى اقليم كردفان ، وذلك بعد أن تعرض هذا الاقليم للغزو من جانب مملكة الفونچ سنة ١٧٥٠م ، ثم للغزو مرة أخرى من جانب اقليم دارفور سنة ١٧٩٠م .

أما فى مصر التى تعتبر قلب العالم الاسلامى فى افريقيا ، فقد حدثت تطورات هامة ، حيث نزلت قوات الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت فى منطقة أبى قير قرب الاسكندرية فى يوليو ١٧٩٨م . وكان الجيش الفرنسى مكونا من نحو ٣٦,٠٠٠ من الجنود المتمرسين فى حروب الثورة الفرنسية ، وبرفقتهم مجموعة كبيرة من العلماء المتمرسين فى أفرع الثقافة والأدب والعلوم الرياضية والمُهندسين .

وفى البداية أعلن نابليون أن الهدف من حملته هو الاصلاح ، وأنه جاء استناداً إلى موافقة ومباركة السلطان العثمانى وشيوخ المسلمين . وبعد نحو ثلاثة أسابيع من نزول قوات نابليون إلى بر مصر ، حاول المماليك صد هجومه ومواجهة تقدمه إلى القاهرة . ونشبت بين الفريقين معركة حاسمة سميت معركة الأهرام ، رغم أن مكانها كان يبعد عن الأهرام بعدة أميال نحو الشمال . وفور انتصار نابليون على المماليك ، أعلن نفسه حاكماً رسمياً على مصر .

وقد يكون من الصعب تبين الدوافع الحقيقية للحملة الفرنسية على مصر ، إلا أنه من الواضح أن هناك عدة اعتبارات : فنابليون كان شغوفاً بتمثيل دور الاسكندر الأكبر . كما أن منافسيه كانوا شغوفين بابعاده عن فرنسا . أما الجنود فقد كانوا يرغبون فى اغتنام بعض ثروات الشرق .

وعلى أية حال فلم تستطع القوات الفرنسية أن تبقى بمصر لمدة طويلة ، خصوصاً بعد تدخل انجلترا التى تسيدت البحار فى تلك الفترة والتى كانت تعتبر العدو اللدود لفرنسا . وبمجرد أن عثر الادميرال البريطانى نلسون على موقع الاسطول الفرنسى ، فى خليج أبى قير ، حتى قام الاسطول البريطانى فى منطقة البحر المتوسط بتوجيه ضربة عنيفة دمر بها الاسطول الفرنسى وقضى عليه .

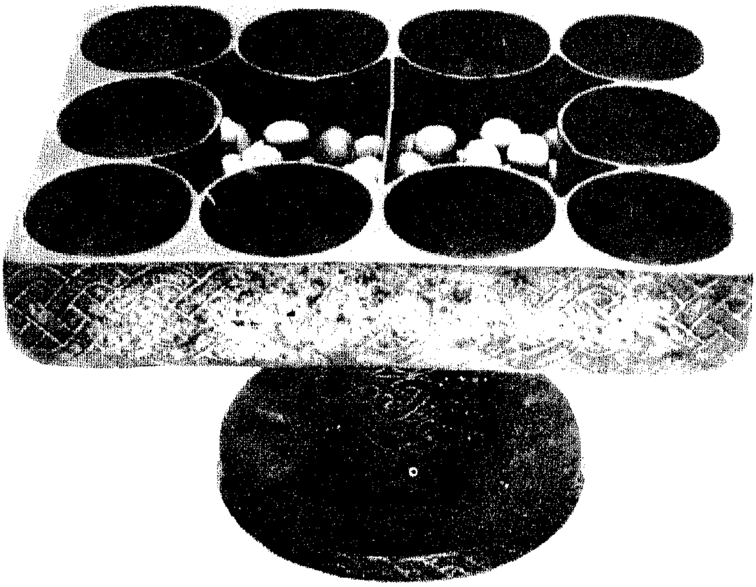
وقد استمر بقاء نابليون بمصر لسنة أخرى بعد تلك الضربة ، إلى أن استطاع التسلل من مصر على ظهر فرقاطة فرنسية أعادته إلى وطنه . أما الجيش الفرنسى الذى تركه بمصر ، فقد غادرها بعده بنحو سنتين [سبتمبر ١٨٠١م] وذلك بعد الاتفاق على هدنة بين انجلترا وفرنسا .

أما فى جنوب افريقيا ، فقد تميز الربع الثالث من القرن الثامن عشر بتوسع البوير فى الزحف إلى المناطق الداخلية بجنوب القارة ، حتى وصلوا إلى المناطق التى كانت تعيش فيها قبائل الاكسهوسا Xhosa التى تنتمى إلى قبائل وشعوب البانتو . وهناك حدثت بين البوير وهذه القبائل مجموعة من المناوشات أطلق عليها اسم حرب الكافير[1] Kaffir الأولى بين سنتى ١٧٧٩ - ١٧٨١م ، وحرب الكافير الثانية سنة ١٧٩٣م . وفى حقيقة الأمر كانت هذه الحروب عبارة عن مناوشات وغارات تقوم بها قبائل الاكسهوسا للسطو على قطعان البوير ، وغارات انتقامية يقوم بها البوير للثأر من تلك القبائل .

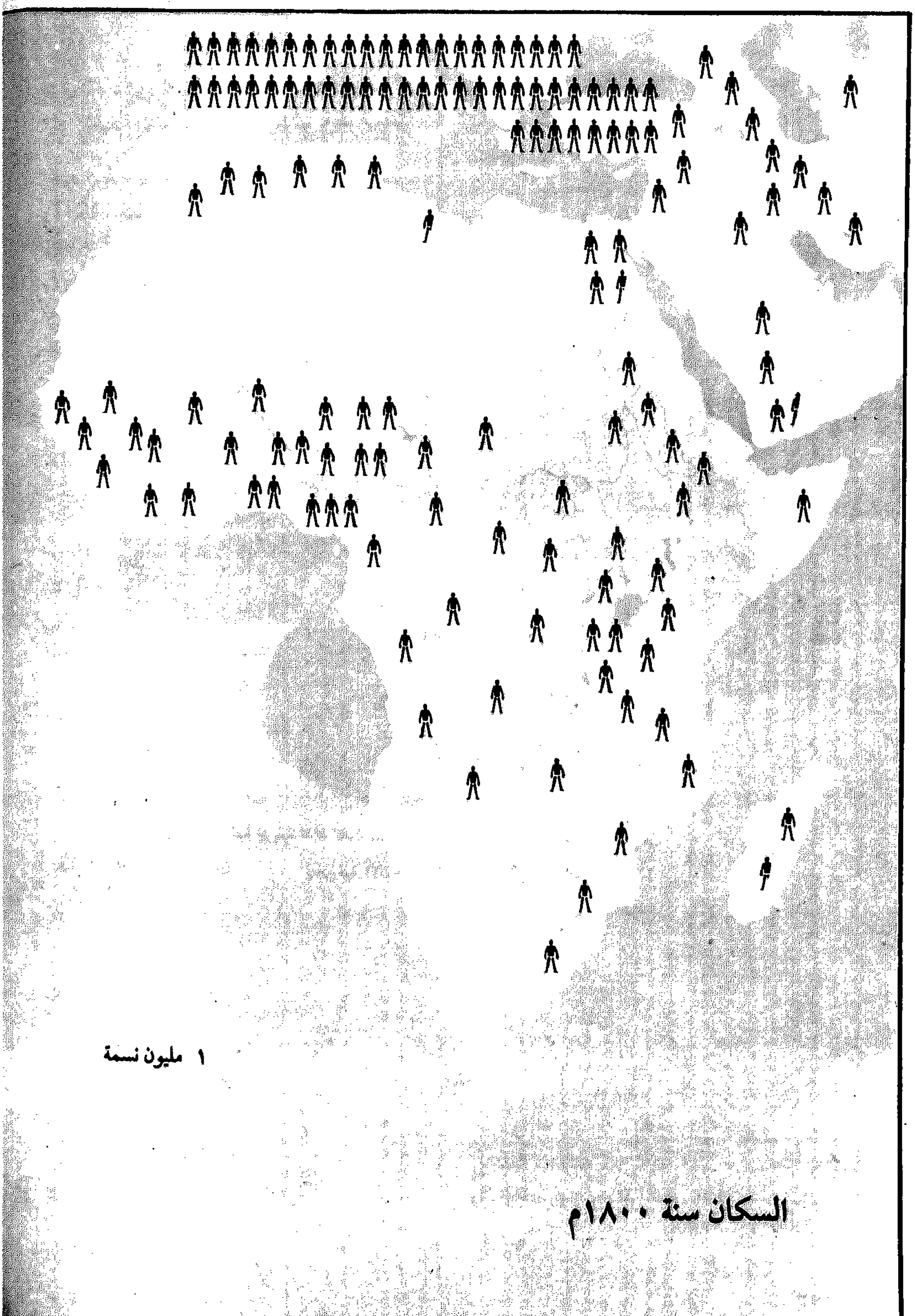
وكذلك فقد تم استيلاء الانجليز على مستعمرة الكيب من الهولانديين ، الذين كانوا فى ذلك الوقت حلفاء لفرنسا ، ودخلوا بالتالى فى نطاق الصراع الفرنسى البريطانى . وقد استولى الانجليز على المستعمرة سنة ١٧٨٥م . غير أن الهولانديين استطاعوا استعادة المستعمرة سنة ١٨٠٣م لفترة قصيرة وقفت فيها المعارك الحربية بين انجلترا وفرنسا ولكن الانجليز استولوا على مستعمرة الكيب مرة أخرى بصفة نهائية سنة ١٨٠٦م .

أما ابرز الأحداث التاريخية التى وقعت بمناطق شرق افريقيا فى تلك الفترة ، فتتمثل فى ظهور أول أكبر مملكة انشأتها قبائل البانتو ، وهى مملكة بوجندا Buganda التى تقع فى منطقة شمال غرب بحيرة ڤيكتوريا .

(١) الكافير : مصطلح يطلق على مجموعة القبائل والشعوب المتحدثة بلغة البانتو والذين يعيشون فى مناطق جنوب افريقيا . [المترجم] .



لعبة افريقية قديمة كانت تسمى « حبل العالم » . من مصنوعات بنين القديمة .
ومعروضة الآن ضمن مجموعة « سوثبى » بلندن .


١ مليون نسمة
السكان سنة ١٨٠٠م

التوزيع السكانى سنة ١٨٠٠

فى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ، أصبحت القبائل والشعوب السوداء تمثل الاغلبية الساحقة بين سكان افريقيا . ففى مناطق جنوب الصحراء الكبرى كان يعيش نحو ٦٠ مليونا من السود ، مقابل عشرة ملايين يعيشون فى مناطق شمال الصحراء .

إلا أننا نشير إلى أن بين الشعوب الافريقية التى كانت تعيش جنوب الصحراء ، كان هناك نحو خمسة ملايين من الكوشيين [النوبيين] الذين لا يمكن اعتبارهم من الأجناس السوداء بصفة قاطعة ، ونحو مليون ونصف مليون من شعب مالاجاسى Malagasy ، وهم بدورهم لا ينتمون إلى الجنس الاسود على الاطلاق .

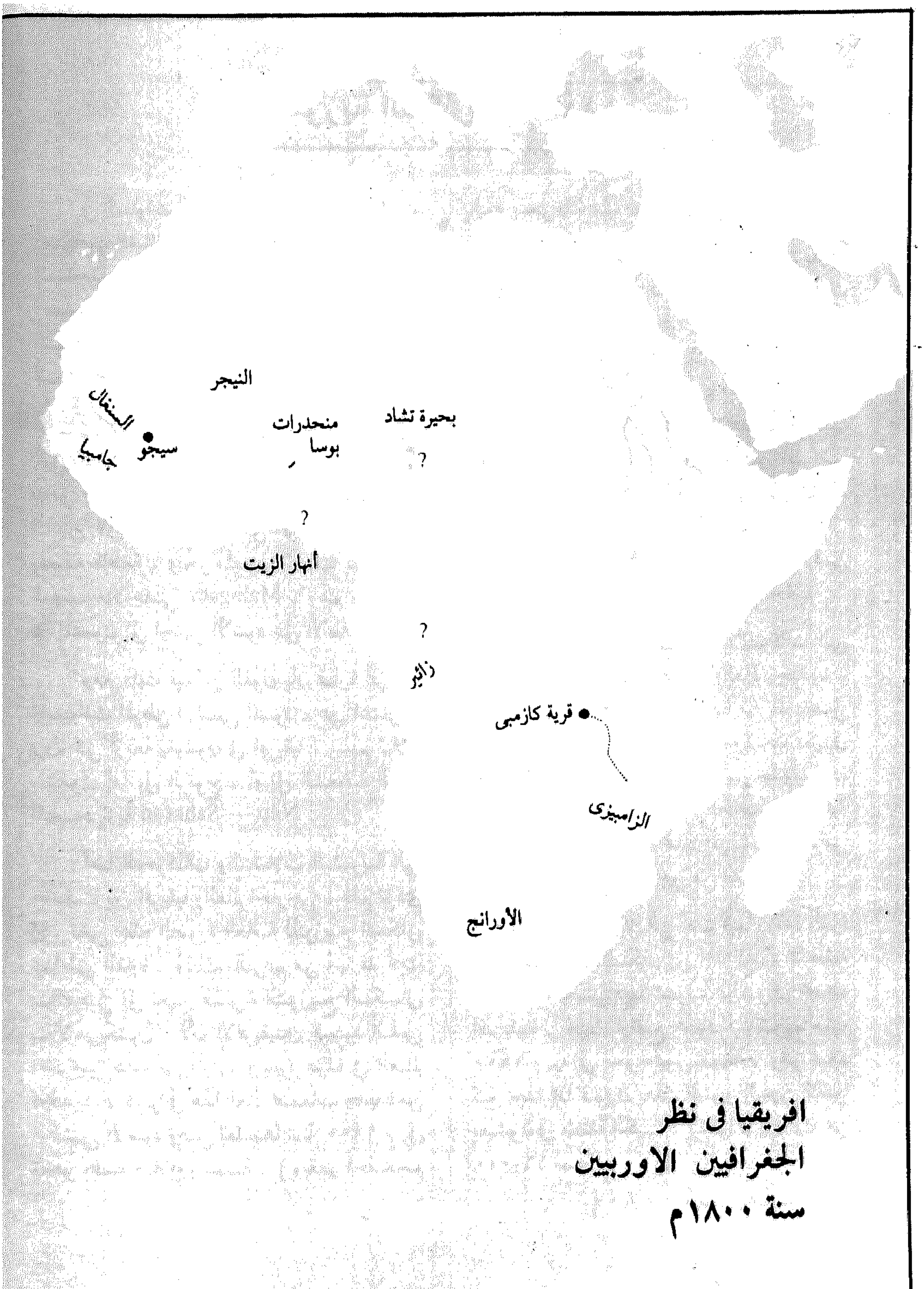
ومع ذلك فيمكن القول بأن قارة افريقيا أصبحت الموطن الرئيسى للسود ، على اعتبار أن بين كل أربعة يعيشون فى افريقيا ، بينهم ثلاثة ينتمون إما إلى الزنوج ، أو إلى الشعوب النيلية الصحراوية Nilo — Saharan .

أما التحركات والتنقلات البشرية التى حدثت بين افريقيا والعالم الخارجى ، فلم تؤدى إلى تغيير هذه الصورة العامة للتوزيع السكانى بمناطق القارة . وذلك بالرغم من أنها قد أدت بالفعل إلى تغيير صورة التوزيع السكانى بالامريكتين . لأن الافريقيين السود الذين اخرجوا عنوة من قارتهم وبيعوا عبيداً فى العالم الجديد ، كونوا فى هذا العالم مجتمعات جديدة من الجنس الاسود وصل تعدادها سنة ١٨٠٠ م إلى نحو خمسة ملايين نسمة . [ويقدر احفادهم اليوم بنحو مائة مليون نسمة] .

ويمكن القول بأن اخراج العبيد من افريقيا لم يؤثر فى نظام التوزيع السكانى للقارة ، وذلك تأسيساً على أن تجارة العبيد التى بلغت ذروتها فى عقد الثمانينات من القرن الثامن عشر ، كانت تستنزف من افريقيا نحو ١٠٠ر٠٠٠ عبد سنوياً . وهذا الرقم يكاد يعادل نصف المعدل السنوى لزيادة السكان فى مناطق افريقيا السوداء . كما أن الاغلبية العظمى من هؤلاء العبيد كانوا من الذكور ، الأمر الذى قلل من التأثير فى نقص السكان نظراً لأن الأناث قد قمن بتعويض هذا النقص بزيادة معدل الإنجاب .

كما يمكن القول أيضا بأن الاتصالات التى تمت عبرالاطلنطى بين افريقيا والعالم الجديد ، قد أدت إلى إدخال انواع جديدة من المحاصيل الزراعية إلى افريقيا مثل الذرة ونبات المنيوق Manioc ، وهو نبات تستخرج من جذوره مادة نشوية مغذية . وقد أدت هذه المحاصيل الزراعية الجديدة دورها فى زيادة عدد المواليد بما يعوض أعداد العبيد الذين اخرجوا من القارة .

ومن أهم المناطق التى أدت فيها زراعة الذرة إلى زيادة معدل السكان إلى حد كبير ، المنطقة التى كانت تعيش فيها شعوب البانتو فى جنوب افريقيا . حيث ارتفع عدد البانتو ـ سنة ١٨٠٠ م ـ إلى نحو مليونى نسمة ، وهو عدد كبير جدا إذا قورن بعدد البوير الذين كانوا يعيشون فى منطقة الكيب ، وكانوا لا يزيدون عن ١٦ر٠٠٠ نسمة .



افريقيا فى نظر
الجغرافين الاوربين
سنة ١٨٠٠م

افريقيا فى نظر الجغرافيين الأوربيين سنة ١٨٠٠

حتى سنة ١٨٠٠ م ، ظلت افريقيا السوداء ــ بالنسبة للأوربيين ــ قارة مجهولة ، لم تتوفر عنها معلومات كافية لمدة طويلة من الزمن ، بحيث أصبح من الصعب رسم أية خريطة موثوق بها ، لأكثر من ربع مساحة المناطق الشاسعة الواقعة جنوب الخط الذى يمر ببحيرة تشاد . أما الأسئلة الخاصة بمنابع النيل أو بمنابع الكونغو ، أو بمصب النيجر ، فقد ظلت بالنسبة للأوربيين اسراراً مغلقة .

وهناك سبب مباشر لعدم توافر تلك المعلومات يتلخص فى كلمة واحدة هى « الملاريا » Malaria . فإذا افترضنا أن عشرة من الأوربيين قد نزلوا بسواحل غرب افريقيا ، فمن المؤكد أن ستة منهم على الأقل سيموتون بالملاريا قبل نهاية العام . ومن المؤكد كذلك ان نسبة هذه الوفيات سترتفع فوق هذا المعدل إذا عاش الأوربيون فى المناطق الداخلية . ولهذا فلم يكن من المستغرب أن يطلق على مناطق غرب افريقيا اسم شائع هو : « مقبرة الرجل الابيض » .

وكنتيجة مباشرة لهذا السبب القوى ، أصبح من المحتم على الأوربيين أن يقللوا اتصالاتهم بافريقيا إلى أقصى قدر مستطاع ، وأن يمارسوا هذه الاتصالات على حذر . ولذلك فقد أصبحت المبادلات التجارية مع الافريقيين تتم على هذا النحو : يحضر الافريقيون بضائعهم [العبيد والذهب والعاج] إلى الساحل ، ويقوم الأوربيون بالمتاجرة معهم وهم على سفنهم الراسية قرب الساحل ، ودون اضطرار إلى النزول إلى الشاطىء إلا فى القليل النادر .

ولكن حتى تتم سيطرة الأوربيين على تلك المناطق التى تجرى فيها هذه المبادلات التجارية ، كان من اللازم أن يقيم بعض الأوربيين فى مستوطنات أو تحصينات حربية ينشئونها على الساحل ، وكانوا يفعلون ذلك على مضض ، وبقصد حماية هذه المناطق التجارية من أطماع الأوربيين الآخرين ، وليس بقصد السيطرة على الافريقيين .

ومع ذلك كانت هناك بعض الاستثناءات على هذه الصورة العامة . وعلى سبيل المثال فإن منطقة الكيب تعتبر منطقة صحية بالنسبة للأوربيين ، ولذلك فقد تمكن البوير من استيطانها والاقامة المستمرة فيها ، بل والتوغل فى مناطقها الداخلية . وفى سنة ١٨٠٠ م ، كان البوير قد استكشفوا كل مناطق نهر أورانج Orange .

وكذلك الحال بالنسبة للبرتغاليين الذين استطاعوا الاقامة فى مستوطنتين : انجولا على الساحل الغربى ، وموزمبيق على الساحل الشرقى . وقد يعزى ذلك إلى أن استمرار إقامة البرتغاليين فى تلك المناطق الافريقية لمدة تقرب من ٣٠٠ سنة ، قد اكسبهم قدراً كبيراً من المناعة والقدرة على مقاومة الأمراض المستوطنة . وهكذا اكتسب هؤلاء الأفروبرتغاليون Afro — Portuguese القدرة على التوغل فى المناطق الداخلية بأمان تام .

ومع ذلك فقد ظل البرتغاليون يقيمون فى المناطق الساحلية بصفة أساسية . وحتى إذا امتد نشاطهم التجارى لمسافة ٤٠٠ ميل بالداخل ، سواء من منطقة انجولا أو من منطقة موزمبيق ، فقد كان من المتعين عليهم أن يجتازوا ٨٠٠ ميل أخرى حتى يصلوا - براً - من مستوطنة إلى أخرى . وهى مسافة طويلة جداً وتمتد فى مناطق لم يتم استكشافها بعد ، وتعتبر مناطق مجهولة تماماً .

وفى سنة ١٧٩٨ م ، حاول البرتغالى فرانسيسكو لاسيردا Francisco Lacerda أن يخترق هذه المناطق الداخلية التى تقع بين انجولا وموزمبيق ، ولكنه لقى حتفه فى قرية كازمبى Kraal of Cazembe وهى أبعد نقطة داخلية استطاع التجار البرتغاليون القادمون من منطقة نهر زامبيزى ، الوصول إليها للمتاجرة مع أهلها .

ومن أهم البعثات الاستكشافية التى قام بها الأوربيون فى تلك الفترة بقصد التوغل فى المناطق الافريقية الداخلية ، تلك الرحلة التى قام بها مونجو بارك Mungo Park الذى غادر انجلترا سنة ١٧٩٥ م قاصداً استكشاف مناطق نهر النيجر . وبالرغم من نوبات الحمى التى أصيب بها ، فقد استطاع أن يشق طريقه بين جامبيا وسيجو خلال سنة ١٧٩٦ م .

وما ان وصل إلى سيجو حتى آثر العودة سالماً بعد أن تأكد له أنه سيتعرض للقتل إذا توغل فى الداخل أكثر من ذلك ، حيث أن المسلمين الذين يعيشون فى مناطق النيجر الأوسط يتخذون موقفاً عدائيا ضد أى مسيحى يحاول الوصول إلى تلك المناطق .

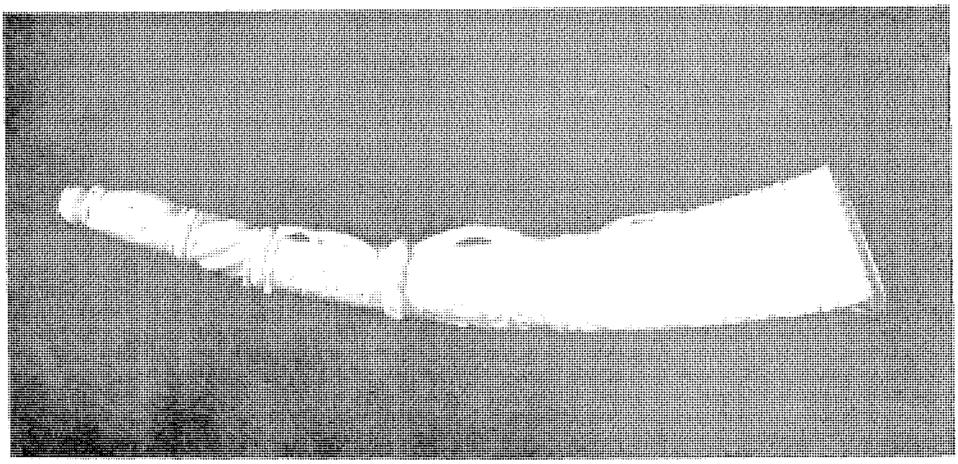
وفى سنة ١٨٠٥ م ، عاود مونجو بارك الكرة مرة ثانية ، ولكنه أحضر معه هذه المرة ٤٦ جندياً بريطانيا مزودين بالبنادق . وكانت خطته أن يصل إلى سيجو أولاً ، وهناك يشترى قارباً يركبه هو وجنوده ، ويسير بهذا القارب فى منتصف مجرى النهر تماماً دون حاجة إلى النزول إلى الشاطىء . وإذا صادفته أية متاعب من جانب الأهالى ، فسوف يفتح عليهم النيران الكثيفة من بنادق جنوده . وهكذا يستمر فى رحلته عبر النيجر حتى يصل إلى البحر من خلال مصبه .

ورغم أن هذه الخطة تبدو سليمة من الناحية النظرية ، إلا أن الجنود البريطانيين لم تكن لديهم تلك المناعة التى اكتسبها مونجو بارك ضد الملاريا ، لذلك فقد تهاوى الجنود مثل الذباب . ولم يعد باقياً منهم إلا أربعة فقط ، هم الذين استطاعوا الوصول سالمين إلى سيجو ، وركبوا القارب مع بارك للقيام بتلك الرحلة .

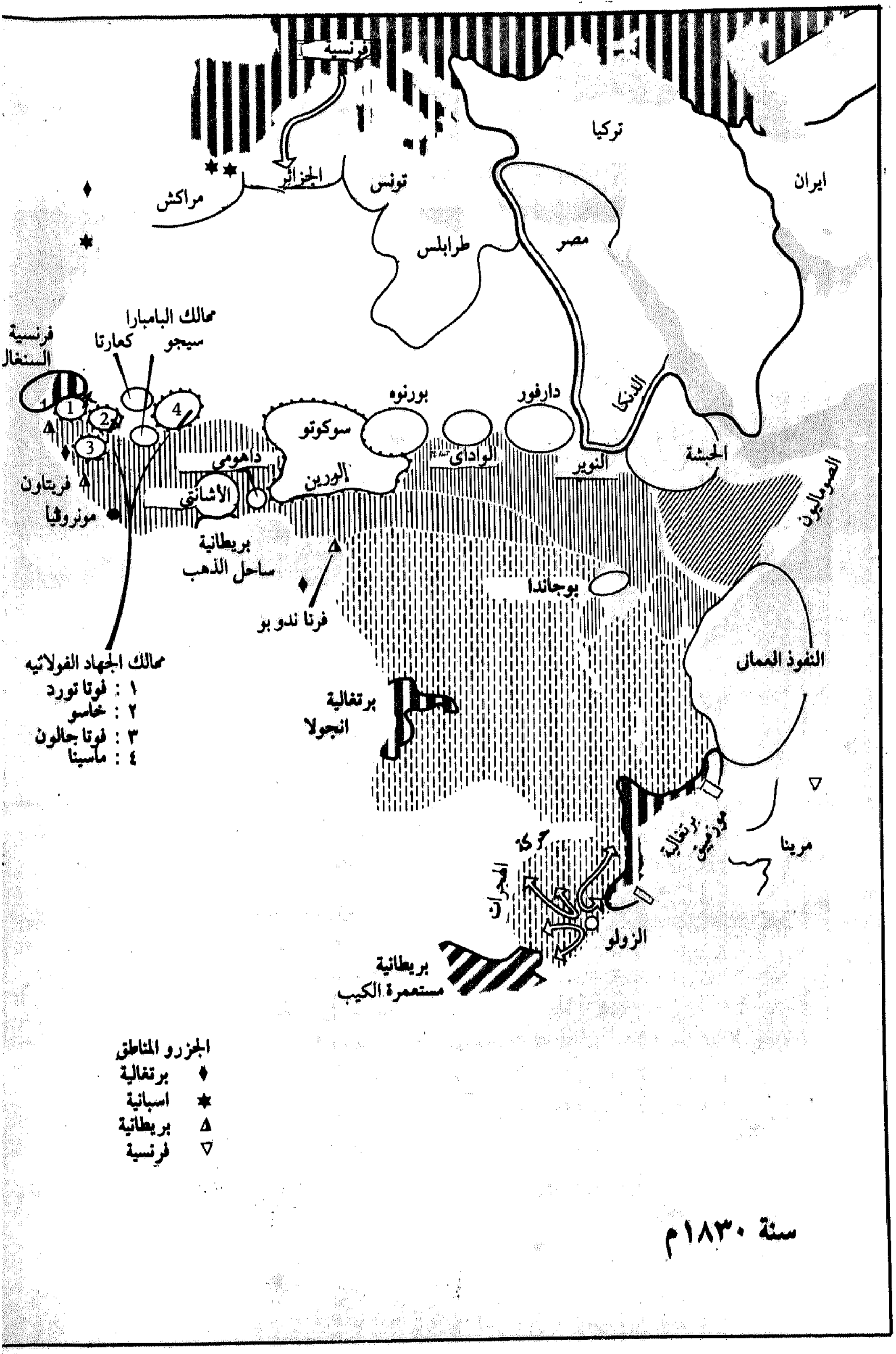
ومع ذلك فقد نجح بارك وجنوده الأربعة فى التوغل فى مجرى النيجر إلى مسافة تصل إلى نحو ألف ميل ، حتى وصلوا إلى منحدرات النهر فى منطقة بوسا Bussa . وهناك لقى الجميع حتفهم بعد الاشتباك فى معركة مع الأهالى . ولم يكن هؤلاء الأهالى من المسلمين الذين توقع منهم الخطر ، بل كانوا من الوثنيين الذين اعتقدوا أن بارك وجنوده مسلمون يريدون غزو بلادهم .

وبموت مونجو بارك على هذا النحو ، ظل مصير مجرى النيجر مجهولا : فهل ينحنى النيجر بعد منحدرات بوسا ليكون الدلتا التى كان يطلق عليها فى خلال القرن التاسع عشر « انهار الزيت » Oil Rivers ، أم يواصل النهر انحناءه نحو الجنوب ليتصل بنهر زائير ، أو يصبح هو نفسه نهر زائير ، أم ينحنى النهر شمالاً ليصب فى بحيرة تشاد ؟ ! .

ولم تجد كل هذه التخمينات والافتراضات جواباً شافياً .



مزمار أفريقى قديم مصنوع من العاج المزخرف ، وله دلالة سحرية .
من معروضات المتحف البريطانى بلندن .



فرنسيه
الجزائر
تونس
مراكش
تركيا
ايران
طرابلس
مصر
النيل
ممالك البامبارا
كمارتا
سيجو
فرنسية
السنغال
بورنوه
دارفور
سوكوتو
الواداي
النوير
الحبشة
داهومي
الأشانتي
الورين
فريتاون
مونروفيا
بريطانية
ساحل الذهب
فرنا ندو بو
بوجاندا
الصوماليون
النفوذ العماني
ممالك الجهاد الفولانيه
١ : فوتا تورد
٢ : خاسو
٣ : فوتا جالون
٤ : ماسينا
برتغالية
انجولا
موزمبيق
برتغالية
مرينا
الهجرات
الزولو
بريطانية
مستعمرة الكيب
الجزر و المناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية

سنة ١٨٣٠م

سنة ١٨٣٠

فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر ، ارتفع المعدل السكانى فى النصف الجنوبى من افريقيا السوداء بشكل أدى إلى حدوث عديد من الأزمات السياسية التى اتسمت بالعنف الشديد . وكانت بؤرة هذا العنف متمثلة فى الملك شاكا Shaka الرهيب الذى حكم قبائل الزولو Zulus فى الفترة من سنة ١٨١٨ م حتى سنة ١٨٢٨ م . وكانت فترة حكمه عبارة عن سلسلة متصلة من المعارك الضارية ، التى كان يحرز فيها النصر دائما ، بسبب التكتيك الجديد الذى اتبعه شاكا فى تدريب مقاتليه على استخدام الحراب فى الطعن المباشر ، وليس عن طريق قذفها باليد أو بقوس السهام . وبهذه الطريقة استطاعت الزولو أن تبث الرعب والفزع بين جميع القبائل من سكان المناطق المجاورة . وبذلك وتحت قيادة الملك شاكا ، تحول الزولو من مجرد عشيرة لا أهمية لها ، إلى أن أصبحوا العنصر المتسيد فى جنوب شرق افريقيا .

وقد استحال على جميع القبائل المجاورة للزولو ان تواجه الانقضاضات الضارية والغارات الوحشية التى كانت تشنها عليهم بين حين وآخر ، الأمر الذى أدى بهذه القبائل إلى أن تفر أمام الزولو وتبتعد عنهم بقدر الامكان .

وقد اتجهت بعض هذه القبائل هاربة إلى الجنوب . ولكنها اصطدمت بالحامية البريطانية التى كانت تسيطر على الحدود الشرقية لمستعمرة الكيب ومناطق نهر السمك الأعظم Great Fish River . وبطبيعة الحال فلم يكن فى استطاعة تلك القبائل أن تخترق خطوط البريطانيين ، كما كان من المستحيل أن يسمح لهم البريطانيون بالاقامة داخل حدود المستعمرة .

كذلك فقد هربت بعض القبائل الأخرى نحو الشمال فى المنطقة المعروفة الآن باسم موزمبيق ، ولكن هذه المنطقة لم ترحب بهم ، ولم تقبل لجوءهم إليها ، عدا بعض الجماعات القليلة التى نجحت فى التسلل إلى المنطقة وأقامت فيها .

أما أصلح ملاذ لجأت إليه القبائل الهاربة من وجه الزولو ، فكان يقع فى منطقة المروج العليا High Veld بجبال دراكنزبرج Drakensberg ، وهى سلسلة جبلية تمتد موازية للساحل . وكانت هذه المنطقة تعتبر فى ذلك الوقت من أهدأ المناطق الافريقية وأقلها من ناحية الكثافة السكانية ، حيث تعيش فيها مجموعات قليلة من قبائل السوتو Sotho التى تعيش مجموعاتها الرئيسية على المنحدرات والسفوح الغربية لجبال دراكنزبرج .

ومع ذلك فما أن حلت قبائل انجونى Nguni بتلك المنطقة هاربة من وجه الزولو ، حتى حلت الفوضى فى جميع انحاء المنطقة . [ويطلق اسم انجونى على القبائل التى كانت تعيش فى المناطق الواقعة بين جبال دراكنزبرج وساحل المحيط ، وهى قبائل كانت تستخدم لغة الطقطقة والقرقعة Clicks فى التخاطب ، وهى لغة اكتسبتها من الاحتكاك والاتصال بقبائل الهوتنتوت Hottentots .

أما فى مناطق غرب افريقيا ، فقد شهدت فى مطلع القرن التاسع عشر ، استمرار عمليات

« الجهاد » الاسلامى التى بدأتها قبائل الفولانى خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر . وقد تم أكبر انجاز لهذه القبائل على يد الملك عثمان دان فوديو Usman Dan Fodio الذى استطاع خلال سنوات قليلة أن يسيطر على جميع « الدويلات / المدن » السبع التى انشأتها قبائل الهوسا ، والتى كان يطلق عليها اسم الهوسالاند Hausaland أو مناطق الهوسا . ولم يسيطر عثمان دان فوديو على تلك المدن السبع وحدها ، بل ضم إلى كل مدينة كل ما كان يجاورها من المناطق المحيطة ، بحيث أصبح اسم هوسالاند ينصرف إلى الدويلات / المدن السبع وما يتاخمها من مناطق مجاورة .

وأهم المناطق التى صار ضمها إلى تلك المدن منطقة إيلورين Ilorin التى كانت تعتبر فيما سبق الاقليم الشمالى لامبراطورية الأويو التى انشأتها قبائل اليوروبا . وما أن فقدت الامبراطورية هذا الاقليم ، حتى انهارت تماماً ، ولم يعد متبقياً منها سوى إحدى الممالك التى كانت تابعة لها ، وهى مملكة داهومى Dahomey التى اعتبرت المملكة الوحيدة التى تفصل بين الهوسالاند وسواحل البحر .

وفى سنة ١٨١٧ م مات عثمان دان فوديو فى المدينة الجديدة سوكوتو Sokoto التى انشأها لتصبح عاصمة لامبراطوريته . وخلفه على العرش ابنه القدير محمد بللو Mohamed Bello الذى حافظ على الامبراطورية ، ثم خلفه على العرش أحد مريديه المخلصين وهو أحمدو لوبو Ahmado Lobo الذى سعى إلى نشر الدعوة إلى « الجهاد » فى مناطق النيجر الأوسط ، وخصوصاً فى دويلة ماسينا Masina التابعة لقبائل الفولانى . وقد نجح أحمدو لوبو فى ذلك حتى أصبح فى خلال سنوات قليلة ، يسيطر على كل المناطق الواقعة على ضفاف النيجر بين مدينتى چينى وتمبوكتو .

وفى نفس الوقت تقريبا ، ظهر اثنان آخران من بناة الممالك والامبراطوريات فى افريقيا . أولهما : الملك راداما الأول Radama 1 ملك مرينا Merina ، وهى الدولة التى انشأها ابوه فى منطقة متواضعة فى جزيرة مدغشقر ، ولكنها كانت منطقة كثيفة السكان . وفى خلال فترة حكم رادامـا الأول التى استمرت من سنة ١٨١٠ إلى سنة ١٨٢٨ م ، استطاع أن يوسع حدود المملكة حتى أصبح يسيطر على الجزيرة كلها .

أما ثانى بناة الامبراطوريات الذين ظهروا فى افريقيا خلال تلك الفترة فهو محمد على الضابط بالجيش العثمانى والذى أرسله سلطان تركيا للمحافظة على النظام فى مصر فى اعقاب انسحاب جيش الحملة الفرنسية . وتجدر الاشارة هنا إلى أن محمد على كان الوحيد بين معاصريه من قادة وحكام افريقيا ، الذى قرر تكوين جيش حديث على النظام الفرنسى ، ليحقق به التفوق الحربى المماثل للتفوق الذى كان يتمتع به الجيش الفرنسى . وحتى يحقق محمد على هذا الهدف ، فلم يقتصر على مجرد شراء الاسلحة النارية من دول أوروبا ، بل قام أيضا بتغيير التكوين الاجتماعى لقواته المسلحة .

ويمكن القول بأن محمد على قد بدأ اصلاحاته بالفعل فى سنة ١٨١١ م بعد قيامه بمذبحة المماليك ، وبذلك قضى على البقية المتبقية من النظام العسكرى الاقطاعى القديم ، الذى كان يقصر حرفة الحرب والتعامل بالسلاح على طبقة واحدة متميزة هى طبقة المماليك . وعلى هذا فقد شرع محمد على على الفور فى تجنيد ابناء الفلاحين المصريين ــ وهم طبقة كانت محتقرة من قبل ــ وكون منهم فرقا للمشاة قام

بتـدريبهم وتسليحهم طبقـا لنـظام الجيـوش الغربية .

وعندما طلب السلطان العثمـانى من محمد على أن يساعده فى القضاء على « الثورة الوهابية » التى نشبت فى شبه الجزيرة العربية ، استطاع هذا الجيش المصرى الجديد أن ينجح فيما فشل فيـه الجيش العثمانى . وفى سنة ١٨١٨ م أعاد محمد على النظام إلى شبه الجزيرة العربية بعد أن قضى على الثورة .

وفى سنة ١٨٢٠ م قام محمـد على بجيشـه الجديد بعملية عسكرية لحسابـه الخاص ، ضم على أثرهـا كل منـاطق النوبـة العليا ، وبـذلك امتدت حدود الامبراطورية المصرية جنوبا حتى وصلت إلى منـاطق لم يستـطع الـوصـول إليهـا الفراعنة الأوائل .

ولم تكن اصلاحات محمد على قاصرة عـلى الجانب العسكرى فحسب ، بـل امتدت أيضـا لتشمل الجوانب المدنية . فانشأ مئات المدارس ، وعشرات المصالح الحكومية والادارية . وأخـذ بنـظام التعداد السكـانى . وأقـام أول مـطبعـة حكومية فى مصر .

ولكن المشكلة الرئيسية التى لم يستطع محمد على أن يحلها ، هى كيفية تدبير الموارد الكـافية لتمـويل هـذه المشروعـات كلها . فـالاقتصـاد المصرى كان يقوم أساساً على الزراعة . ورغم أنه أدخل بعض الصناعات الحديثة فى البلاد ، إلا أن الهوة بين هذا التقدم الصناعى والتقدم الذى كانت تحرزه أوربا فى ذلك الوقت كانت سحيقة . وقد أدى هذا الـوضع إلى ازديـاد الواردات من الخارج دون أن يقابلها مايوازيها من صادرات ، الأمـر الذى أصبـح يهـدد بحـدوث الكثـير من المشاكل .

وربما كان محمد على يأمل فى الحصول على الذهب من أراضى السودان . ولكن ظنـه هذا كان على غير أساس . وبالرغم من حصوله على بعض المكـاسب بسبب ازديـاد عمليـات صيـد الأفيال للحصول على العاج من المناطق الجديدة التى فتحها [مناطق النيل الأبيض حيث تعيش شعوب الدنكـا والنويـر Dinka And Nuer] فمن المؤكد أن محمد على لم يحصل من أية منطقة من تلك المناطق على موارد تغطى تكاليف الحملة العسكرية التى ارسلت للسيطرة عليها .

ومن أهم الأحداث التاريخية التى وقعت فى سواحل شرق افريقيا فى تلك الفترة قيام السلطان سيد سلطان عمان باعادة فـرض السيطرة عـلى جميع المدن الساحلية وتـوحيدهـا فى مملكة قـوية واحدة تخضع للسيادة العمانية ، وذلك اعتبـاراً من سنة ١٨١٣ م فصاعداً .

أمـا فى مناطق شمـال افريقيـا ، فقد قـام الفرنسيون بغـزو الجزائـر سنة ١٨٣٠ م ، تحت الادعاء بأن الجزائريين قد أهانوا السفير الفرنسى وعاملوه معاملة غير لائقة . وقد واجه الفرنسيون بعض الصعوبات فى الاستيـلاء على الجـزائر ، ومـع ذلـك فلم تكن لـديهم خـطة واضحـة لـلاستفادة التى قـد يجنونها من وراء الاستيـلاء عليها .

وفى سنـة ١٨١١ م ، قـامت طـرابلس بـاحتـلال واحـات فـزان Fezzan كمحـاولـة للسيطرة على الطريق التجارى الذى يصل بـين طـرابلس وبورنـوه ، والذى كـان آنئذ فى ذروة نشاطه .

***

وقد شهد مطلع القرن التـاسع عشـر أولى المحاولات لوضع نهاية لتجارة العبيد التى كانت

تتم عبر الاطلنطى . وقد تولت بريطانيا القيام بهذه المهمة . فأصدرت فى سنة ١٨٠٧ م قوانين تحريم تجارة العبيد فى المناطق التى تسيطر عليها . كما حثت الدول الأوربية الأخرى لتنتهج نفس السياسة .

وبطبيعة الحال فإن اصدار قوانين تحريم تجارة العبيد شىء ، وتطبيق هذه القوانين كان شيئا آخر . وقد أخذت بريطانيا على عاتقها تدبير الموارد اللازمة لمنع تجارة العبيد بطريقة ايجابية ، فخصصت اسطولاً حربياً للمرابطة أمام سواحل غرب افريقيا ، ومزوداً بالتعليمات اللازمة للبحث عن أية سفينة يشك فى قيامها بنقل العبيد من افريقيا ، وايقاف هذه السفينة بصرف النظر عن جنسية العلم الذى ترفعه .

ولذلك فقد انخفض عدد العبيد الذين يتم نقلهم من سواحل غرب افريقيا انخفاضاً كبيراً . ولكن لوحظ فى نفس الوقت ازدياد عدد العبيد الذين كان البرتغاليون يقومون بتهريبهم من سواحل انجولا . فقد كان المستعمرون البرتغاليون فى حاجة ماسة إلى المزيد من العبيد لتعمير وزراعة المساحات الشاسعة فى البرازيل التى كانت خاضعة لحكم البرتغال فى ذلك الوقت . ومع ذلك فيمكن القول بأن عمليات تجارة العبيد قد بدأت تنخفض على مستوى العالم أجمع .

وقد أدى اضطلاع بريطانيا للقيام بتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد إلى زيادة النفوذ البريطانى فى مناطق غرب افريقيا ، بالمقارنة بغيرها من الدول الأوربية الأخرى . وقد ظهر هذا الاتجاه جلياً فى منطقة ساحل الذهب ، التى أصبحت محمية Protectorate بريطانية ، رغم وجود بعض القلاع أو التحصينات الحربية التابعة لهولاندا والدنمارك .

وفى سنة ١٨٢٤ م قامت بريطانيا بخطوة حاسمة فى هذا الاتجاه ، حين قام الجيش البريطانى بتحرير قبائل الفانتى Fante التى كانت تعيش على الساحل من سيطرة « الأشانتهين » Ashantehene [ملك قبائل الاشانتى] .

وتجدر الاشارة إلى أن هذه الخريطة والخريطة التالية أيضا ، تبينان وجود المنشآت الدنماركية على ساحل الذهب ، حيث لم تخرج الدنمارك من تلك المنطقة إلا فى سنة ١٨٥٠ م حين باعت حقوقها فى تلك المنطقة إلى بريطانيا .

كما أن هذه الخريطة والخريطتين التاليتين ، تبين استمرار وجود الهولانديين حتى سنة ١٨٧٢ م بمنطقة ساحل الذهب . ولعل السبب فى قبول بريطانيا استمرار وجود كل من الدنماركيين والهولانديين بتلك المنطقة ، يرجع إلى أسباب تجارية وليس بقصد تحقيق أهداف سياسية .

وقد أصبحت منطقة ساحل الذهب مستعمرة بريطانية بصفة رسمية اعتباراً من سنة ١٨٧٤ م . وهى المنطقة التى تدخل الآن ضمن حدود دولة غانا الحديثة .

وظهرت فى منطقة غرب افريقيا دولتان افريقيتان لهما علاقة مباشرة بعمليات منع وتحريم تجارة العبيد ، وهما : سيراليون Sierra Leone وليبيريا Liberia .

ففى سنة ١٧٩٢ م انشأ البريطانيون مدينة فريتاون Freetown [وهى النواة التى نشأت حولها دولة سيراليون] وذلك بقصد توفير ملجأ آمن للعبيد المحررين الذين وقفوا إلى جانب البريطانيين اثناء حرب الاستقلال الأمريكية . وكانت بريطانيا قد قامت من قبل بمحاولة توطين هؤلاء العبيد المحررين فى كندا ، إلا انهم لم

يحتملوا البرد القارس فى الأصقاع الكندية .

ومع أن عدد العبيد الذين اعيدوا من كندا إلى فريتاون كان لايتعدى ألف عبد ، فقد أصبح من الواضح أن مصير فريتاون قد أصبح محل شك . ولكن عندما رابط الاسطول الملكى البريطانى أمام سواحل غرب افريقيا فى سنة ١٨٠٨ م لتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد ، زال الشك عن مصير فريتاون بعد أن أودع بها جميع العبيد الذين تم انقاذهم من بين أيدى النخاسين . وعلى مدى نحو خمسين عاما ، تم انقاذ وتحرير حوالى ١٠٠,٠٠٠ عبد ، أرسل نحو ٨٠٪ منهم للاقامة فى فريتاون . ومع ذلك فقد فر نصفهم فى محاولة للرجوع إلى مواطنهم الأصلية [وقليلون منهم استطاع تحقيق ذلك] . أما النصف الآخر فقد استمر فى الحياة الجديدة فى فريتاون .

أما مونروڤيا Monrovia عاصمة ليبيريا ، فلها أيضا تاريخ مماثل . فقد انشأ الأمريكيون هذه المدينة سنة ١٨٢١ م لمساعدة العبيد المحررين فى الرجوع إلى افريقيا . وفى سنة ١٨٤٧ م أعلنت ليبيريا جمهورية مستقلة . وكان تعدادها لايزيد عن ١٦,٠٠٠ نسمة معظمهم من العبيد المحررين العائدين من امريكا عبر الاطلنطى ، بالاضافة إلى نحو ٦,٠٠٠ من العبيد الذين حررتهم سفن خفر السواحل التابعة للاسطول الأمريكى والتى ارسلت إلى سواحل غرب افريقيا للمعاونة فى ايقاف عمليات تجارة العبيد . وقد أجبر هؤلاء العبيد المحررين على الاقامة فى ليبيريا .

وبطبيعة الحال ، فإن هذه الاعداد تعتبر ضئيلة للغاية ، ولاتمثل أكثر من قطرة أضيفت إلى السكان المحليين الذين كانوا يعيشون فى منطقة ليبيريا من قبل . وعلى سبيل المثال فإن عدد الليبيريين الذين يعيشون حاليا فى جمهورية ليبيريا ، والذين ترجع أصولهم إلى اصول أفرو امريكية لا يتعدى ١ ٪ من عدد السكان الاجمالى .

وفى سنة ١٨٢٧ م انشأ الاسطول الملكى البريطانى قاعدة له فى جزيرة فرناندو بو ، وذلك لاحكام مراقبة وتنفيذ قوانين تحريم تجارة العبيد . وكانت هذه الجزيرة تابعة فى الأصل للبرتغال . وفى سنة ١٧٧٦ م تخلت عنها البرتغال لاسبانيا مقابل تخلى اسبانيا عن بعض المناطق فى امريكا الجنوبية لصالح البرتغال . ثم قامت اسبانيا بتأجير تلك الجزيرة لبريطانيا التى ظلت مسيطرة عليها حتى سنة ١٨٥٨ م . وخلال تلك الفترة قامت سفن الاسطول البريطانى بغل يد تجار العبيد ، ووضعت نهاية لعمليات تصدير العبيد من افريقيا إلى الأمريكتين .

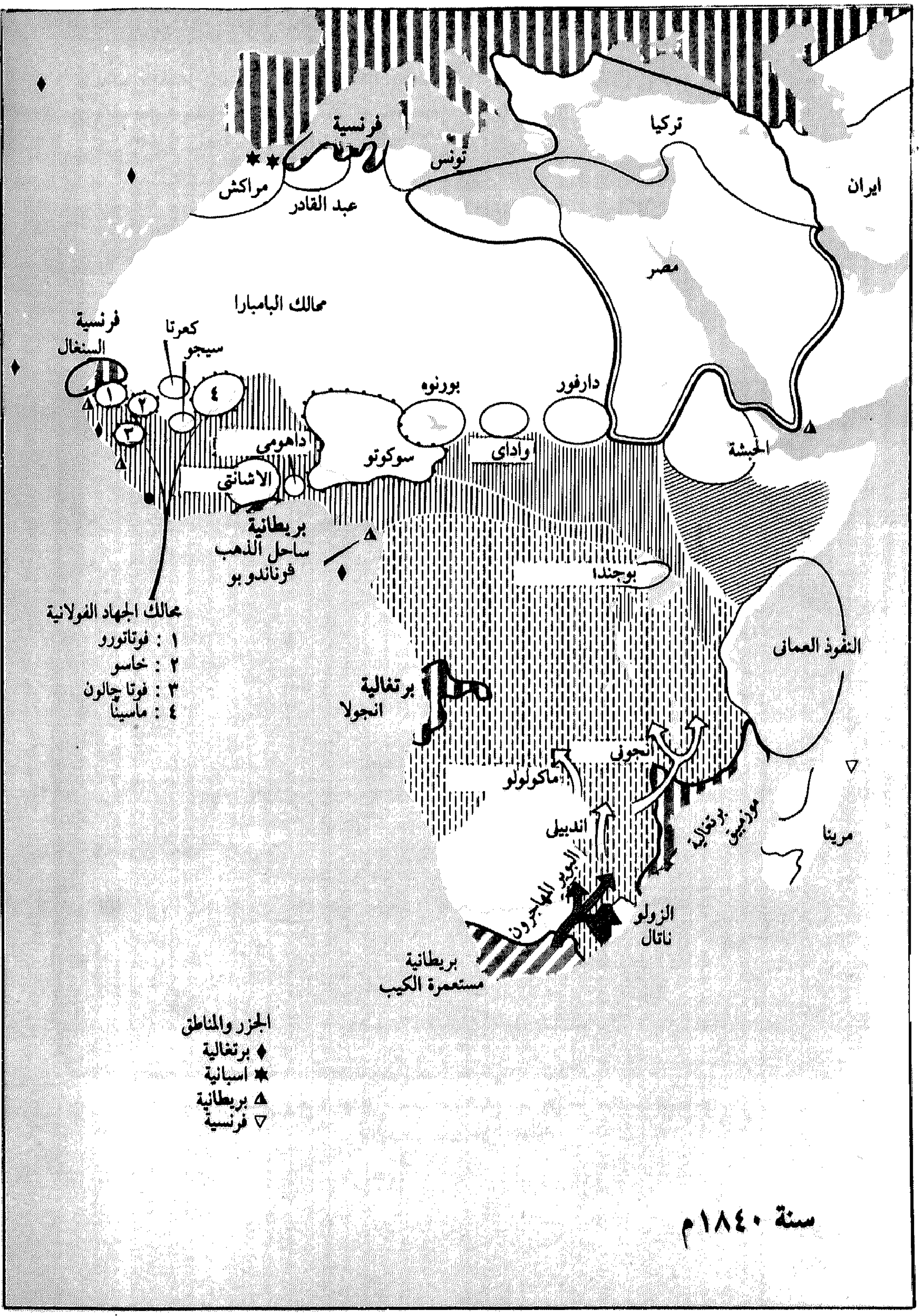
ولذلك فإن الدول والدويلات الافريقية الواقعة على سواحل غرب افريقيا والتى كانت تساهم فى عمليات اقتناص وجلب العبيد وبيعهم قد عانت معاناة شديدة بسبب نقص الموارد التى كانت تجنيها من تلك التجارة . وبالرغم من أن بريطانيا قد حاولت تعويض بعض خسائر تلك الدول والدويلات ، وذلك بتشجيع إمارات نهر النيجر على زراعة وإنتاج زيت النخيل كاجراء بديل للدخل المفتقد ، إلا أن هذه الفترة قد اتسمت بتقليص الصادرات الافريقية المنقولة عبر الاطلنطى إلى أقصى حد .

كذلك فقد عادت عمليات تحريم تجارة العبيد بالوبال على مختلف فئات الذين كانوا يعملون فى تلك التجارة البغيضة . فالمجرمون أصبحوا الآن يحالون إلى الجلادين المدنيين لينالوا عقابهم ، كما أن أسرى الحرب أصبحوا يرسلون إلى الأطباء السحرة

للتضحية بأرواحهم . ولعل هذا هو السبب فى اصطباغ نظم الحكم فى ممالك غرب افريقيا فى خلال القرن التاسع عشر بصبغة دموية مروعة . وعلى سبيل المثال فإن دولة مثل داهومى التى كانت تضطلع من قبل بنشاط كبير فى عمليات تصدير العبيد ، أصبحت آنئذ مشغولة باعدام العديد من الاشخاص غير المرغوب فيهم . وكانت الطرق التى تنفذ بها هذه الاعدامات ، هى النهاية الغريبة لتلك التجارة البغيضة التى كانت تتسم بالحزن وتدعو للأسف .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى منتصف القرن السابع عشر تمثل أحد ملوك بنين المحاربين .
من معروضات متحف الفن بكليفلاند .



فرنسية
تونس
تركيا
ايران
مراكش
عبد القادر
مصر
ممالك البامبارا
فرنسية
السنغال
كعرتا
سيجو
بورنوه
دارفور
الحبشة
داهومي
سوكوتو
واداي
الاشانتي
بريطانية
ساحل الذهب
فرناندو بو
بوجندا
ممالك الجهاد الفولانية
١ : فوتاتورو
٢ : خاسو
٣ : فوتا جالون
٤ : ماسينا
النفوذ العماني
برتغالية
انجولا
انجوني
ماكولولو
اندبيلي
موزمبيق برتغالية
مرينا
البوير المهاجرون
الزولو
ناتال
بريطانية
مستعمرة الكيب
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية

سنة ١٨٤٠م

سنة ١٨٤٠

كان البوير لايطيقون الحكام الهولانديين الذين كانت ترسلهم هولاندا لحكم منطقتهم . وبالتالى فقد أصبحوا يكرهون الحكام الانجليز الذين كانت تعينهم انجلترا لحكم المنطقة بعد أن استولت عليها . وبينما انحازت أوربا إلى الفكرة العامة التى تحرم تجارة العبيد ، ظل البوير متمسكين بفكرتهم السابقة عن الافريقيين السود ، باعتبارهم مخلوقات أدنى خلقهم الله خصيصا للكدح فى خدمة الانسان الابيض .

ولذلك فقد تعرض البوير للضغط من جانب الحكومة البريطانية التى قامت بتحرير مستعمرة الكيب ، ومن جانب بعثات التبشير المحلية ، لكى يضعوا حداً لوحشيتهم فى معاملة الافريقيين . ولكن البوير تمسكوا بانتهاك قوانين تحريم العبودية ، واضطروا إلى الهجرة الجماعية لمغادرة المستعمرة والابتعاد عن مناطق النفوذ البريطانى . وفيما بين عامى ١٨٣٥ - ١٨٤٠ م ، قام نحو عشرة آلاف منهم بعبور نهر أورانج Orange الذى كان يعتبر حداً فاصلاً للنفوذ البريطانى ، وأقاموا فى منطقة المروج العليا High Veld .

وقد حاول قادة هذه الهجرة الجماعية ، أن ينشئوا للبوير دولة مستقلة لها منفذ خاص مطل على البحر . ولذلك فقد استقر بعض البوير بمنطقة المروج العليا ، بينما قامت الأغلبية العظمى من البوير ــ بقيادة بيت رتيف Piet Retief ــ بمواصلة الهجرة الجماعية مخترقين جبال دراكنزبرج حتى وصلوا إلى اقليم ناتال Natal .

وكان هذا الاقليم تحت سيطرة قبائل الزولو فى ذلك الوقت ، ويحكمه الملك دينجانى Dingane الذى تولى عرش الزولو بعد قيامه باغتيال أخيه نصف الشقيق الملك شاكا . ولم يتردد الملك دينجانى لحظة واحدة حين أمر بذبح بيت رتيف وحاشيته عندما قاموا بزيارته فى قريته . وسرعان مانشبت الحرب بين البوير والزولو ، وكانت الغلبة فيها للبوير الذين استطاعوا أخيراً اعلان جمهوريتهم المستقلة التى كانوا يطمحون إليها دائما [سنة ١٨٣٩ م] .

وفى نفس الوقت تقريباً كانت القبائل الافريقية التى هربت من وجه الزولو وتشتتت فى مناطق جنوب شرق افريقيا [وأهمها قبائل انجونى] ، وقد واصلت هروبها حتى وصلت أخيراً إلى مقرها النهائى على جانبى بحيرة نياسا Nyasa بعد أن انتصرت فى المعارك التى خاضتها ضد مملكة الشونا Shona [روديسيا حاليا] ومملكة مارافى Maravi [مالاوى حاليا] .

كذلك فقد قامت جماعات من الماكولولو Makololo التابعة لمجموعة قبائل السوتو Sotho بالهجوم على مملكة اللوزى Lozi التى انشأتها قبائل الباروتسى Barotse فى أعالى نهر زامبيزى Zambesi . ولعل هذا هو السبب فى أن سكان هذه المنطقة الآن يتحدثون بلغة السوتو .

كذلك فقد فرت قبائل اندبيلى Ndebele أمام زحف البوير المهاجرين ، واكتسحت فى طريقها مملكة بوتوا Butua الواقعة فى غرب المناطق التى تسيطر عليها قبائل الشونا . وهناك استقرت قبائل اندبيلى وأسست مملكتها الخاصة .

وكـان النظام الاجتمـاعى فى تلك المملكة الجديدة يقوم على اساس فرض قبـائل انجـونى كطبقة حاكمة . تليها طبقة أخرى تتمثل فى قبائل السوتو التى انضمت إليهم خلال عبورهم منطقة المروج العليا . أمـا الطبقـة الثالثـة والأخيرة ، فتتكون من السكان الأصليين من قبائل الشونا .

أما بالنسبة لمناطق شمال افريقيا ، فقد عزم الفـرنسيون عـلى البقاء فى الجـزائر . وفى سنـة ١٨٤٠ م قـاموا بـالسيـطرة عـلى كـل المنطقـة السـاحلية بـالجزائـر . ومـع ذلـك فلم يتمكن الفرنسيون من فرض سيطرتهم على القبائل التى كـانت تعيش بجبال أطلس تحت قيـادة الأمـير الباسل الشجاع « عبد القادر » .

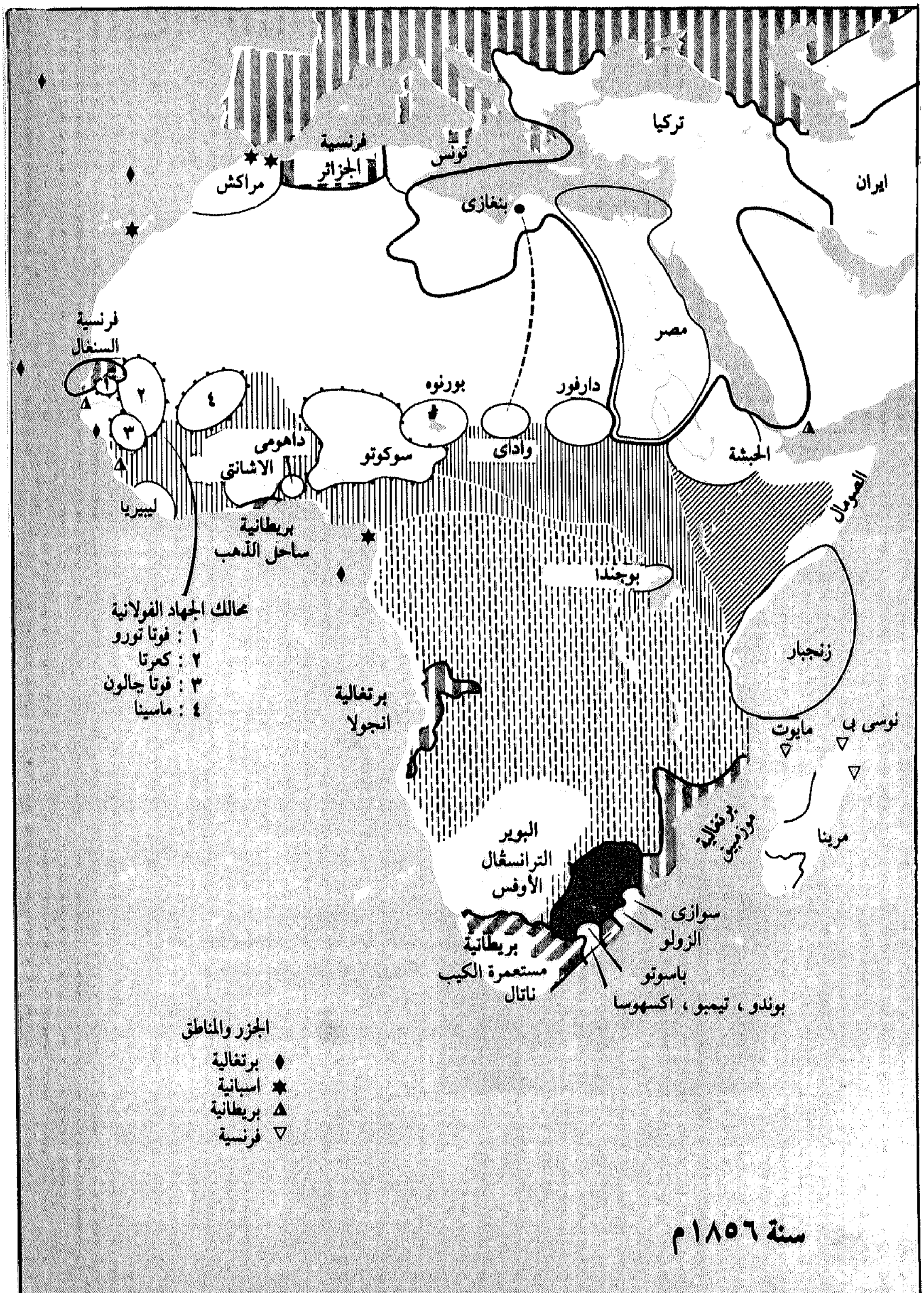
وفى سنة ١٨٣٥ م أعاد العثمانيون سيطرتهم المبـاشـرة عـلى اقليم طـرابلس ، رغم انهم لم يتمكنـوا من احتلال واحـات فزان إلا فى سنـة ١٨٤٢ م .

أما بالنسبة لمناطق الساحل الشرقى لافريقيا التى كانت آنئذ خاضعة للنفوذ العمانى ، فقد رأى السلطان سيـد سلطان عمان ، أن هـذا القسم الافريقى من امبراطوريته أكثر ثراءً وخيـراً من القسم العـربى ، لذلـك فقد قـام بنقل عـرشه وبلاطه إلى جزيرة زنجبار فى سنة ١٨٤٠م .

وفى مصـر ، اضـطر محمـد عـلى لايقـاف محاولاته فى السيطرة على جميع أرجاء الامبراطورية العثمانية ــ وقد كان ذلك فى استطاعته ــ وذلك بعد أن أصبح من الواضح أن القوى الأوروبية ــ خصوصاً بريطانيا ــ لن تسمح لـه أبداً بـالفوز بتلك الغنيمـة . وكان ذلـك خـلال السنـوات ١٨٣٠ -- ١٨٤٠م .



رأس عصا صولجان أحد ملوك بنين القدماء .
من معروضات متحف المتربوليتان بنيويورك .



تركيا
ايران
فرنسية
الجزائر
تونس
مراكش
بنغازى
مصر
فرنسية
السنغال
بورنوه
دارفور
داهومى
الاشانتى
سوكوتو
وادای
الحبشة
الصومال
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
بوجندا
ممالك الجهاد الفولانية
١ : فوتا تورو
٢ : كعرتا
٣ : فوتا جالون
٤ : ماسينا
زنجبار
برتغالية
انجولا
مايوت
نوسى بى
برتغالية
موزمبيق
مرينا
البوير
الترانسفال
الأوفس
سوازى
الزولو
بريطانية
مستعمرة الكيب
ناتال
باسوتو
بوندو ، تيمبو ، اكسهوسا
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية
سنة ١٨٥٦م

سنة ١٨٥٦

وقد أدى استمرار المنازعات بين البوير الذين استوطنوا اقليم ناتال والأهالى المحليين من قبائل البانتو ، إلى تدخل بريطانيا لحسم هذا النزاع . وبالتالى أصبح أقليم ناتال مستعمرة بريطانية ، وأصبح من المحتم على البوير أن يرحلوا من هذا الأقليم . فقاموا بهجرة جماعية اخرى حتى اخترقوا جبال دراكنز برج وعادوا إلى منطقة المروج العليا .

وفى هذه المرة اعترف البريطانيون للبوير بحقهم فى البقاء . وفى سنة ١٨٥٢م اعترفوا رسمياً بدولة البوير المستقلة فى إقليم الترانسفال Transvaal . وفى سنة ١٨٥٤م اعترفوا أيضاً بدولة أورانج الحرة Orange Free State .

وفى شمال افريقيا ، تمكن الفرنسيون بقيادة الجنرال بوجو Bugeaud من احتلال الجزائر والانتصار على مقاومة قبائل جبال الأطلس بقيادة الأمير عبد القادر . وذلك بعد العديد من المعارك الحربية التى استمرت من سنة ١٨٤١م حتى استسلام عبد القادر سنة ١٨٤٧م . وعلى الفور تدفقت جموع غفيرة من الأوربيين ليستوطنوا الجزائر . أقليتهم من الفرنسيين وأغلبيتهم من الاسبان والايطاليين والمالطيين . وفى سنة ١٨٥٦م وصل عدد هؤلاء المستوطنين الأوربيين إلى نحو ١٧٠٫٠٠٠ أوربى ، وهو عدد يكاد يكون مماثلاً لعدد المستوطنين الأوربيين البيض فى مناطق جنوب افريقيا [١٤٠٫٠٠٠ فى منطقة الكيب و٣٠٫٠٠٠ فى جمهوريات البوير و٧٫٥٠٠ فى إقليم ناتال] . هذا بالاضافة إلى نحو ٣٫٠٠٠ من البرتغاليين الذين يعيشون فى انجولا وموزمبيق :

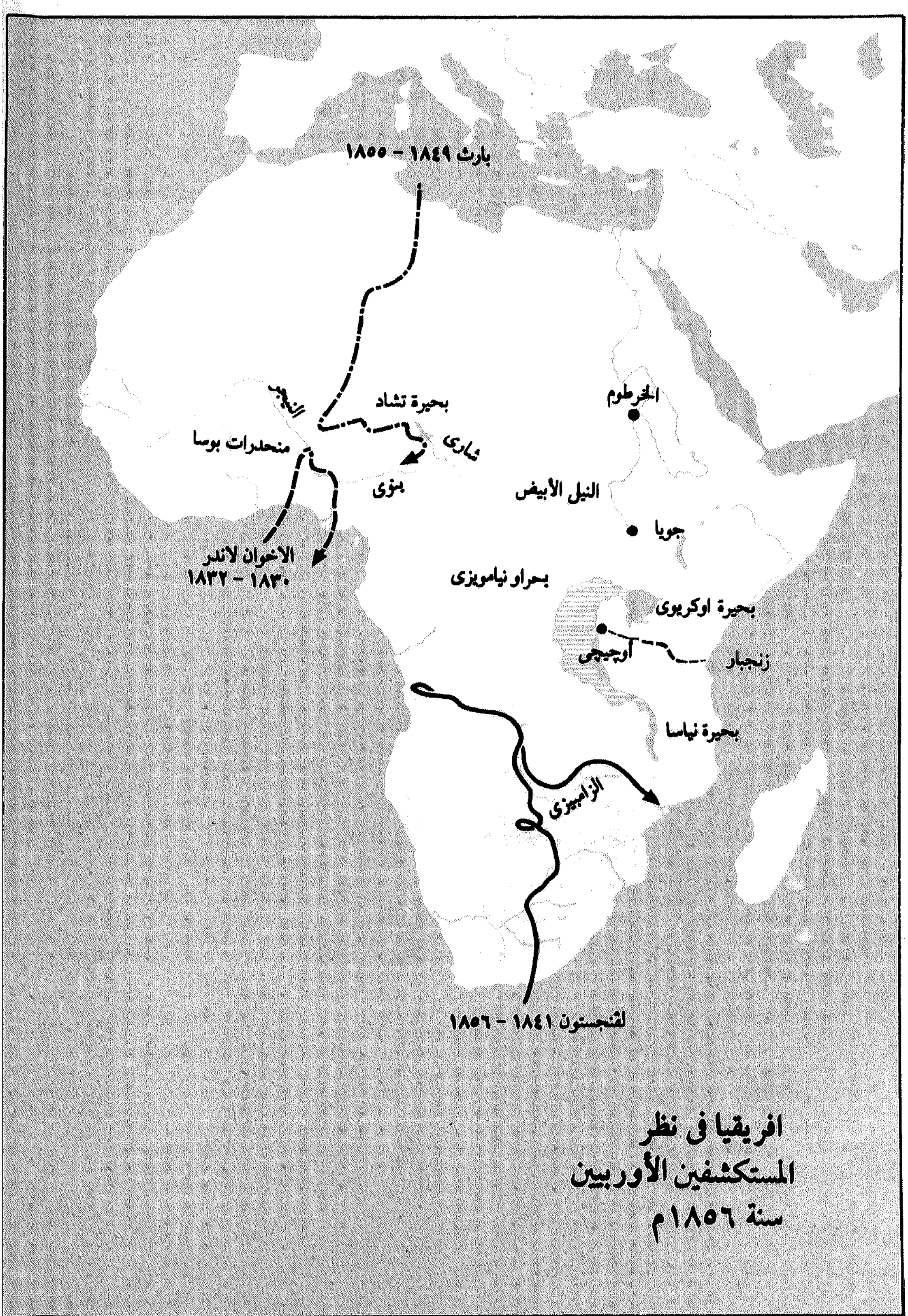
وفى منطقة جنوب غرب الصحراء الكبرى . واصل الفرنسيون تقدمهم فى مناطق السنغال . وقد أدى ذلك إلى اصطدامهم بقوات « الحاج عمر » آخر قادة دول الجهاد التى انشأتها قبائل الفولانى ، وهازم دولة كعرتا Kaarta . ولكن هذا الاصطدام قد أدى فى النهاية إلى نتيجة متوازنة ، فلم يتقدم الحاج عمر للاستيلاء على القلعة التى انشأها الفرنسيون فى منطقة مدينه Medina ، كما لم يواصل الفرنسيون تقدمهم إلى ما وراء هذه النقطة .

أما فى مناطق سواحل شرق افريقيا ، فقد انفصلت زنجبار عن دولة عمان بموت السلطان سيد سنة ١٨٥٦م . كما أقام الفرنسيون حاميات عسكرية فى جزيرة مايوت Mayotte [من مجموعة جزر القمر] . وفى منطقة نوسى ب Nosy Be بجزيرة مدغشقر [سنة ١٨٤١م] .

واخيراً فقد ظهرت الطريقة السنوسية وأصبحت القوة المسيطرة على قبائل البدو الذين يعيشون بأواسط الصحراء الكبرى . وقد سيطر السنوسيون[1] على الطريق التجارى الجديد الذى يخترق الصحراء ويربط بين بنغازى فى إقليم برقه ومملكة وادای بالسودان .

---

(١) ـ السنوسية : احدى الطرق الصوفية . اسسها محمد بن على السنوسى الادريسى (١٧٨٧ ـ ١٨٥٩م) الذى ولد بالجزائر وتوفى بواحة جغبوب التى اختارها مقراً لهذه الطريقة . وقد انتشرت السنوسية فى واحات فزان والكفره ، ولها أوراد واسرار خاصة . ونادت بالاجتهاد فى الفقه والتشريع الاسلامى . وكان لها دور لاينكر فى مقاومة الاحتلال الايطالى والفرنسى [المترجم]



افريقيا فى نظر
المستكشفين الأوربيين
سنة ١٨٥٦م

أفريقيا فى نظر المستكشفين الجغرافيين الأوربيين سنة ١٨٥٦

فيما بين عامى ١٨٣٠ - ١٨٣٢م قام الأخوان لاندر Lander Brothers بكشف الغموض الذى كان يكتنف موقع مصب نهر النيجر . فقد قام الأخوان بالسفر براً من خليج غينيا حتى منطقة منحدرات بوسا [حيث قتل مونجو بارك] . ومن هناك أبحر الأخوان عبر أدنى النهر حتى وصلا إلى البحر .

ومع ذلك فقد استمر الغموض يحيط بالرافد الرئيسى لنهر النيجر وهو نهر بنوى Benue حيث كان يظن فيما سبق انه كان ينبع من بحيرة تشاد ، وهو ظن خاطىء وضحت عدم صحته بعد قيام هنريش بارث Heinrich Barth باستكشاف المنطقة وتقريره بأن نظام بحيرة تشاد ونهر شارى Chari الذى يخرج منها نظام مغلق ومستقل ومنفصل تماماً عن نظام نهر النيجر .

وفى الجانب الآخر من القارة ، أخذ محمد على على عاتقه مهمة محاولة اكتشاف منابع النيل ، فارسل عدة بعثات استكشافية بدأت رحلاتها من مدينة الخرطوم ، وواصلت الصعود فى مجرى النيل الأبيض ، واخترقت منطقة السدود حتى وصلت إلى شلال جوبا Juba . وذلك فى خلال الفترة ما بين عامى ١٨٣٩ - ١٨٤٢م . ومعنى ذلك أن مجرى النيل أصبح معروفاً كله عدا بضعة مئات قليلة من الأميال تفصل بين جوبا والمنابع التقليدية لنهر النيل فى منطقة البحيرات بشرق افريقيا .

وكانت هناك بعض المعلومات القليلة عن منطقة البحيرات بشرق افريقيا ، نقلها التجار العرب الذين كانوا يقومون برحلاتهم من زنجبار حتى وصلوا إلى منطقة أوچيچى Ujiji بشواطىء بحيرة تنجانيقا . فقد أورد هؤلاء التجار العرب تقاريراً تفيد بوجود بحيرتين كبيرتين أخريين : احداهما بحيرة أوكريوى Ukerewe التى تقع شمالاً . وثانيتهما بحيرة نياسا التى تقع جنوباً .

وكان هناك اعتقاد شاع لدى الأوربيين الذين كانوا يستوطنون المناطق القريبة من منطقة البحيرات الافريقية ، أن هذه البحيرات الثلاث جميعها عبارة عن جزء من بحر داخلى كبير عرف باسم بحر أونياموبزى Unyamwezi . وأياً كانت مدى صحة هذا الاعتقاد ، فقد ثبت أن بحيرة نياسا هى نفسها البحيرة التى أطلق عليها البرتغاليون الذين كانوا يستوطنون مناطق نهر زامبيزى اسماً آخر هو بحيرة ماراڤى Lake Maravi .

أما نهر الزامبيزى نفسه فقد تم استكشافه تماماً وأعدت له خرائطه الدقيقة بمعرفة داڤيد لڤنجستون David Livingstone ، المبشر الذى استهوته عملية الاستكشاف . ولم تكن الرحلة التى قام بها فى خلال عامى ١٨٥٥ - ١٨٥٦م هى رحلته الأولى التى توغل فيها إلى داخل المناطق الافريقية . ولكنها الرحلة التى كانت أكثر ذيوعاً وانتشرت أخبارها فى بريطانيا ، الأمر الذى حث الحكومة البريطانية على أن تمد يد المساعدة إلى لڤنجستون وتزويده بالأموال اللازمة لاستمرار عملياته الاستكشافية .

وفى ذلك الوقت كانت الحكومة البريطانية

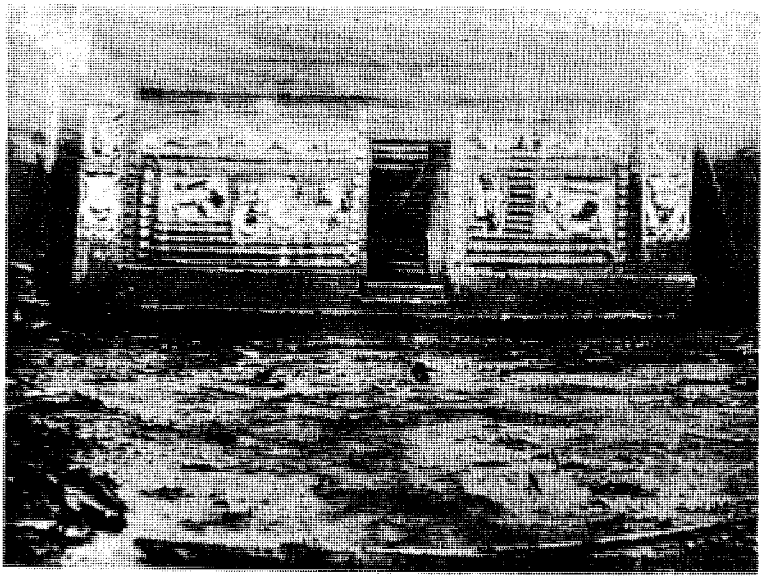
ضالعة على نحو بسيط فى العمليات الاستكشافية فى افريقيا ، حيث تعهدت باعانة بعثة بيرتون Burton وسبيك Speke لاستكشاف مناطق البحيرات بشرق افريقيا .

وكان بيرتون رحالة أكثر منه مستكشفاً . وقد سبق له القيام بالعديد من الرحلات التى استغرقت فترة طويلة من حياته ، وقام فيها بكتابة التقارير عن البلاد التى زارها مثل مدينة مكة ومملكة داهومى ومدينة بحيرة الملح Salt Lake City . وكانت خطة بيرتون ان يخترق نفس الطريق الذى كان يخترقه التجار العرب من زنجبار إلى أوجيجى على بحيرة تنجانيقا .

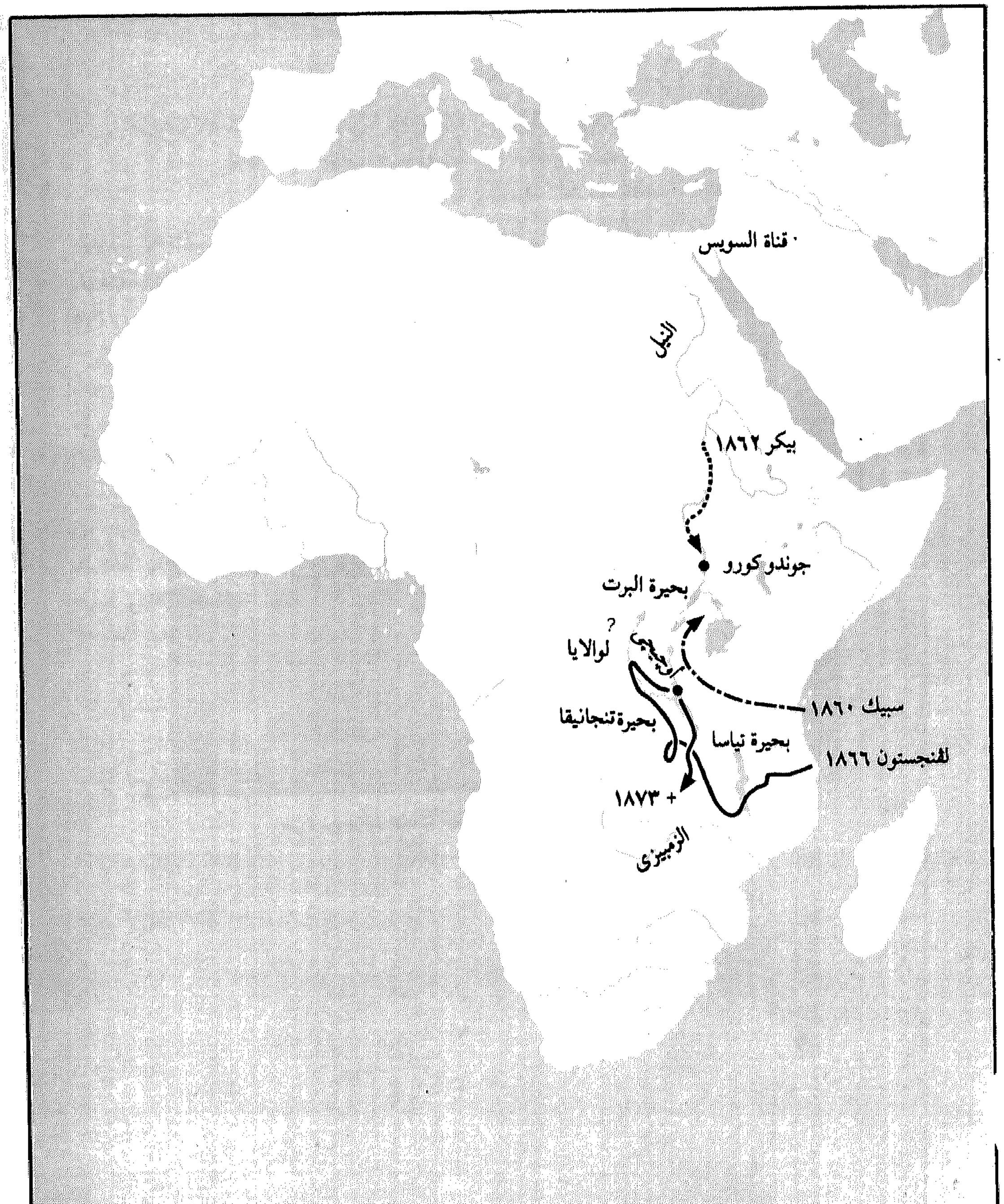
أما سبيك ، فقد كانت تستحوز عليه فكرة واحدة هى الوصول إلى منابع النيل ، ولم يكن لديه عدا ذلك أى مطمع آخر .

وكانت العلاقة على ما يرام بين بيرتون وسبيك حتى وصلا معاً إلى أوجيجى . وهناك صدم سبيك عندما وجد أن بحيرة تنجانيقا تقع فى منطقة ذات مستوى أكثر انخفاضاً من مستوى مناطق حوض النيل . ولذلك فلا يمكن بالتالى أن تكون هذه البحيرة منبعاً للنيل .

وفى طريق العودة ، أصر سبيك على أن يقوم وحده بالرحلة إلى الشمال بقصد الوصول إلى بحيرة أوكريوى Ukerewe .. وقد وصل إليها بالفعل وأطلق عليها اسماً جديداً هو بحيرة ڤيكتوريا . وعاد فوراً لكى يلحق ببيرتون حيث أخبره باكتشافه الجديد لمنابع النيل . غير أن بيرتون عارضه فى ذلك على أساس ان الأيام الثلاثة التى قضاها سبيك على شاطىء تلك البحيرة المترامية الأطراف ، لا تكفى كدليل على أنها منبع النيل ، حيث يقتضى الأمر الدوران حول محيطها الواسع للتأكد من أن النيل يخرج منها فعلاً . ومادام سبيك لم يتمكن من ذلك فلا يمكن الجزم بوجود اية علاقة بين هذه البحيرة ونهر النيل . وبالتالى فقد حدث خلاف شديد بين بيرتون وسبيك لدرجة انهما عندما عادا إلى زنجبار مرة ثانية ، كانا لا يتبادلان فيما بينهما كلمة واحدة .



صورة فوتوجرافية التقطت سنة ١٨٩٧م لبيت أحد رؤساء القبائل في بنين .



الاستكشافات الأوربية
لمنطقة البحيرات بشرق افريقيا
١٨٦٠ - ١٨٧٣م

الاستكشافات الأوربية لمنطقة البحيرات بشرق افريقيا [من سنة ١٨٦٠ حتى سنة ١٨٧٣ م]

فى سنة ١٨٦٠ م عاد سبيك مرة أخرى إلى افريقيا . وفى سنة ١٨٦٢ م بعد إقامة طويلة فى بلاط الملك موتسا Mutesa ملك بوجندا Buganda واصل سبيك رحلته حتى وصل إلى شلالات ريبون Rippon Falls وهى سلسلة من مساقط المياه التى تخرج مباشرة من بحيرة ڤيكتوريا ، ويولد منها أشهر أنهار الدنيا . . نهر النيل . وعلى هذا واصل سبيك رحلته واتجه شمالاً وهو فى قمة السعادة باكتشافه الجديد .

وفى منطقة جوندوكورو Gondokoro تقابل سبيك مع الزوجين مستر ومسز بيكر Baker اللذين رحلا من الخرطوم واتجها جنوباً ليلتقيا به . واخبرهما سبيك باكتشافه الجديد لمنبع النيل ، واخبرهما كذلك بالاشاعات التى سمعها عن بحيرة أخرى تقع إلى الغرب من بحيرة ڤيكتوريا .

وفى سنة ١٨٦٤ م وصل الزوجان بيكر إلى هذه البحيرة وأطلقا عليها اسماً جديداً هو بحيرة ألبرت Lake Albert ولكنهما وجدا أن نيل ڤيكتوريا الذى اكتشفه سبيك يصب فى الطرف الشمالى الشرقى من هذه البحيرة ، أما النيل الحقيقى فيخرج من الطرف الشمالى الغربى للبحيرة . ومعنى هذا أنه إذا كانت الأطراف الجنوبية لبحيرة ألبرت تمتد إلى الجنوب أكثر من امتداد الشواطىء الجنوبية لبحيرة ڤيكتوريا ، فلا يمكن بالتالى اعتبار هذه البحيرة الأخيرة منبعاً لنهر النيل كما قال سبيك .

وبينما استمر الجدل بين سبيك وبيرتون حول هذا الموضوع الذى استهوى الكثيرين فى بريطانيا ، لم يبذل لڤنجستون الأب الروحى للاستكشافات الافريقية كثيراً من الجهد فى جمع التكاليف اللازمة لقيامه برحلة استكشافية يضع فيها حداً لهذا الجدل . وفى سنة ١٨٦٦ م بدأ لڤنجستون رحلته الجديدة من منطقة بحيرة نياسا [التى استكشفها خلال رحلاته بين عامى ١٨٥٨ - ١٨٦٣ م] واتجه إلى بحيرة تنجانيقا . وفجأة اختفى لڤنجستون وانقطعت أخباره عن العالم لمدة خمس سنوات متوالية .

وقامت حملة صحفية واسعة النطاق للدعوة إلى البحث عن لڤنجستون ومعرفة مصيره . وفى سنة ١٨٧١ م وصل هنرى مورتون ستانلى Stanley إلى أوجيجى ، حيث عثر على لڤنجستون منهوك القوى . وكان لڤنجستون ــ مثل بيرتون ــ يؤيد الفكرة القائلة بأن بحيرة تنجانيقا هى منبع النيل ، وقد عثر على ما يعضد هذه الفكرة متمثلاً فى نهر لوالابا Lualaba الذى يخرج من بحيرة تنجانيقا ويتجه شمالاً بغرب . وعلى هذا فيمكن اعتباره نهر النيل فى طريقه إلى بحيرة ألبرت .

وقام ستانلى ولڤنجستون بالتأكد من أن نهر لوالابا هو النهر الوحيد الذى يخرج من بحيرة تنجانيقا . وعلى هذا فقد عاد ستانلى وحده إلى زنجبار تملأه السعادة بكشفه الجديد .

أما لڤنجستون فلم يغادر افريقيا . وفى سنة ١٨٧٢ م شرع فى رحلة استكشافية جديدة للوصول إلى المناطق العليا بحوض نهر لوالابا .

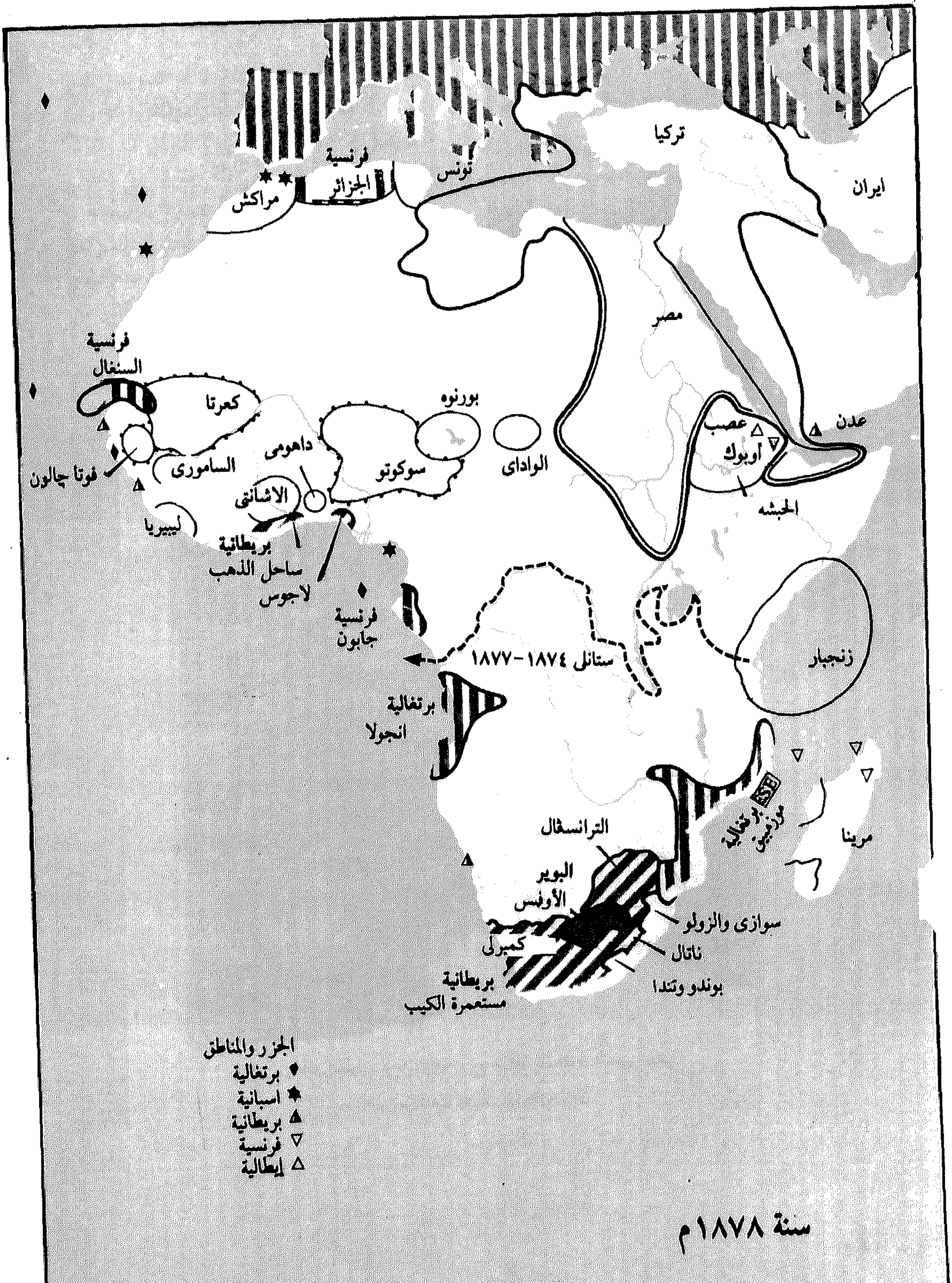
وفى سنة ١٨٧٣ م ، وفى منطقة تقع الآن على الحدود بين دولتى زامبيا وزائير مات لفنجستون

وبينما انصرف اهتمام البريطانيين إلى اكتشاف منابع النيل ، كان الفرنسيون يشرفون على حفر أهم ممر مائى فى افريقيا . ففى سنة ١٨٦٩ م انتهى فرديناند دى لسبس من حفر قناة السويس ، بعد التغلب على مجموعة من المصاعب المالية والسياسية والهندسية استمرت لنحو عشر سنوات متوالية .

وكان مهرجان افتتاح قناة السويس أهم الأحداث العالمية فى تلك الفترة، وتلقى الخديوى اسماعيل [حفيد محمد على] التهانى من كافة انحاء العالم . وبدأت مرحلة جديدة من دخول مصر والمصريين إلى الحياة العصرية الحديثة . وفرح الفرنسيون عندما اعتبروا أنفسهم الشركاء الرئيسيين للخديو اسماعيل ، وأن علاقتهم الجديدة بخديو مصر ستعود عليهم بالكثير من الربح وعلو المكانة .



صيادو النمور . لوحة افريقية يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر .
من معروضات المتحف البريطانى بلندن .



فرنسية
الجزائر
تونس
مراكش
تركيا
ايران
مصر
فرنسية
السنغال
كعرتا
فوتا چالون
الساموري
بورنوه
الواداي
داهومي
سوكوتو
الاشانتي
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
لاجوس
فرنسية
جابون
عدن
عصب
أوبوك
الحبشه
زنجبار
ستانلي ١٨٧٤-١٨٧٧
برتغالية
انجولا
برتغالية
موزمبيق
مرينا
الترانسفال
البوير
الأورنس
كمبرلي
سوازي والزولو
ناتال
بوندو وتندا
بريطانية
مستعمرة الكيب
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية
إيطالية

سنة ١٨٧٨م

سنة ١٨٧٨

وبعد نحو عام من وفاة لڤنجستون ، عاد هنرى مورتون ستانلى مرة أخرى إلى افريقيا . وكان مزوداً هذه المرة بالامكانيات المالية والقدرة على تنظيم العمل لحل المشكلات والتساؤلات السابقة . وقام ستانلى أولاً بالدوران حول بحيرة ڤيكتوريا [سنة ١٨٧٥م] . ثم حول بحيرة تنجانيقا [سنة ١٨٧٦م] . ثم تغلب على كل الصعوبات التى اعترضته حتى وصل إلى نهر لوالابا حيث أنزل فيه قاربه المصنوع من الصلب [والمسمى ليدى آليس Lady Alice] . وظل مبحراً فى مجراه حتى وصل إلى البحر فى أغسطس ١٨٧٧م . وأعلن ستانلى النتائج والمعلومات التى توصل إليها بتلك الرحلة : فنهر لوالابا هو نفسه نهر زائير Zaire ، وبحيرة ڤيكتوريا هى منبع النيل .

ومن أهم التطورات السياسية التى حدثت فى تلك الفترة قيام الخديوى أسماعيل الذى حكم مصر من سنة ١٨٦٣ حتى سنة ١٨٧٩م بارسال البعثات الاستكشافية فى اتجاهين مختلفين : الاتجاه الأول نحو المناطق الجنوبية للبحر الأحمر . [وهو اتجاه كان مرتبطاً بفتح قناة السويس] . أما الاتجاه الثانى فكان نحو أعالى النيل .

وفى سنة ١٨٦٥م حصل الخديوى اسماعيل على موافقة السلطان العثمانى بوضع كل من سواكن Suakin ومصوع Massawa تحت اشراف الحكم المصرى . وفى الفترة ما بين عامى ١٨٧١ - ١٨٧٥م أقامت مصر حاميات عسكرية فى معظم الموانى الواقعة على الساحل الافريقى للبحر الأحمر وعلى خليج عدن .

وفى الفترة ما بين عامى ١٨٧١ - ١٨٧٣م استأجر الخديوى اسماعيل المستكشف صمويل بيكر Samuel Baker للقيام باستكشاف منطقة أعالى النيل الأبيض ، وهى المنطقة التى ضمها إلى امبراطوريته تحت اسم المديرية الاستوائية .

وفيما بين عامى ١٨٧٤ - ١٨٧٥م ضم أيضاً أقليم دارفور Darfur بناء على صفقة اتفق عليها مع الزبير ، وهو تاجر مصرى ، كان قد استولى على هذا الاقليم بجيشه الخاص الذى كان يعمل فى منطقة بحر الغزال .

وفى سنة ١٨٧٥م حاول الخديوى اسماعيل غزو الحبشة . ولكن محاولته هذه باءت بالفشل الذريع . ذلك لأن الخزانة المصرية فى تلك الفترة أصبحت فى حالة ميئوس منها . وكان الخديوى فى حاجة ماسة إلى المال . فماذا فعل ليحصل عليه ؟!

باع الخديوى للبريطانيين حصة مصر التى تبلغ نحو ٤٤ ٪ من اسهم قناة السويس ، فى مقابل أربعة ملايين من الجنيهات ، وهو مبلغ ضئيل سرعان ما تبخر قبل نهاية العام .

وفى العام التالى تلاحقت الهزائم فى منطقة الحبشة ، وأعلن افلاس الخزانة العامة للدولة ، اعقبه انذار من الدائنين الأوربيين ، كانت نتيجته المباشرة وضع الميزانية المصرية تحت اشراف وسيطرة الدائنين الأجانب . وبذلك انزلقت مصر إلى الوقوع فى براثن الاستعمار ، واصبحت تمثل شكلاً من أشكال المحميات الدولية International Protectorate دون أن تطلق عليها طلقة واحدة .

ومن الناحية التاريخية فقد وجه اللوم إلى الخديوى اسماعيل باعتباره السبب الذى أدى بمصر إلى هذا الوضع . كما وجه إليه اللوم لأسباب كثيرة أخرى وأحياناً بلا سبب . لقد كانت طريقته لحل المشاكل هى اغراقها بالأموال ، وربما كان مثل هذا السلوك مناسباً للحياة الخاصة لحاكم ينتمى إلى اسرة مالكة ويتصور أن عروقه تجرى فيها دماء ملكية ، ولكن من المؤكد أن مثل هذه الطريقة لا تصلح مطلقاً لادارة شئون الدولة .

ومع ذلك فلم يوجه اللوم إلى هذا الخديوى بسبب أفكاره وطموحاته ، فقد كان بعضها معقولاً ومقبولاً على نحو ما . ولكن يؤخذ عليه قيامه بالانفاق على تحقيق كل هذه الافكار والطموحات فى وقت واحد وبطريقة تتسم بالاسراف الشديد . فقد واصل العمل على مد حدود امبراطوريته دون أن يتحقق أى عائد أو ربح من وراء هذا التوسع . بل على العكس فقد عاد هذا التوسع عليه بخسائر جسيمة . وفى نفس الوقت كان يبعثر الأموال بدفع مرتبات سخية جداً للأوربيين الذين استخدمهم لتحقيق اطماعه [كان صمويل بيكر على سبيل المثال يتقاضى ١٠٫٠٠٠ جنيه كمرتب سنوى] .

وقد عاد هذا الاسراف بالوبال على الخزانة العامة للدولة التى لم تتحمل كل هذا الارهاق . واضطر الخديوى اسماعيل فى النهاية أن يبيع أحسن مشروعاته [قناة السويس] فى نفس الوقت الذى بدأت فيه شركة قناة السويس تحقق أرباحاً لا بأس بها .

وفى الوقت الذى خيبت فيه مصر آمال اصدقائها ومحبيها ، خرجت الحبشة ، دون أى توقع أو احتمال من حالة التشوش والتفكك التى كانت تعانيها . فقد تم استعادة السلطة الملكية على رؤساء القبائل وحكام الاقاليم . وقد تحقق ذلك على يد الملك تيودور الثانى ، فى خمسينات القرن التاسع عشر ، الذى سعى إلى تحقيق هذا الهدف باصرار يشوبه نوع من جنون العظمة . وقد نجح تيودور الثانى فى ذلك إلى حد كبير ، ولكنه اصطدم فى النهاية بحاجته الملحة إلى الموارد لتمويل عملياته الحربية .

وفى سنة ١٨٦٤م ، وبسبب عدم تلقيه الرد على أحد خطاباته التى أرسلها إلى الملكة ڤيكتوريا ، قام تيودور الثانى باستدعاء القنصل البريطانى إلى قصره ، ووضع القيود الحديدية فى يديه ، وأمر بسجنه فى قلعة مجدلا Magdala .

وحتى تتمكن بريطانيا من تخليص قنصلها أرسلت جزءاً من جيوشها التى كانت تحتل الهند ، يتكون من ٣٢٫٠٠٠ جندى للقيام بهذه العملية . وبدأت هذه القوة مسيرتها من ميناء مصوع متجهة إلى مجدلا . وذلك عبر سكة حديدية كانت تمدها القوة بنفسها أولاً بأول ، حتى وصلت إلى مجدلا واقتحمت قلعتها وحررت القنصل البريطانى الذى لم يكن قد ألحق به أى أذى . وبعد ذلك عادت هذه القوة العسكرية إلى ميناء مصوع ومنه أبحرت عائدة إلى الهند .

ومن أهم نتائج هذه الحملة ، أن اصبحت الحبشة تعانى الفوضى مرة أخرى ، خصوصاً بعد أن انتحر تيودور الثانى باطلاقه النار على رأسه عندما بلغه خبر سقوط مجدلا .

ولكن هذا الوضع تغير بسرعة عندما تولى الملك چون الرابع عرش الحبشة وانتهج نفس سياسة سلفه . واستعاد السلطة الملكية على معظم أنحاء البلاد ، كما استطاعت قواته أن تصد الهجمات التى قام بها المصريون خلال عامى ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥م . كما استفاد من الوضع الناتج من تراجع القوات المصرية عن حدود بلاده .

أما بالنسبة لبقية الممالك الافريقية الأخرى فى أنحاء القارة ، فليس هناك الكثير من الأحداث التى تجدر الاشارة إليها ، فيما عدا قيام الحاج عمر حاكم كعرتا بالاستيلاء على ماسينا Masina فى سنة ١٨٦٢م . وفى سنة ١٨٦٦م قام أحد قادة الجنود المرتزقة واسمه ساموری توری Samori Toure بتأسيس إمارة فى بيساندوجو Bisandugu التى تقع حالياً بدولة غينيا .

كذلك قام البريطانيون فى سنة ١٨٧٤م بالزحف إلى كوماسى Kumasi عاصمة مملكة الأشانتى ، ولكنهم سرعان ما تراجعوا عن ذلك .

ooo

ونود أن نشير إلى التغيير الهام الذى حدث فى طريقة رسم وتصميم هذه الخريطة . فقد اختفت تماماً المساحات المظللة المختلفة التى كانت تشير إلى أماكن وجود وتوزيع وهجرات القبائل الافريقية المختلفة فى مناطق جنوب الصحراء الكبرى ، كما أغفلت اسماء معظم تلك القبائل . ولذلك فمن الآن فصاعداً إذا اراد القارىء معرفة مكان وجود إحدى القبائل [كقبيلة الماساى Masai مثلا] فعليه الرجوع إلى الخرائط السابقة ، أو يلجأ إلى فهرس الأماكن والاعلام والأحداث الذى أعده « المترجم » فى آخر الكتاب .

وقد رأينا تعديل رسم الخرائط القادمة على هذا النحو الجديد حتى يمكن أن نعرض بوضوح أحداث المائة سنة التالية على تاريخ هذه الخريطة ، وهى أحداث ازدادت بسرعة وكانت بالغة التعقيد ، وإن كانت ترمز فى الوقت نفسه إلى ما كان يدور فى العالم من أحداث سياسية أدت مباشرة إلى تقليص دور الافريقيين فى صنع تاريخهم إلى أقصى حد ، وأصبحت الدول الأوربية تقوم بهذه المهمة .

لقد اقتربنا الآن من بداية الفترة التى سميت فترة الزحف والتكالب على افريقيا . حيث تحركت القوى الاستعمارية وزحفت إلى القارة وقسمتها فيما بينها كالغنيمة . ونشير من الآن إلى أن الخرائط الست القادمة ، وهى تعبر عن الأحداث التى وقعت بافريقيا خلال سبعين سنة تالية على تاريخ هذه الخريطة ، تدل على أن مصير القارة قد أصبح تحت سيطرة الأوربيين . ونادراً ما كان الافريقيون يظهرون فى الصورة .

ترى ما الذى دفع الأوربيين فجأة إلى التغلغل داخل أفريقيا ، بينما كانوا على مدى القرون الخمسة الماضية يدورون حول أطراف سواحل القارة ، ولا يحاولون النزول إليها إلا فى أضيق نطاق ممكن ؟ . . ربما تكمن الاجابة على هذا التساؤل فى كلمات أغنية انتشرت فى ذلك الحين تقول :

نحن لا نريد أن نحارب . .
إلا أننا وطنيون متطرفون . .
ولدينا رغبة فى السيطرة على الآخرين . .
ولدينا السفن والرجال . .
ولدينا أيضا أموال طائلة . . !

لقد وثقت أوربا بنفسها ثقة زائدة عن كل حد ، وساد الاعتقاد بين الأوربيين بأنه لا توجد أية قوى فى العالم القديم كله ، يمكنها مواجهة الاسلحة الأوربية . حتى الامبراطوريات القديمة الواسعة الأرجاء كالصين مثلا ، أصبح من الممكن السيطرة عليها أو قمعها باعداد قليلة من الجنود المسلحين بالاسلحة النارية المتطورة . كذلك فإن الدول الأوربية كانت تمتلك الثروات والموارد المالية الكافية لا ستمرار وامتداد العمليات الحربية إذا اقتضى الأمر . وعلى عكس

مصر ، كانت أوربا قادرة على تمويل الحروب التى لا تعود عليها بأرباح فورية سريعة .

وكان التفوق التكنولوجى للأوربيين واضحاً فى افريقيا لمدة طويلة من الزمن . ورغم هذا فقد عجزت بريطانيا عن إنشاء امبراطورية افريقية مماثلة لامبراطوريتها فى الهند بسبب الأمراض الافريقية « المتوطنة » وعلى رأسها مرض الملاريا .

ولكن فى سنة ١٨٤٧م اكتشف أحد الأطباء العاملين بالاسطول البريطانى ، أن تناول جرعة يومية من مشروب الكينين Quinine [وهو مادة شبه قلوية شديدة المرارة] تعطى المناعة وتوفر الحماية من الاصابة بالملاريا . وفى سنة ١٨٥٤م أبحرت مجموعة تتكون من اثنى عشر جندياً فى قارب عبرت به أعالى النيجر ونهر بنوى دون أن يصاب أحدهم بهذا المرض . ولم يعد يسمع بعدئذ القول الشائع الذى كان يردده البحارة من الجيل السابق :

إياك إياك من خليج بنين . .
كثيرون يذهبون إليه . .
وقليلون يعودون سالمين . .

وهكذا أصبحت أكثر المناطق خطورة فى افريقيا ، مفتوحة تماماً أمام الاستغلال الأوربى . وكانت أولى النتائج لذلك ، قيام بريطانيا بالاستيلاء على لاجوس Lagos سنة ١٨٦١م .

وبطبيعة الحال فقد كان من اللازم توفير الأموال اللازمة لاستمرار التحرك الاستعمارى . وفى سنة ١٨٦٧م اكتشفت مناجم الماس فى منطقة كمبرلى Kimberley الواقعة على الحدود بين مستعمرة الكيب ودولة أورانج الحرة التى انشأها البوير . وعلى الفور تدفقت جموع المهاجرين البريطانيين إلى تلك المنطقة . ثم ضمت بريطانيا منطقة كمبرلى إلى مستعمرة الكيب فى سنة ١٨٧٣م . وهكذا سيطرت بريطانيا على جنوب افريقيا ، وأصبحت لها القواعد العسكرية التى صارت تمكنها من فرض إرادتها وتوجيه الأحداث فى تلك المنطقة .

وفى الطرف الآخر للقارة ، كان افتتاح وتشغيل قناة السويس عامل جذب للاستثمارات الأوربية فى سواحل البحر الأحمر . حيث كانت السفن البخارية الحديثة التى كانت تعبر القناة فى تلك الأيام ، فى حاجة إلى تزويدها بالفحم اللازم لاستمرار رحلاتها . وأصبحت الحاجة ملحة إلى إنشاء محطات لتزويد السفن بهذا الوقود . وكان البريطانيون قد انشأوا لسفنهم محطة تموين فى عدن فى سنة ١٨٣٩ ، ثم قام الفرنسيون بانشاء محطة تموين فى ميناء أوبوك obok سنة ١٨٦٢ . وقام الايطاليون بشراء موقع انشأوا عليه محطة تموين فى ميناء عصب سنة ١٨٦٩م .

ونظراً لأن بريطانيا كانت فى ذلك الوقت على رأس قائمة الدول البحرية فى العالم ، فقد تصدرت أيضا قائمة الدول الاستعمارية وتليها فرنسا فى الترتيب . وربما كان هذا الوضع لا يعكس حقائق الأمور فى تركيبة النظام السياسى لأوربا . ذلك لأن المانيا احتلت فرنسا سنة ١٨٧٠م ، وأصبح من الممكن أن تتبوأ المكانة التى كانت تحتلها فرنسا فى النشاط الاستعمارى ، غير أن المانيا لم تكن تمتلك القوة البحرية اللازمة لذلك ، كما أن المستشار الألمانى بسمارك Bismark كان يعارض فكرة قيام المانيا بتكوين امبراطورية لها فيما وراء البحار .

وتأتى البرتغال فى المرتبة الثالثة فى قائمة الدول الاستعمارية ، رغم أنها كانت غير ذات تأثير فعال فى توجيه السياسة الأوربية فى ذلك الوقت . أما المرتبة الرابعة فكان يحتلها شخص

فرد هو الملك ليوبولد Leopold ملك بلچيكا .

وقصة ليوبولد قصة غريبة تجدر الاشارة إليها   فقد كان البرلمان البلچيكى غير راغب فى قيام بلچيكا بأية مغامرات استعمارية . ولذلك فقد اضطر الملك ليوبولد إلى أن يتكفل بتمويل طموحه الاستعمارى من خزانته الخاصة . وكانت خطته الأصلية ترمى إلى إنشاء شبكة تجارية فى منطقة الكاميرون Cameroon . إلى أن تقابل الملك مع ستانلى فى سنة ١٨٧٨م .

وكان ستانلى يطمع آنئذ فى فتح مناطق حوض نهر زائير للمتاجرة مع أوربا ، وكان يرى أن بريطانيا هى خير من يعاونه فى هذه المهمة . ولكن بريطانيا قابلت هذه الفكرة بفتور ولا مبالاة ، الأمر الذى دفع ستانلى إلى قبول الاتفاق مع الملك ليوبولد ليحقق له رغبته الاستعمارية العارمة .

ونود أن نشير إلى أن بداية المغامرة الاستعمارية التى قام بها الملك ليوبولد ، بل وبداية بناء الامبراطوريات الأوربية فى افريقيا بصفة عامة ، تظهر جلية فى الخريطة القادمة أكثر من ظهورها فى هذه الخريطة . ومع ذلك فنشير هنا إلى واقعتين تمثلان نوعاً من الاعتداء على ممتلكات الآخرين : فقد استولت فرنسا على مناطق أعالى السنغال وأقامت لها قاعدة فى منطقة اسمتها أنهار الجنوب Rivieres Du Sud وتقع حالياً فى دولة غينيا ، كما استولى القائد الفرنسى دى برازا De Brazza على منطقة الجابون Gabon.

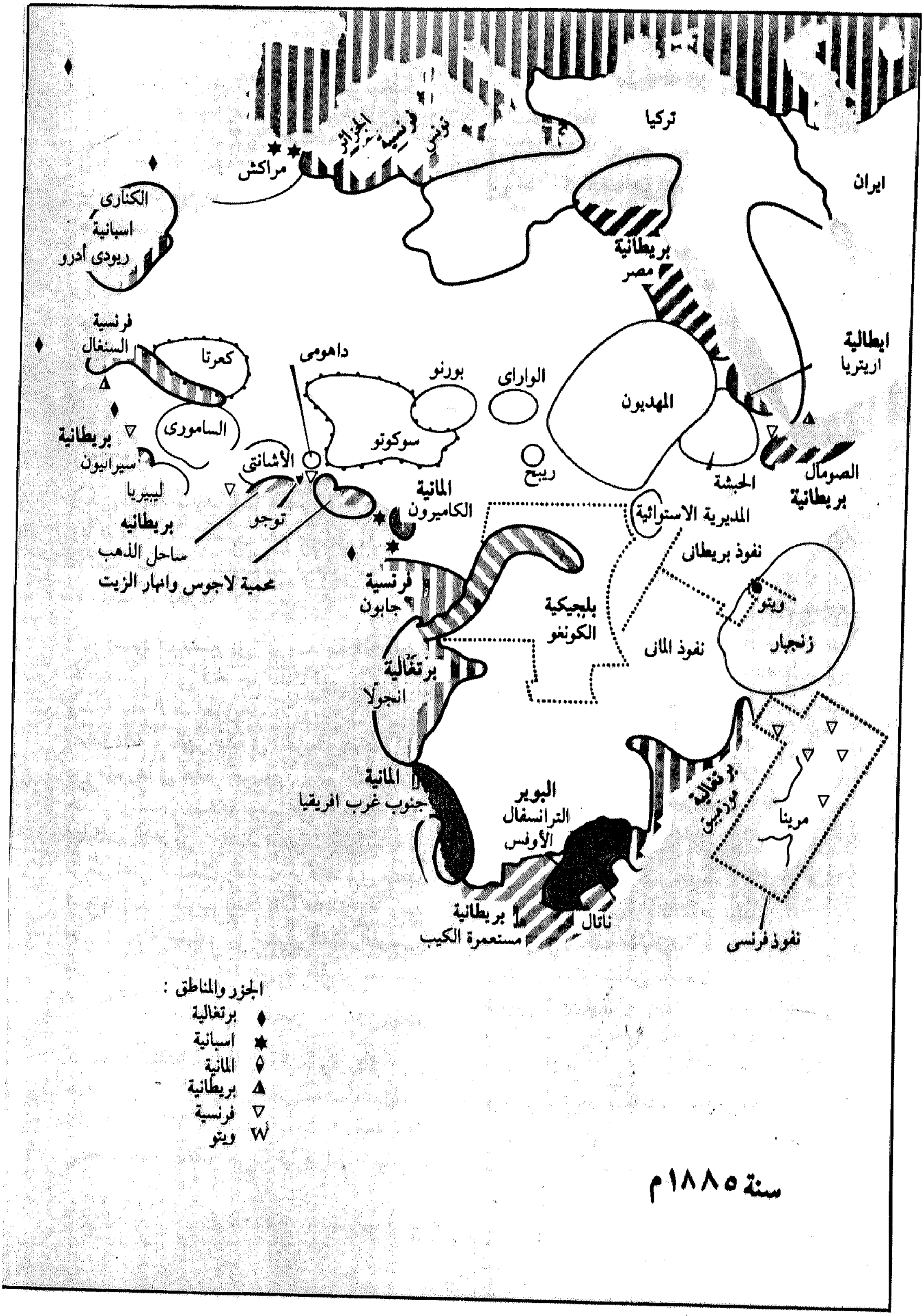
أما الواقعة الثانية فتتمثل فى قيام بريطانيا بمد حدود مستعمرة الكيب لتضم منطقة كمبرلى ومناطق اخرى بالساحل الشرقى سنة ١٨٦٦م . كما استولت أيضا على معظم مناطق باسوتولاند Basutoland سنة ١٨٧١م . [أما بقية مناطق باسوتولاند الأخرى فقد كانت تحت حكم البوير - دولة أورانج الحرة - منذ سنة ١٨٦٦م] . كما استولت بريطانيا ايضا على قليم الترانسڤال فى سنة ١٨٧٦م .

وقد قبل بوير الترانسڤال حكم البريطانيين وخضعوا له بعد أن تعرضوا للافلاس بسبب حروبهم الطويلة المستمرة ضد الأهالى المحليين من قبائل البانتو[الزولو على وجه الخصوص] . وترضية لهؤلاء البوير ، وعدتهم بريطانيا بشن الحرب ضد الزولو والقضاء عليهم نهائيا .

وفى سنة ١٨٧٩م زحفت القوات البريطانية إلى مناطق الزولو ، ونشبت أول معركة بين الفريقين فى إيساندا لوانا Isandhlwana عانى فيها البريطانيون من نقص الذخيرة وتعرضوا لمذبحة مروعة ولكنهم عادوا مرة أخرى بعد ثلاثة شهور ، وكانوا مزودين هذه المرة بالمدافع الرشاشة [من طراز مكسيم Maxim Gun].

وكان استعمال هذا السلاح المروع ضد الافريقيين ، بداية لعصر جديد ، تمثل فى هذا القول الخالى من البطولة للشاعر بيلوك :

ليكن بعد ذلك ما يكون . .
فنحن نملك رشاش مكسيم . .
وهم لا يملكون . . !


تركيا
ايران
مراكش
الكنارى
اسبانية
ريودى أدرو
بريطانية
مصر
فرنسية
السنغال
كعرتا
داهومى
بورنو
الوارای
المهديون
ايطالية
اريتريا
الساموری
سوكوتو
بريطانية
سيراليون
ليبيريا
الأشانتى
ربيح
الصومال
بريطانية
الحبشة
المانية
الكاميرون
توجو
بريطانيه
ساحل الذهب
محمية لاجوس وانهار الزيت
المديرية الاستوائية
نفوذ بريطانى
فرنسية
جابون
بلجيكية
الكونغو
ويتو
زنجبار
نفوذ المانى
برتغالية
انجولا
المانية
جنوب غرب افريقيا
البوير
الترانسفال
الأورنس
مورينا
بريطانية
مستعمرة الكيب
ناتال
نفوذ فرنسى
الجزر والمناطق :
برتغالية
اسبانية
المانية
بريطانية
فرنسية
ويتو
سنة ١٨٨٥م

سنة ١٨٨٥

شدد الأوربيون زحفهم وتكالبهم على افريقيا . وفى عقد الثمانينات من القرن التاسع عشر ، مزق الأوربيون أوصال القارة واقتسموها فيما بينهم . وما أن انتهى هذا العقد حتى تحددت بوضوح الحدود النهائية للامبراطوريات الأوربية فى معظم المناطق الساحلية حول القارة . وتبين هذه الخريطة الحصص التى استولت عليها الدول الأوربية المختلفة فى المناطق الساحلية . أما تقسيم وتوزيع المناطق الداخلية بالقارة ، فقد بدأ بالكاد فى تلك الفترة .

ويمكن النظر إلى عملية الزحف والتكالب على افريقيا من عدة زوايا . فمن ناحية تسلسل الأحداث والوقائع التاريخية ، يمكن القول بأن فرنسا هى التى بدأت تلك العملية . وربما كان ذلك رد فعل للهزيمة المنكرة للفرنسيين حين احتلت المانيا بلادهم [سنة ١٨٧٠م] ، الأمر الذى دفعهم إلى ممارسة السلوك العدوانى فى مختلف انحاء العالم بما فى ذلك قارة افريقيا .

وعلى هذا ، أعلنت تونس محمية فرنسية سنة ١٨٨١م . وفى السنغال واصل الفرنسيون زحفهم على مناطق نهر النيجر فى الفترة ما بين عامى ١٨٧٩ - ١٨٨٣م . وفى الجابون تمكن القائد دى برازا من فرض التبعية الفرنسية على قبائل الفانج Fang التى تعيش بالمناطق الداخلية .

أما إذا نظرنا إلى عملية الزحف والتكالب على افريقيا من الناحية الدبلوماسية ، فسوف نجد أن بريطانيا هى التى قلبت الأوضاع القائمة رأساً على عقب . ففى سنة ١٨٨١م قاد الضابط المصرى أحمد عرابى ثورة وطنية فى مصر ، وهو تطور يدعو إلى الدهشة لقيام مثل هذه الثورة فى بلد كان خاضعاً تماماً للسيطرة الأجنبية . وسرعان ما حث الدائنون الأوربيون حكوماتهم على التدخل لمواجهة هذا الوضع الجديد فى مصر . وعلى الفور تدخل البريطانيون لإعادة النظام واقراره ، ثم تسلسلت الأحداث واحدة وراء أخرى ، إلى أن وقع حادث عارض فى يوليو ١٨٨٢م اتخذه البريطانيون ذريعة للهجوم على مصر واحتلالها .

ورغم ما كان يدعيه البريطانيون فى ذلك الوقت ، وما كانوا يؤكدونه فى كل المجالات ، من أن احتلالهم لمصر احتلال مؤقت إلا أن هذه الخطوة من جانب بريطانيا قد أثارت ثائرة الفرنسيين الذين أخذوا على غرة ، ولم يكن لديهم الوقت الكافى لحشد قواتهم لمشاركة البريطانيين فى هذا الاحتلال . وكانت فرنسا على يقين من أن مصر التى كانت حتى وقت قريب محمية دولية تلعب فيها فرنسا دوراً رئيسيا بين الدول الأوربية الأخرى التى تدير شئون البلاد ، أصبحت الآن - كأمر واقع - جزءاً من الامبراطورية البريطانية ، الأمر الذى يعد انتهاكاً من جانب بريطانيا للاتفاق القائم بين القوى الأوربية .

وقد اتخذ الاحتلال البريطانى لمصر ذريعة دفعت الدول الأوربية الأخرى للتدخل فى الشئون الافريقية . فإذا كانت بريطانيا قد استطاعت أن تلتهم جزءاً من افريقيا على مثل هذا النحو ، فإن الدول الأوربية الأخرى فى استطاعتها أن تفعل الشيء نفسه . وسرعان ما ارتفع فى أوربا صخب وضجيج النعرات الوطنية التى أخذت تتطلع إلى البحث عن مناطق

النفوذ فيما وراء البحار .

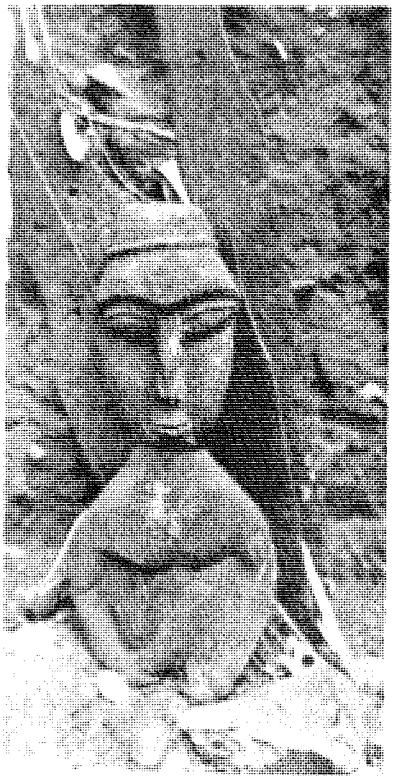
حتى بسمارك نفسه ، اضطر إلى تغيير مواقفه السابقة ، واشترك فى هذا الصخب ، وأعلن الحماية الألمانية على المناطق الافريقية التى كانت تعمل فيها البعثات التبشيرية الألمانية [مناطق توجو والكاميرون وجنوب غرب افريقيا] . كما أعلن نوعاً مبهما من الحماية والسيادة على سلطنة زنجبار [بما فى ذلك الجزيرة والمناطق الافريقية الداخلية التى كانت تابعة لها ، وكذا سلطنة الويتو witu الصغيرة الواقعة على الساحل الافريقى] . الأمر الذى أدى إلى حدوث نوع من التداخل بين النفوذ الألمانى والمصالح البريطانية فى تلك المنطقة . ونتيجة لذلك فقد اضطرت الدول الأوربية الضالعة بعملية الزحف والتكالب على افريقيا ، إلى قبول الدعوة إلى عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥م ، لتتفق فيما بينها على تقسيم افريقيا بين الاطراف المعنية دون حدوث تداخل بين مناطق النفوذ التابعة لكل طرف .

وكانت النتيجة المباشرة لهذا المؤتمر هى توزيع الحصص الافريقية على الدول الأوربية على النحو المبين بهذه الخريطة .

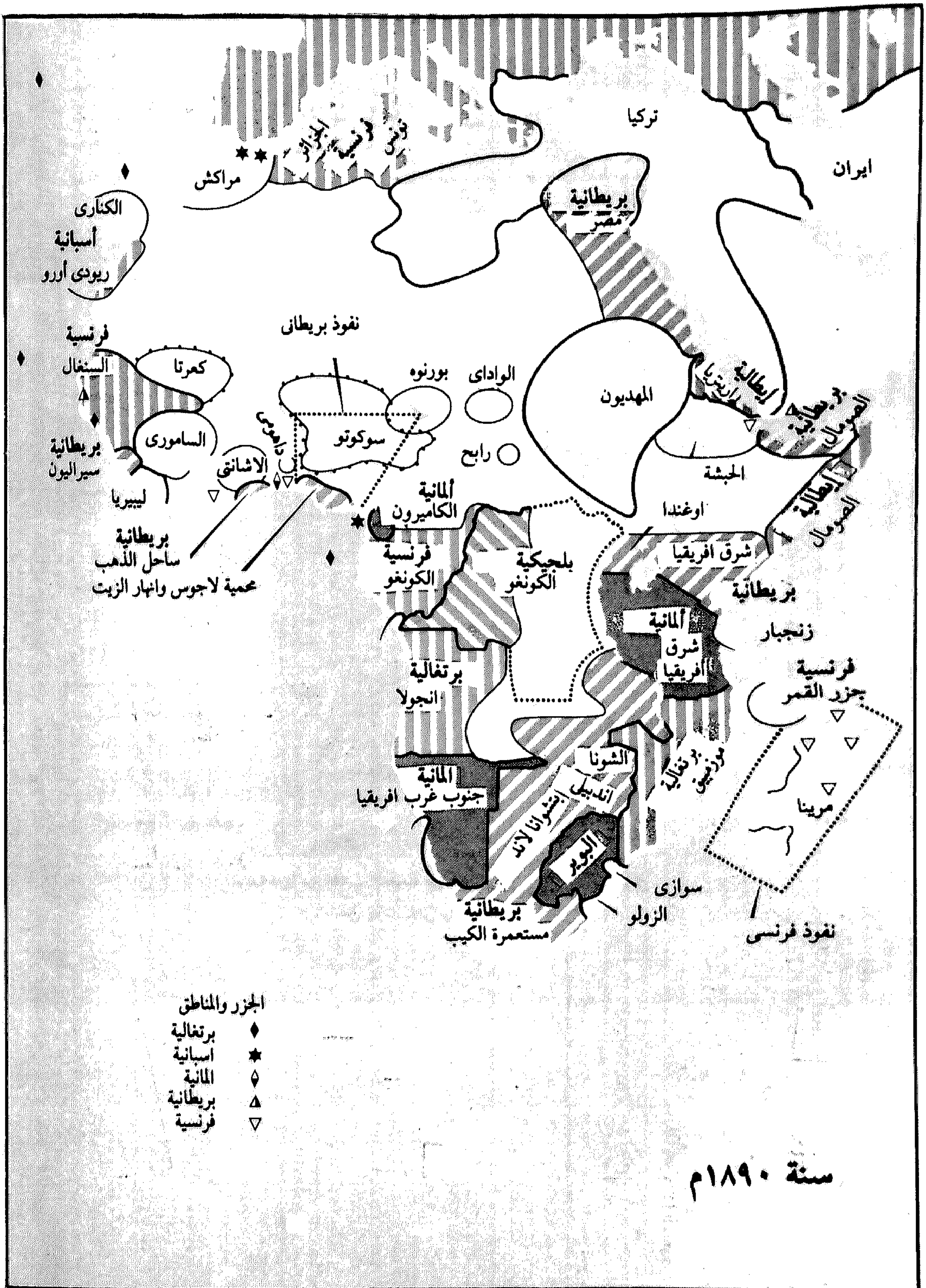
كما توضح هذه الخريطة أيضا حدوث واقعتين هامتين بالنسبة لتطور الأوضاع بداخل القارة : حدثت الواقعة الأولى فى مناطق أعالى النيل ، حين نشبت الثورة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدى فى السودان سنة ١٨٨١م . واخرجت المصريين من جميع المناطق التى كانت تحت نفوذهم جنوب الجندل الثانى [فيما عدا المناطق الساحلية بجنوب البحر الأحمر فقد تم اقتسامها بين البريطانيين والايطاليين] وقد تركت المديرية الاستوائية كما هى معزولة عن العالم كله تحت حكم النمساوى أمين باشا .

أما الواقعة الثانية فقد حدثت فى حوض نهر كبير آخر بافريقيا الوسطى ، وهو نهر زائير [الكونغو] وقد أعاد ستانلى استكشاف مناطق هذا النهر بعد أن أصبح وكيلاً لأعمال الملك ليوبولد ملك بلجيكا . وفى الفترة بين عامى ١٨٧٩ ـ ١٨٨٤م ، قام ستانلى بانشاء سلسلة من المراكز والمحطات التجارية على طول مجرى النهر . ونتيجة لذلك قامت امبراطورية شخصية تابعة للملك ليوبولد نفسه [وقد اعترفت الدول الأوربية فى مؤتمر برلين بهذه التسمية .] وهى امبراطورية واسعة الأرجاء تشمل معظم المساحات الشاسعة الداخلية فى أفريقيا الوسطى .

أما فى مناطق جنوب افريقيا ، فقد قام بوير الترانسفال باجلاء البريطانيين ، وحصلوا على استقلالهم سنة ١٨٨١م .



تعويذة قديمة من الخشب المنحوت على شكل « حارس البوابة » كانت تعلق
على مدخل بيوت بعض رؤساء القبائل القديمة .


تركيا
ايران
الجزائر
فرنسية
تونس
مراكش
الكنارى
أسبانية
ريودى اورو
بريطانية
مصر
نفوذ بريطانى
فرنسية
السنغال
كعرتا
بورنوه
الوادای
المهديون
ايطالية
اريتريا
بريطانية
الصومال
سوكوتو
الساموری
بريطانية
سيراليون
الاشانتى
داهومى
رابح
الحبشة
ايطالية
الصومال
ليبيريا
المانية
الكاميرون
اوغندا
شرق افريقيا
بريطانية
ساحل الذهب
محمية لاجوس وانهار الزيت
فرنسية
الكونغو
بلجيكية
الكونغو
بريطانية
المانية
شرق
افريقيا
زنجبار
برتغالية
انجولا
فرنسية
جزر القمر
الشونا
المانية
جنوب غرب افريقيا
برتغالية
موزمبيق
ماشونا لاند
اندبيل
مرينا
البوير
سوازى
الزولو
بريطانية
مستعمرة الكيب
نفوذ فرنسى
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
المانية
بريطانية
فرنسية
سنة ١٨٩٠م

سنة ١٨٩٠

واجه البريطانيون بحزم ردود الفعل التى حدثت بين القوى الأوربية الأخرى بسبب قيام بريطانيا باحتلال مصر . وفى مؤتمر برلين حين كانت الدول الأوربية المشتركة فى المؤتمر تدعى مطالبات مبالغاً فيها ، فلم يسفر ذلك إلا عن تأكيد سيطرة هذه الدول على المناطق الافريقية التى كانت تسيطر عليها فعلاً .

ومع ذلك فلم يمضى وقت طويل حتى شرعت هذه الدول الأوربية فى تحقيق نوع من التوازن بالنسبة لمناطق نفوذها فى افريقيا . وخلال فترة الثمانينات من القرن التاسع عشر ، أتضح تماماً انه عندما ينعلق الأمر ببناء الامبراطوريات الأوربية فيما وراء البحار ، فإن الدول الأوربية المعنية لا تنتظر أن تتلقى دروساً من أحد ، ولا تبالى إلا بمصالحها وحدها .

وقد استعادت بريطانيا مركزها المتفوق فى افريقيا ، خصوصاً بعد أن تبين لها أن الألمان لا يرغبون حقيقة فى توسيع نفوذهم فى افريقيا . وعلى ذلك فقد تم الاتفاق سنة ١٨٩٠ م ، على أن تتنازل المانيا لبريطانيا عن المحميات الألمانية فى الويتو وزنجبار Witu & Zanzibar . كما قبلت المانيا تقليص الحدود الشمالية لمنطقة نفوذها بشرق افريقيا ، بطريقة أتاحت لبريطانيا السيطرة على أوغندا Uganda . وكانت هذه التنازلات الألمانية كلها ، ثمنا لتنازل بريطانيا عن جزيرة هليجو لاند Heligoland ، وهى جزيرة تقع فى مواجهة سواحل المانيا . وكانت بريطانيا قد احتلتها واتخذتها قاعدة بحرية لاسطولها منذ أيام الحروب النابوليونية .

وكان الهدف الرئيسى للسياسة البريطانية فى منطقة شرق افريقيا ، هو منع أية قوى أوربية أخرى من الوصول أو التأثير على مناطق أعالى النيل . وقد نجح السير صمويل بيكر — ومعه قراء جريدة التايمز — فى حث الحكومة البريطانية على انتهاج هذه السياسة ، تحت الادعاء بأن أية قوى أوربية تصل إلى مناطق أعالى النيل ، تستطيع باستخدام الطرق الهندسية الحديثة ، أن تحجب مياه النيل الأبيض عن مصر ، الأمر الذى يعود بالخراب الحتمى على مصر ، ويعتبر كارثة كبرى للامبراطورية البريطانية . ومن هذا المنطلق ، قامت بريطانيا بتدعيم قواتها فى تلك المناطق واحكام السيطرة عليها .

وتجدر الاشارة أيضا إلى أن بريطانيا قد سيطرت فى نفس الفترة على المناطق الواقعة جنوب أواسط افريقيا ، بفضل الجهود التى قام بها سيسل رودس Cecil Rhods المالى مليونير الانجليزى الذى حقق ثروات خيالية نتيجة لسيطرته على مناجم الماس بجنوب افريقيا ، والذى وضع ملايينه هذه فى خدمة الامبراطورية البريطانية وتوسيع حدودها فى افريقيا .

وعلى الفور انتشر وكلاء رودس شمالا مخترقين نفس الطريق الذى فتحه لڤنجستون فى الجيل السابق ، وأخذوا يعقدون « معاهدات الحماية » Treaties of Protection مع كل القبائل الافريقية التى كانت تعيش فى تلك المناطق ، وفرضوا عليها النفوذ البريطانى . . تعاقدوا مع قبائل السوتو Sotho التى كانت تعيش فى منطقة تسوانا Tswana والتى سميت آنئذ بتشوانا Bechuana ثم بتشوانا لاند Bechuanaland فيما بعد . كما تعاقدوا مع

قبائل الانـدبيلى [فى منـطقـة مـاتـا بيليـلانـد Matabeleland] . ومـع قبائـل الشونـا [فى منطقة ماشونـا لاند Mashonaland] . ومـع جميع القبائل الأخرى التى كانت تعيش فى جميع المناطق الواقعة بين أعالى نهر الزامبيزى وبحيرة نياسا .

وفى سنة ١٨٩٠ م ، عندما أصبح سيسـل رودس رئيسا لوزراء مستعمـرة الكيب ، قضى رودس نهائيا على أحلام البرتغاليين فى السيطرة عـلى المناطق الافـريقيـة الـواصلة بـين انجـولا وموزمبيق . كما جـرد البويـر من أية قـدرة على التوسع غرباً أو شمالاً .

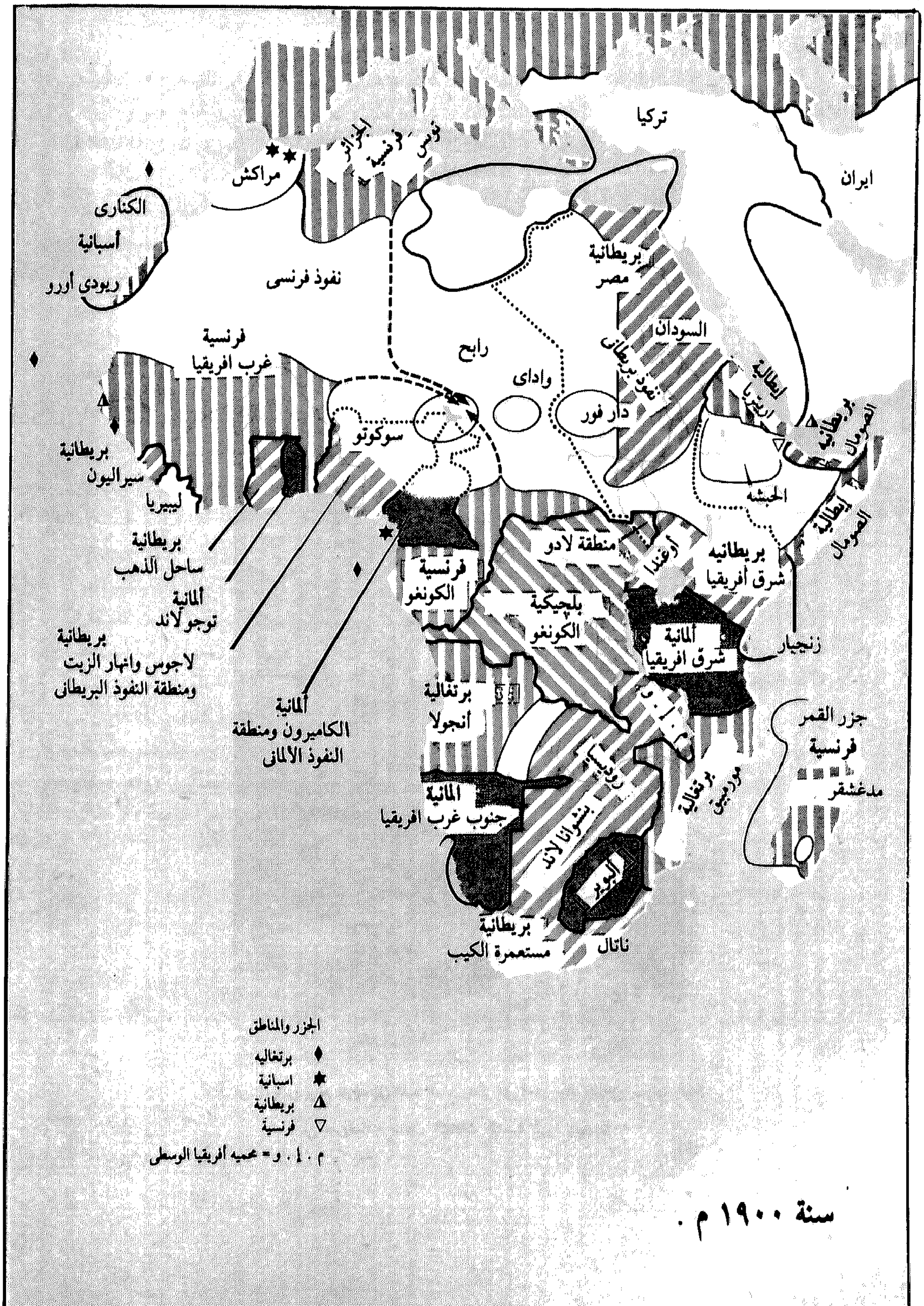
ولم يكن لبريطانيا نشاط ملحوظ فى مناطق غرب افريقيـا ، وكانت أوضـاعها مستقـرة على مـا هى عليـه هنـاك . وكـان المبعـوثـون الدبلوماسيون الانجليز فى تلك المناطق يزودون الحكومة البريطانية بتقارير تؤكد أن فرنسا والمانيا تحترمان المصالح البريطانية فى منطقة نفوذهـا فى نيجيريا .

وعـلى العكس من بـريـطانيـا ، ازدادت التحركات الفرنسية فى منـاطق غرب افـريقيا . وفى سنـة ١٨٨٨ م ، قـامت فـرنسـا بضـم فوتا چالون ، كما مارست ضغـطاً مستمراً عـلى أهم عاهلين بمناطق اعالى نهر النيجر وهما : شيخ أحمدو ملك كعرتا ، وهو ابن الحاج عمر وخليفته على عرش المملكة ، وساموری توری Samori Toure هازم قبائـل المانـدى والذى وضـع كل القبائل التى كـانت تعيش بمرتفعـات غينيا تحت سيـطرته منـذ سبعينات القـرن التاسـع عشر . وأصبـح من الـواضـح بعـدئـذ أن الفـرنسيـين سيتحركون إلى مناطق أبعد من ذلك على طول مجرى النيجر بمجـرد تجهيزهم للقـوات اللازمـة لتحقيق المزيد من هذه التحركات . وبالتالى فقد أصبح الفرنسيون المنافسين الوحيدين للبريطانيين فى افريقيا .

أما الايطاليون فقد كان لهم نصيب أيضا فى عملية الزحف والتكالب على افريقيا ، حيث تم أخيـراً فتحهم لمنطقـة اريتـريـا . كـما أعـطاهم البريطانيون الإذن بضم المنطقة الواقعة بالسواحل الصـومـاليـة والتى كانت من قبـل تحت سيـطرة زنجبار . كما تمكن الايطاليون من ممارسة الضغط على الحبشة التى أصبحت فى حالة بائسة بعد مقتل الملك چون أثناء إحدى معاركه مع المهـديين ، وتـولى العرش ملك حبشى جـديد هـو منيليك Menelik الذى خضع للايطاليين ووقع معهم معاهدة يعترف فيها « بالمصالح الخاصة » لايطاليا فى بلاده .



تمثال من النحاس يرجع تاريخه إلى القرن السابع عشر يمثل أحد رجال القبائل بغرب افريقيا .
من معروضات متحف الثقافات الشعبية بڤيينا بالنمسا .


تركيا
ايران
مراكش
الجزائر
تونس فرنسية
الكنارى
أسبانية
ريودي اورو
نفوذ فرنسى
فرنسية
غرب افريقيا
بريطانية
مصر
السودان
رابح
وادای
دار فور
سوكوتو
بريطانية
سيراليون
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
ألمانية
توجولاند
بريطانية
لاجوس وانهار الزيت
ومنطقة النفوذ البريطانى
ألمانية
الكاميرون ومنطقة
النفوذ الألمانى
فرنسية
الكونغو
منطقة لادو
أوغندا
بريطانيه
شرق أفريقيا
بلچيكية
الكونغو
ألمانية
شرق افريقيا
زنجبار
الحبشه
إريتريا
إيطالية
بريطانية
الصومال
إيطالية
الصومال
برتغالية
أنجولا
ألمانية
جنوب غرب افريقيا
روديسيا
بتشوانا لاند
البوير
برتغالية
موزمبيق
جزر القمر
فرنسية
مدغشقر
بريطانية
مستعمرة الكيب
ناتال
الجزر والمناطق
برتغاليه
اسبانية
بريطانية
فرنسية
م . أ . و = محميه أفريقيا الوسطى

سنة ١٩٠٠ م .

سنة ١٩٠٠

فى الفترة ما بين عامى ١٨٩٦ - ١٨٩٨ م ، هجم البريطانيون على السودان وقضوا على دولة المهديين نهائيا . وعندما واصلوا زحفهم نحو أعالى النيل الأبيض ، فوجئوا بالعلم الفرنسى الثلاثى الألوان مرفوعاً على منطقة كودوك Kodok التى تعرف الآن باسم فاشودة Fashodaحيث عسكرت بعثة استكشافية فرنسية كانت قد وصلت إلى هذه المنطقة عبر الكونغو . وقد اعتبرت بريطانيا هذا الفعل من جانب الفرنسيين صفعة موجهة لها فى قلب منطقة نفوذها بأعالى النيل . وعلى الفور أمر الانجليز هذه البعثة الفرنسية بترك المنطقة . وكادت الحرب تنشب بين انجلترا وفرنسا فعلاً بسبب هذه الحادثة .

لقد واجهت بريطانيا مطامع الفرنسيين بحزم ، كما واجهت أيضا مطامع الملك ليوبولد بحزم مماثل . فمنذ عام مضى أرسل ليوبولد حملة عسكرية ضد المهديين ، أجلتهم من منطقة لادو Lado[وتعرف حالياً باسم الرجاف Rejaf] وهى منطقة تقع داخل حدود المديرية الاستوائية التى تعتبر بدورها داخله ضمن مناطق النفوذ البريطانى . لذلك فقد قامت بريطانيا باخطار الملك ليوبولد بأن فى امكانه الاحتفاظ بنفوذه على تلك المنطقة اثناء حياته فقط ، على أن تعاد بعد ذلك إلى السودان [أى إلى بريطانيا] بمجرد موته . أما اقليم دارفور Darfur وهو اقليم سودانى ، فقد ابقته بريطانيا تحت حكم أحد السلاطين المحليين الذين ينتمون إلى الاسرة الحاكمة القديمة .

وفى حقيقة الأمر كان لدى فرنسا من الاسباب ما يجعلها لا تحزن كثيراً لابعادها عن مناطق النيل . فقد شقت فرنسا لنفسها طريقها فى مناطق غرب افريقيا . وقامت بتقليص نفوذ أحمدو حاكم كعرتا فى سنة ١٨٩٣ م . ثم دخلت تمبوكتو فيما بعد ، كما استطاعت تقليص نفوذ ساموري تورى فى سنة ١٨٩٨ م .

وبعد أن تمكنت فرنسا من تثبيت مركزها فى منطقة النيجر الأوسط [والتى أطلقت عليها اسم السودان الفرنسى French Sudan] ، تطلعت إلى وصل تلك المنطقة بالمناطق التابعة لها فى ساحل العاج ، وفى اقليم داهومى الذى استولت عليه سنة ١٨٩٤ م . وهكذا أصبحت فرنسا تسيطر على كتلة متماسكة واسعة الأرجاء من الأقاليم الافريقية جنوب الصحراء الكبرى . وفى سنة ١٨٩٥ م ، جمعت فرنسا هذه الأقاليم كلها فى كيان سياسى واحد ، أطلقت عليه اسم افريقيا الغربية الفرنسية French West Africa .

وقد أدى هذا النجاح إلى تشجيع الفرنسيين على المزيد من الطموح إلى وصل الأقاليم التى تسيطر عليها فى مختلف انحاء افريقيا بعضها ببعض . وفى سنة ١٩٠٠ م خرجت ثلاث بعثات عسكرية فرنسية قاصدة الالتقاء ببعضها فى منطقة بحيرة تشاد . وقد خرجت البعثة الأولى من الجزائر ، وخرجت الثانية من افريقيا الغربية الفرنسية ، وخرجت الثالثة من الكونغو الفرنسى .

وكانت منطقة بحيرة تشاد [التى كانت فيما مضى مملكة بورنوه القديمة] تعانى حالات من الرعب والفزع الذى أشاعه « رابح » قناص

العبيد الذى كان يهجم على المنطقة بين حين وآخر ، منطلقا من مكان اقامته الأصلى جنوب دارفور . وقد حققت البعثات العسكرية الفرنسية لقاءها بنجاح فى منطقة بحيرة تشاد طبقا للخطة المرسومة . وبعد التخلص من رابح هذا ، تمكنت فرنسا من تحقيق الوصل بين افريقيا الشمالية الفرنسية ، وافريقيا الغربية الفرنسية ، والكونغو الفرنسى .

وفى سنة ١٨٩٥ م ، أطلق سيسل رودس اسمه على روديسيا ، الأمر الذى أدار رأسه وجعله يتلهف إلى تحقيق غايته فى القضاء على البوير . فشن عليهم حملة عسكرية سميت [غارة جيمسون سنة١٨٩٦]. وقد فشلت هذه العملية فشلاً ذريعاً دعا الحكومة البريطانية إلى التدخل فى الحرب التى كانت قائمة بين البوير وقوات رودس . ومع ذلك فقد تلاحقت بعض الهزائم المنكرة على القوات البريطانية المحلية فى خلال عام ١٨٩٩ م .

وفى بداية عام ١٩٠٠ م ، وصلت بعض الوحدات الرئيسية من الجيش البريطانى للاشتراك فى الحرب الدائرة ، وسرعان مارجحت كفة البريطانيين . وفى مدى بضع شهور قليلة احتلوا كافة النقط والمراكز الرئيسية بما فى ذلك بلومفونتاين Bloemfontein [عاصمة الأوفس Ofs] ، وحقول الذهب فى راند Rand [وقد اكتشفت هذه الحقول سنة ١٨٥٦ م وكانت السبب الحقيقى للمشاكل التى أدت إلى الحرب] . كما احتلوا بريتوريا Pretoria [عاصمة الترانسفال] .

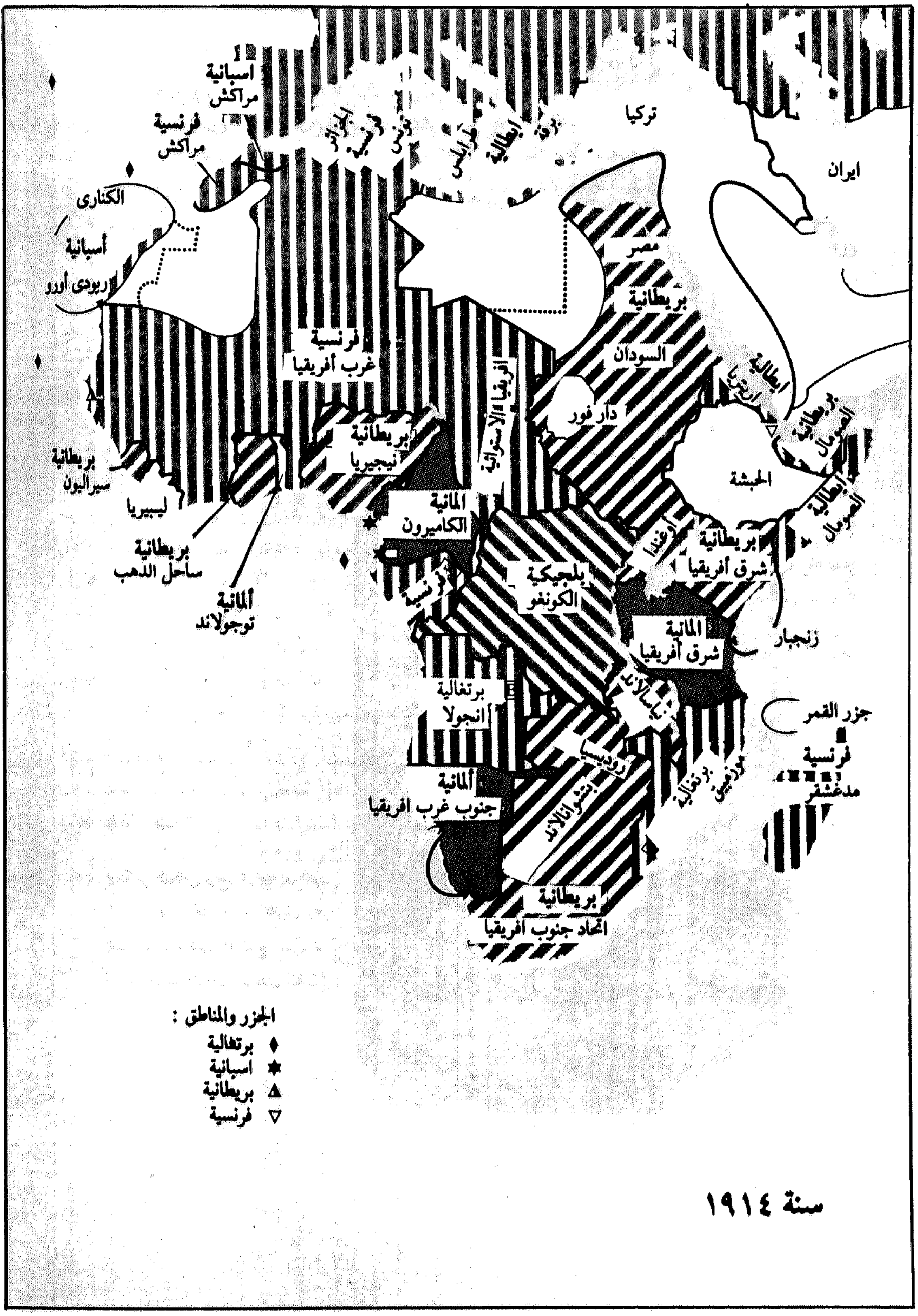
ورغم أن البوير قد حولوا مقاومتهم المريرة إلى حرب عصابات استمرت نحو عامين ، إلا أن النتيجة النهائية لكل ذلك هى أن سيطرة بريطانيا على جنوب افريقيا أصبحت غير محل شك .

وقد باءت محاولة الايطاليين للضغط على الحبشة بفشل ذريع فى مدينة عدوه Adowa الواقعة جنوب الحدود الارتيرية الحبشية . حيث تغلبت الجيوش الحبشية التى أرسلها الامبراطور منيليك على الجيش الايطالى الذى كان يحاول الاستيلاء على تلك المدينة . وهكذا توقفت ايطاليا عن محاولاتها لفرض حمايتها على الحبشة ، كما تبددت أحلامها فى وصل الاقليمين اللذين تسيطر عليهما فى كل من الصومال وارتيريا .

وفى سنة ١٨٩٥ م ، بدأت فرنسا عملية الاستيلاء على معظم انحاء جزيرة مدغشقر . وكانت قد استولت من قبل ــ سنة ١٨٨٦ م ــ على جزر القمر Comoros .



لوحة من النحاس يرجع تاريخها إلى القرن
السادس عشر تمثل ساحر القبيلة وهو
يمسك بكرباج لطرد الأرواح الشريرة .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



اسبانية
مراكش
فرنسية
مراكش
الكنارى
أسبانية
ريودى أورو
تركيا
ايران
مصر
بريطانية
السودان
فرنسية
غرب أفريقيا
أفريقيا الاستوائية
دارفور
بريطانية
نيجيريا
بريطانية
سيراليون
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
ألمانية
توجولاند
ألمانية
الكاميرون
الحبشة
ايطالية
الصومال
بريطانية
شرق أفريقيا
بلجيكية
الكونغو
ألمانية
شرق أفريقيا
زنجبار
جزر القمر
فرنسية
مدغشقر
برتغالية
أنجولا
روديسيا
ألمانية
جنوب غرب افريقيا
بريطانية
اتحاد جنوب أفريقيا
الجزر والمناطق :
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية

سنة ١٩١٤

سنة ١٩١٤

منذ نهاية حرب البوير [سنة ١٩٠٢] وبداية الحرب العالمية الأولى [سنة ١٩١٤] ، حدث نوع من التماسك والمساندة بين الامبراطوريات الأوربية فى افريقيا . فقد قام كل من الفرنسيين والبريطانيين باحتلال جميع المناطق التى كانوا يطمحون إلى احتلالها ووضعها تحت سيطرتهم . كما تحددت معالم معظم الحدود السياسية التى تفصل بين كل من الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية وغيرهما من الامبراطوريات أو الادارات الاستعمارية الأوربية الأخرى فى مختلف انحاء القارة .

ونود أن نشير إلى الأزمة السياسية التى حدثت بين فرنسا واسبانيا خلال عامى ١٩٠٥ - ١٩٠٦ حول عملية تقسيم مراكش فيما بينهما . فقد انتهت الأزمة بحصول فرنسا على ٩٠ ٪ من أراضى مراكش وحصول اسبانيا على ١٠ ٪ من هذه الأراضى .

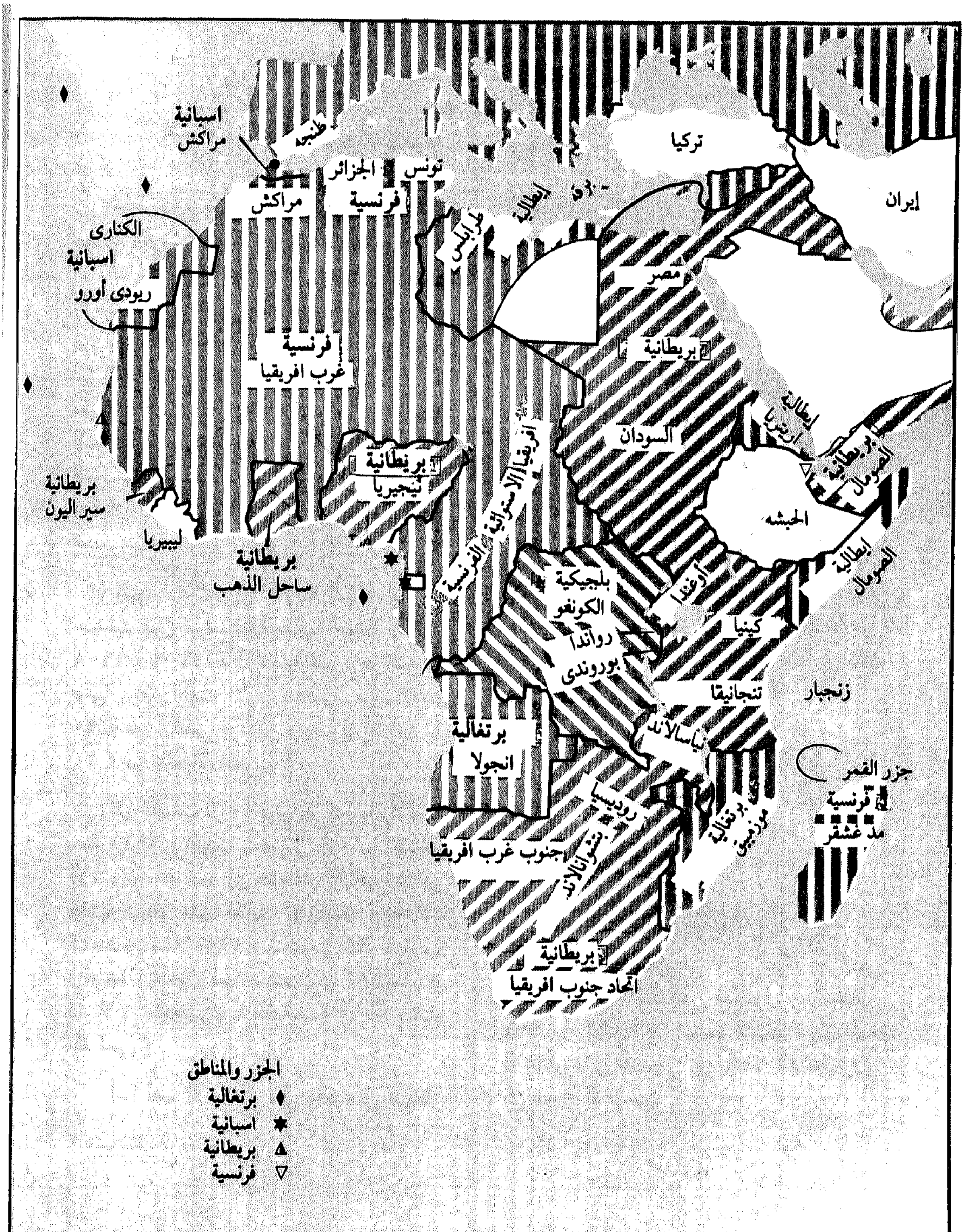
كما حصلت ازمة اخرى بين فرنسا وألمانيا فى سنة ١٩١١ م انتهت بتحويل جزء من افريقيا الاستوائية الفرنسية إلى منطقة الكاميرون التى كانت تسيطر عليها المانيا . [وكانت فرنسا قد قامت فى سنة ١٩١٠ م بتكوين كتلة سياسية واحدة ، أدمجت فيها مستعمرتها الجديدة فى تشاد ، بمستعمرتها القائمة فى الكونغو الفرنسى] .

أما أهم الأحداث التى وقعت فى مناطق النفوذ البريطانى فى افريقيا ، فتتمثل فى الاستيلاء على نيجيريا الشمالية فيما بين عامى ١٩٠١ - ١٩٠٣ ، وفى سد الفجوة التى كانت تفصل بين السودان وأوغندا ، وذلك بضم منطقة لادو بعد موت الملك ليوبولد سنة ١٩٠٩ . وفى اعلان اتحاد جنوب افريقيا Union of South Africa بعد دمج مستعمرة الكيب واقليم ناتال ودولة أورانج الحرة واقليم الترانسفال فى سنة ١٩١٠ م .

ويلاحظ أن تعداد الأوربيين البيض قد ازداد فى تلك الفترة فى منطقة جنوب افريقيا ، حيث وصل إلى نحو مليون وربع مليون نسمة ، وهو عدد كبير يمثل نحو ٢٢ ٪ من التعداد الاجمالى المفترض للأهالى السود الذى كان يقدر فى ذلك الوقت بنحو ستة ملايين نسمة .

كذلك فقد وصل عدد الأوربيين فى الجزائر إلى نحو ثلاثة أرباع مليون نسمة . أى حوالى ١٤ ٪ من اجمالى عدد الجزائريين الذى كان يقدر بنحو خمسة ملايين وربع مليون نسمة .

ونشير أخيراً إلى قيام إيطاليا بالاستيلاء على المنطقة الساحلية لكل من اقليمى برقه وطرابلس اللذين كانا يتبعان تركيا . وذلك فى خلال عامى ١٩١١ - ١٩١٢ م . ومع ذلك لم ينجح الايطاليون فى التغلغل إلى المنطقة الداخلية لأى من هذين الاقليمين .


اسبانية
مراكش
طنجة
تونس
الجزائر
فرنسية
مراكش
الكنارى
اسبانية
ريودى أورو
فرنسية
غرب افريقيا
طرابلس
إيطالية
تركيا
إيران
مصر
بريطانية
السودان
إيطالية
اريتريا
بريطانية
الصومال
الحبشه
إيطالية
الصومال
بريطانية
نيجيريا
أفريقيا الاستوائية الفرنسية
بريطانية
سير اليون
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
بلجيكية
الكونغو
رواندا
بوروندى
أوغندا
كينيا
تنجانيقا
زنجبار
نياسالاند
برتغالية
انجولا
روديسيا
جزر القمر
فرنسية
مدغشقر
برتغالية
موزمبيق
جنوب غرب افريقيا
بتشوانالاند
بريطانية
اتحاد جنوب افريقيا
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية
سنة ١٩٢٥ م

سنة ١٩٢٥

فى سنة ١٩١٤ اكتسحت الجيوش الألمانية حدود بلچيكا بادئة بذلك معارك الحرب العالمية الأولى . وبعد أربع سنوات من الحروب المضنية ، انهزم الألمان ، وغيروا نظامهم القيصرى ، وتوقفوا — فى ذلك الوقت — عن ممارسة افكارهم وطموحهم إلى حكم العالم .

أما الحلفاء المنتصرون فقد خرجوا من الحرب يلعقون جروحهم ، ولم تكن لديهم أسلاب أو غنائم يقتسمونها فيما بينهم سوى الامبراطورية الألمانية فيما وراء البحار ، التى وضعت على المائدة لتقطيعها وتوزيع اجزائها بأقصى سرعة .

وقد تحملت بريطانيا وفرنسا الجهد الأكبر بين قوات الحلفاء التى اشتركت فى تلك الحرب . ولذلك فلم يكن من الغريب أن تحصل الدولتان على نصيب الأسد من المستعمرات الألمانية فى افريقيا . وعلى هذا فقد حصلت بريطانيا على المستعمرتين الألمانيتين فى جنوب غرب افريقيا وفى شرق افريقيا . كما اعطيت بلچيكا اقليمى رواندا وبوروندى . أما فرنسا فقد حصلت على الكاميرون [عدا شريط ممتد على حدودها الغربية صار ضمه إلى نيجيريا البريطانية] . كذلك فقد تم توزيع توجولاند Togoland بين بريطانيا وفرنسا .

وقد تم توزيع كل تلك الأقاليم بمعرفة عصبة الأمم League Of Nations التى انشئت فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، كنموذج أولى مبكر لهيئة الأمم المتحدة United Naions . وحتى ذلك الوقت لم تكن ثمة اختلافات أو منازعات — من الناحية العملية — بين كل من بريطانيا أو فرنسا ومستعمراتها التى أصبحت واضحة المعالم والحدود فى مختلف مناطق افريقيا .

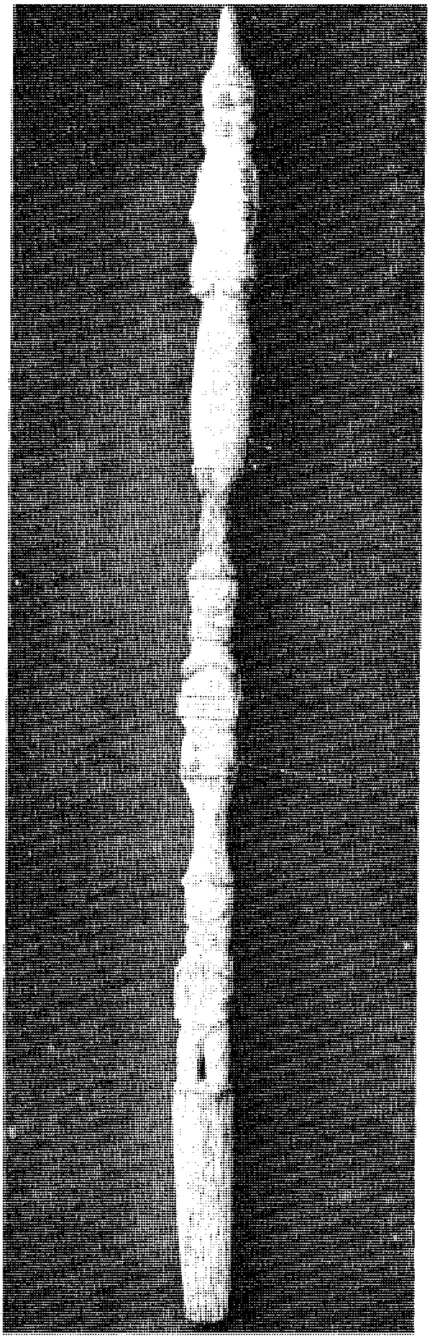
وكانت تركيا قد اشتركت فى الحرب العالمية الأولى إلى جانب المانيا . وكان سلطان دارفور من بين الذين استجابوا لنداء « الجهاد » ضد قوات الحلفاء . وفى سنة ١٩١٦ تم القضاء عليه وقتله ، وضم اقليمه إلى حدود السودان .

أما بالنسبة إلى ايطاليا التى اشتركت فى الحرب إلى جانب الحلفاء ، فقد واصل السنوسيون من بدو الصحراء الليبية جهادهم ضد القوات الايطالية . وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير ، ولم تتمكن ايطاليا إلا على السيطرة على الموانى البحرية على الساحل الليبى . ونتيجة لذلك فقد تم تعويض ايطاليا باعطائها الاقليم الشمالى الشرقى من كينيا ، حيث قامت بضمه إلى الصومال الإيطالى . [وكان هذا حلاً منطقيا ، لأن أغلب سكان هذا الاقليم كانوا من الصوماليين] . هذا بالاضافة إلى تعديل الحدود الليبية لصالح ايطاليا وعلى حساب كل من انجلترا وفرنسا .

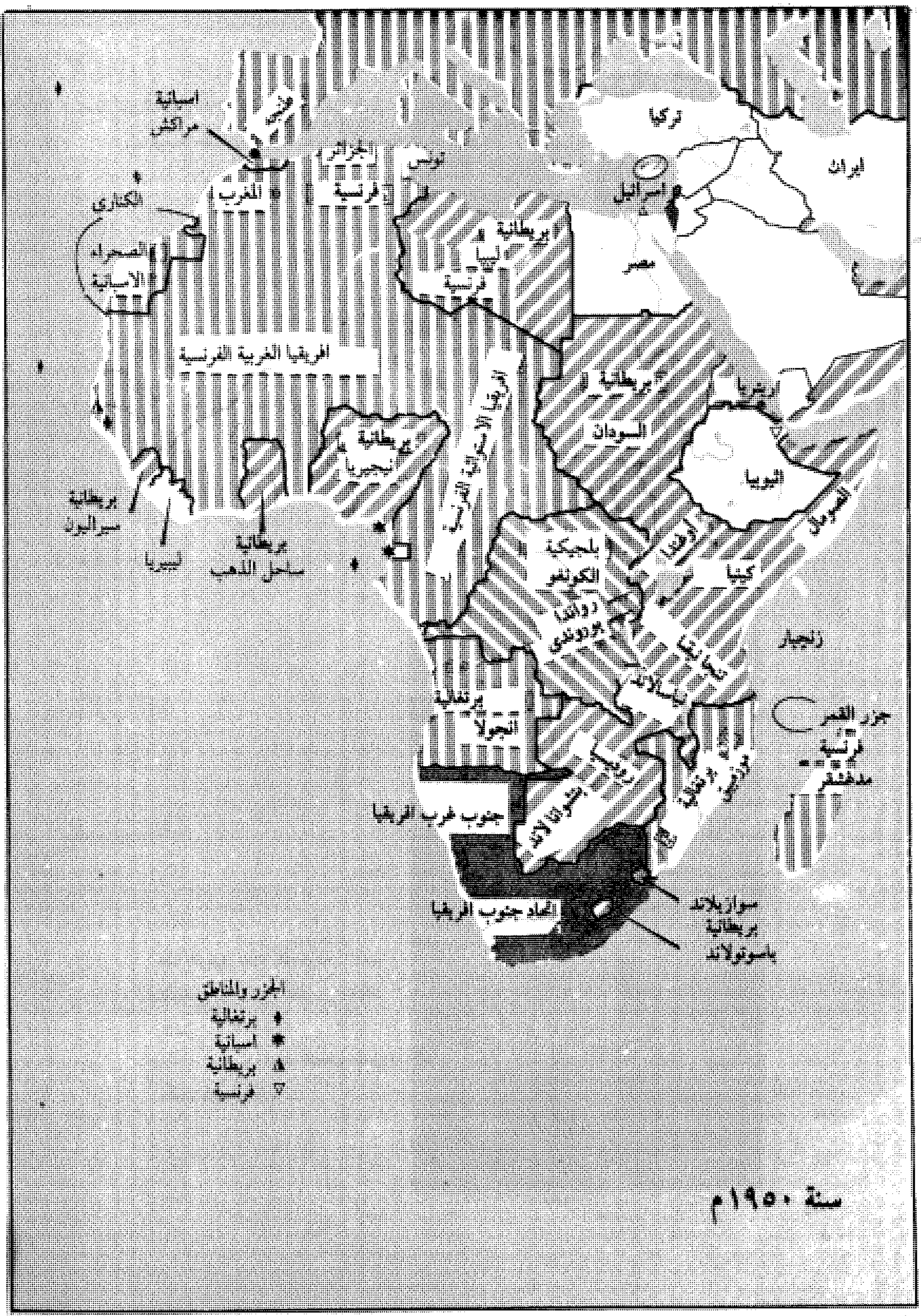
وبالرغم من هذا فقد كان من الصعب على ايطاليا ان تسيطر سيطرة فعلية على الأقاليم الداخلية بصحراء ليبيا ، حيث واصل السنوسيون نضالهم فى المناطق الداخلية باقليم برقة إلى أن تم القضاء على مقاومتهم سنة ١٩٢٨ .

ونشير إلى أن المعاهدة المبرمة سنة ١٩١٢ بشأن تقسيم مراكش بين كل من فرنسا واسبانيا ، كانت تتضمن نصاً يقضى بتدويل طنجه . ومع

ذلك فقد انتهكت اسبانيا هـذا الالتزام بمجـرد اندلاع الحرب العالمية الأولى . ولكن تم تعديل هـذا الوضع فى سنة ١٩٢٤ ، واعلنت طنجـه منطقة دولية مرة اخرى وبصفة فعلية .



عصا أفريقية محلاة بالزخارف . كانت
تستخدم فى بعض الطقوس المتعلقة
بالسحر .
من معروضات المتحف القومى
بكوبنهاجن بالدنمارك .


اسبانية
مراكش
الجزائر
فرنسية
تونس
المغرب
تركيا
ايران
اسرائيل
مصر
بريطانية
ليبيا
فرنسية
الكنارى
الصحراء
الاسبانية
افريقيا الغربية الفرنسية
بريطانية
نيجيريا
بريطانية
السودان
اريتريا
اثيوبيا
بريطانية
سيراليون
ليبيريا
بريطانية
ساحل الذهب
بلجيكية
الكونغو
رواندا
بوروندي
كينيا
زنجبار
برتغالية
انجولا
جزر القمر
فرنسية
مدغشقر
جنوب غرب افريقيا
اتحاد جنوب افريقيا
سوازيلاند
بريطانية
باسوتولاند
الجزر والمناطق
برتغالية
اسبانية
بريطانية
فرنسية
سنة ١٩٥٠م

سنة ١٩٥٠

فى سنة ١٩٣٥ ، صمم الدكتاتور الفاشيستى موسولينى الذى كان يحكم إيطاليا آنئذ ، على أن يمحو من الأذهان الذكرى المؤلمة لهزيمة الايطاليين فى منطقة عدوهAdowaبالحبشة . لذلك فقد قامت القوات الايطالية فى تلك السنة بغزو الحبشة مرة أخرى . وقد استغل الايطاليون هذه المرة جبروت الفاشية ، واستعملوا غاز الخردل السام فى عملياتهم الحربية . وفى سنة ١٩٣٦ انكسرت مقاومة الحبشة وخضعت تماماً للسيطرة الايطالية .

وبعد نحو اربع سنوات من ذلك ، بدأت المانيا معارك الحرب العالمية الثانية ، ووقفت إيطاليا إلى جانبها [المحور] . وانتهزت هذه الفرصة ، وحققت احلامها باحتلال كل مناطق القرن الافريقى وطرد البريطانيين من الاقليم الذى كانوا يحتلونه من الصومال .

ولكن معاقبة ايطاليا على هذا الفعل لم تتأخر كثيرا . ففى سنة ١٩٤١ هزمت بريطانيا كل القوات الايطالية بمناطق شرق افريقيا . وفى سنة ١٩٤٣ قامت الجيوش البريطانية بطرد الايطاليين من ليبيا ، بالرغم من المساندة الفعالة التى وفرتها الجيوش الألمانية التى اشتركت إلى جانب ايطاليا فى تلك المعركة . وبالرغم من ذلك فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، لم يكتسب الوجود البريطانى فى افريقيا أية قوة جديدة .

بل على العكس ، فقد أصبح الوجود البريطانى مهدداً بالزوال بفضل التصاعد المستمر للمشاعر الوطنية فى كل من الهند ومصر . وفى سنة ١٩٤٧ قبلت بريطانيا على مضض الخضوع لتلك المشاعر الوطنية بعد أن تيقنت من أن من المستحيل عليها أن تستمر فى احتلال هاتين الدولتين ، فخرجت نهائيا من الهند ، واعترفت باستقلالها ، كما خرجت من المناطق الداخلية بمصر ، ولكنها أصرت على الاحتفاظ بقواتها فى منطقة قناة السويس ، ولو على سبيل الاحتفاظ بمظهر عقيم للافكار الاستراتيجية التى عفى عليها الزمن ، إذ ما فائدة الاحتفاظ بقناة السويس بعد أن ضاعت منها الهند ؟ . . ولم يقتنع البريطانيون بعقم هذا الاصرار حتى أجبرهم المصريون على الجلاء من بلادهم .

كذلك فقد زال النفوذ البريطانى عن جنوب افريقيا . ففى انتخابات ١٩٤٨ ، فاز حزب البوير الوطنى بأغلبية المقاعد فى البرلمان ، وأصبح بالتالى قادراً على تنفيذ سياسة التمييز العنصرى ، واستبعاد الأغلبية السوداء التى تعيش داخل اتحاد جنوب افريقيا من أن يكون لها أى تأثير مباشر فى الاوضاع السياسية والاقتصادية .

والجزء المظلل بهذه الخريطة ، يوضح المناطق التى تسيطر عليها حكومة اتحاد جنوب افريقيا وتطبق فيها هذه السياسة . كما يوضح الاقليمين اللذين ما زالا تحت الحكم الاستعمارى البريطانى فى تلك الفترة وهما : سوازيلاندSwazilandوباسوتولاندBasutoland

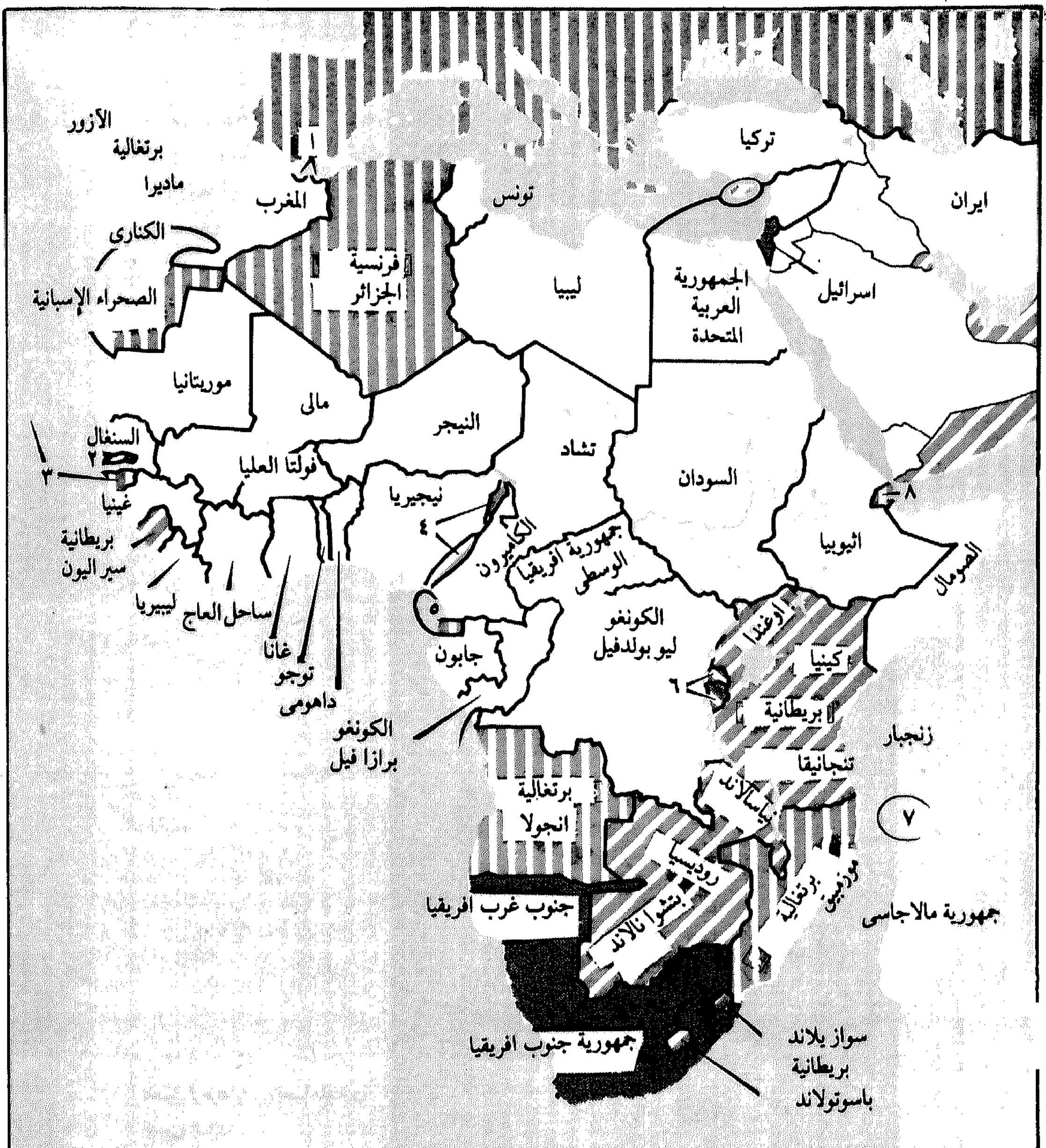
كذلك فقد قامت بريطانيا بإعداد كل من ليبيا والصومال للاستقلال مستقبلا . وحاولت تعديل الحدود لصالح الصومال بأن ناشدت الاثيوبيين [وهو الاسم الذى أصبح الاحباش يفضلونه رسميا] بأن يتخلوا عن

اوجادين Ogaden ، وهو اقليم صحراوى مجدب ولا قيمة له إلا بالنسبة للقبائل الصومالية القليلة التى تعيش فيه . ولكن الاثيوبيين لم يقبلوا ذلك .

أما الاريتريون فقد كانوا يطمحون إلى الحصول على استقلالهم ، ولكنهم وجدوا أنفسهم ـ سنة ١٩٥٢ ـ مضطرين إلى الدخول فى اتحاد مع اثيوبيا ، سواء أكانوا يقبلون هذا الوضع الجديد أم يرفضونه على الاطلاق .



تفصيل لزخرفة رأس العصا المبينة في
الصورة السابقة .
من معروضات المتحف
القومي بكوبنهاجن بالدنمارك



الجزر والمناطق المستعمرة

١ – اسبانية سبته ومليلة
٢ – بريطانية جامبيا
٣ – برتغالية غينيا وجزر الرأس الأخضر
٤ – بريطانية الكاميرون
٥ – اسبانية فرناندو بو وريوموف
٦ – بلجيكية رواندا وبوروندى
٧ – فرنسية جزر القمر
٨ – فرنسية الصومال الفرنسى

سنة ١٩٦٠م

سنة ١٩٦٠

فى فترة الخمسينيات ، ازدادت عمليات زوال النفوذ الاستعمارى عن كثير من المناطق والدول الافريقية . ففى سنة ١٩٥١ خرجت بريطانيا من ليبيا . وفى سنة ١٩٥٦ خرجت من السودان وأجلت قواتها عن قاعدة قناة السويس . وفى نفس السنة ، انسحبت فرنسا من تونس ، كما انسحبت من مراكش هى واسبانيا .

وكانت الجزائر أقل حظا حيث كان يعيش فيها نحو مليون من المستوطنين البيض الذين تمسكوا بقوة بمطالبة الحكومة الفرنسية تنفيذ تعهدها غير الواقعى السابق بادماج الجزائر فى فرنسا باعتبارها أرضا فرنسية . وفى سنة ١٩٥٤ نشبت الحرب بين القوات الفرنسية المحتلة وبين ثوار جبهة التحرير الجزائرية Algerian Liberation Front الذين اكتسبوا التأييد والمساندة من جانب اغلبية الدول الاسلامية ، كما اكتسبوا تعاطف كل المجتمعات الدولية بصفة عامة .

وقد حدثت محاولات قليلة الأهمية من جانب القوى الاستعمارية لارجاع التاريخ إلى الوراء . ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل فى نهاية عام ١٩٥٦ ، وهناك بعض الوقائع والأحداث السياسية التى قد تعتبر خارجة عن نطاق القارة الافريقية ولكنها مع ذلك أدت دورها فى التأثير على الأوضاع السياسية الافريقية . من أهم تلك الوقائع والأحداث مساندة الولايات المتحدة الأمريكية لاسرائيل ، والحرب الباردة التى كانت لم تزل ناشبة بين امريكا وروسيا ، وتدهور العلاقات المصرية الأمريكية ، واعلان امريكا قطع معوناتها عن مصر ، واعلان مصر تأميم شركة قناة السويس .

ولم تكن الولايات المتحدة الامريكية من المساهمين فى تلك الشركة ، ولكن انجلترا وفرنسا وهما من أصحاب أكبر حصص الاسهم ، تآمرتا مع اسرائيل لكى تشن حرباً خاطفة ضد مصر ، يتخذها البريطانيون والفرنسيون ذريعة للتدخل « لاقرار النظام » . وهى نفس الحجة التى قيلت فى الأيام الماضية سنة ١٨٨١ م .

غير أن هذه الحيل الاستعمارية العتيقة لم تعد مقبولة الآن . وأدان الرأى العام الدولى هذا العدوان الثلاثى السافر والذى قدر له الفشل حتى قبل أن يبدأ . لقد انتهى الآن تماماً عصر الاستعمار الصريح الذى كان يكشف عن وجهه سافراً ومعتمداً على استخدام الأساطيل الحربية .

أما افريقيا السوداء فقد كان من المفترض ان يتأخر استقلالها قليلاً بعد حصول الدول العربية على استقلالها فى مناطق شمال افريقيا . ومع ذلك فقد هبت رياح التغيير بسرعة على معظم المناطق التى كانت داخلة ضمن نفوذ الامبراطوريات القديمة . وفى سنة ١٩٦٠ كان عدد الدول الافريقية الجديدة المستقلة بمناطق جنوب الصحراء الكبرى يكاد أن يتساوى مع عدد المستعمرات التقليدية التى ما زالت قائمة .

وكانت أول دولتين حصلتا على الاستقلال هما : ساحل الذهب [التى سميت دولة غاناGhana] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٧ ، وغينيا الفرنسية [التى سميت دولة غينياGuina] وقد حصلت على استقلالها سنة ١٩٥٨ .

وفى سنة ١٩٦٠ حصلت نيچيريا على

استقلالها عن بريطانيا ، وهى اكبر دولة افريقية من ناحية تعداد السكان . كما انسحبت فرنسا كلية من جميع المناطق التى كانت تحتلها فى افريقيا السوداء واعترفت بكل دولة على حدة من الدول التى كانت مندمجة فى كتلة سياسية وادارية واحدة .

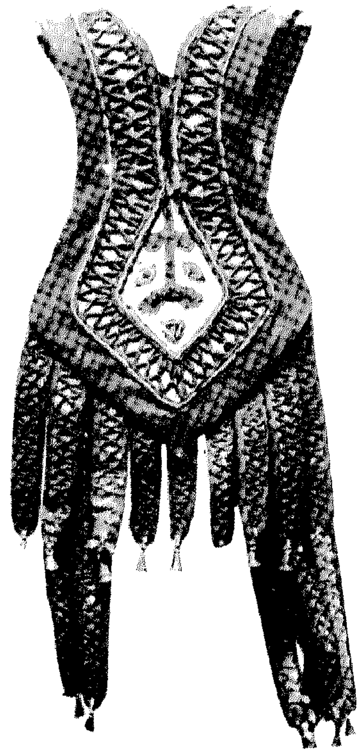
ففى الكتلة التى كانت معروفة من قبل باسم افريقيا الغربية الفرنسية ، استقلت دول عديدة هى : موريتانيا ، والسودان الفرنسى التى سميت مالى ، والنيجر ، والسنغال وڤولتا العليا ، وساحل العاج ، وتوجو ، وداهومى .

ومن الكتلة التى كانت معروفة باسم افريقيا الاستوائية الفرنسية استقلت دول اخرى هى : تشاد ، وأوبانجى شارى Ubangi_ Shari التى سميت جمهورية افريقيا الوسطى ، والكاميرون ، وجابون ، والكونغو .

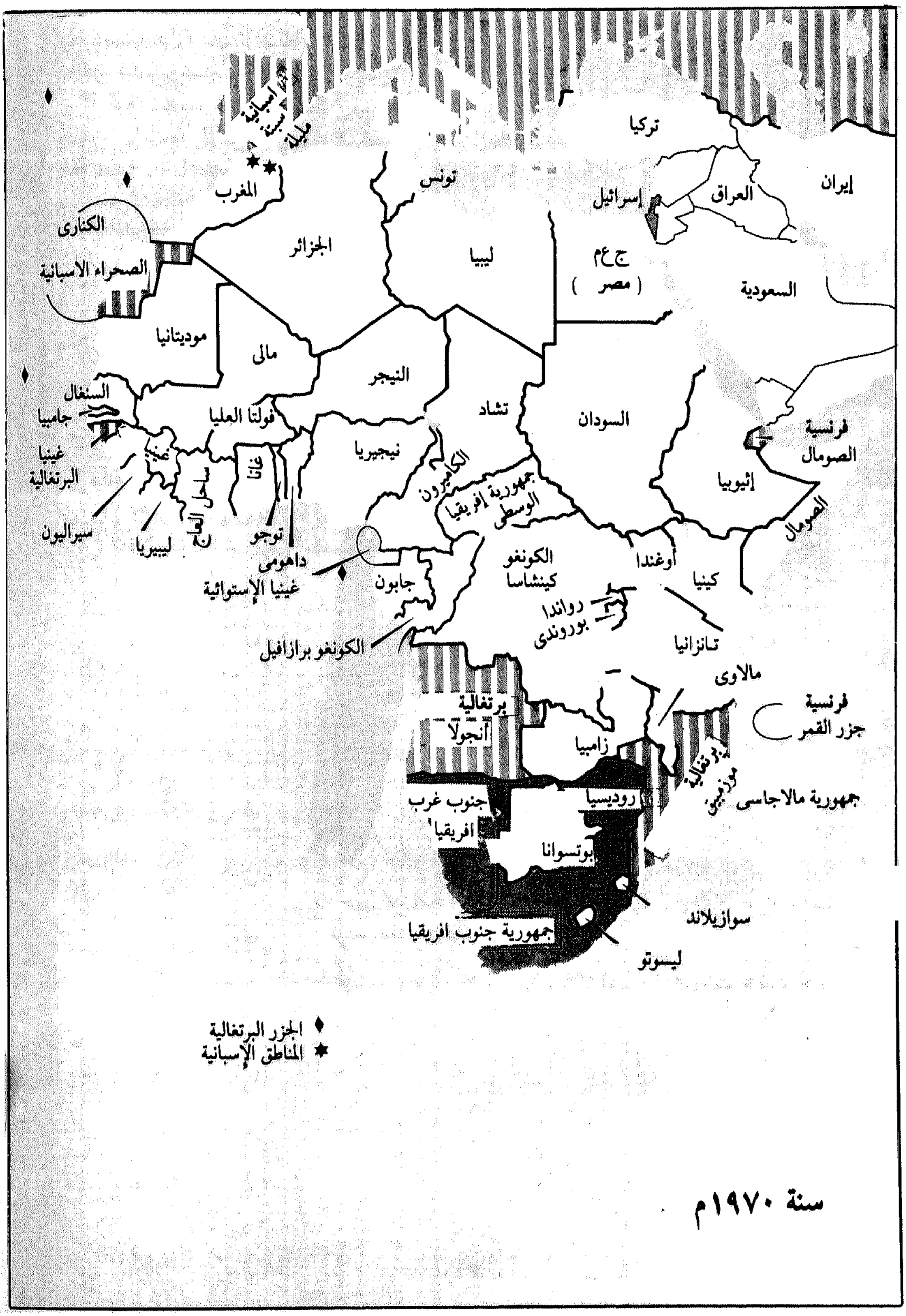
كذلك فقد انسحب البلچيكيون من الكونغو البلچيكى ، وانسحبت بريطانيا وايطاليا من قسمى الصومال [وقد سمحت هيئة الأمم المتحدة للايطاليين بالعودة إلى الصومال الإيطالى لاعداده وتجهيزه ليوم الاستقلال] . كذلك فقد انسحب الفرنسيون من جزيرة مدغشقر وسميت دولتها باسم جمهورية مالا جاسى Malagsy .

ويلاحظ أن دولتى الكونغو السابقتين : الكونغو الفرنسى والكونغو البلجيكى ، قد ميزتا نفسيهما بأن أطلقت كل واحدة منهما إسم عاصمتها مقرونا باسمها .

ويلاحظ كذلك حدوث تغيير فى اسم مصر ، فبعد طرد الملك فاروق بقيام الثورة التى قادها ضباط الجيش المصرى [سنة ١٩٥٢] ، اندمجت مصر مع سوريا [سنة ١٩٥٨] فى دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة .



رداء حربي كان يستخدمه محاربو بنين القدماء .
من معروضات المتحف البريطاني بلندن .



تركيا
إيران
العراق
إسرائيل
تونس
المغرب
الكنارى
الصحراء الاسبانية
الجزائر
ليبيا
ج ع م
(مصر)
السعودية
موريتانيا
مالى
النيجر
تشاد
السودان
السنغال
جامبيا
فولتا العليا
غينيا
البرتغالية
غانا
نيجيريا
الكاميرون
جمهورية افريقيا
الوسطى
فرنسية
الصومال
إثيوبيا
الصومال
سيراليون
ليبيريا
توجو
داهومى
غينيا الإستوائية
جابون
الكونغو
كينشاسا
أوغندا
كينيا
رواندا
بوروندى
تانزانيا
الكونغو برازافيل
مالاوى
فرنسية
جزر القمر
برتغالية
أنجولا
زامبيا
جمهورية مالاجاسى
روديسيا
جنوب غرب
افريقيا
بوتسوانا
سوازيلاند
جمهورية جنوب افريقيا
ليسوتو
الجزر البرتغالية
المناطق الإسبانية

سنة ١٩٧٠م

سنة ١٩٧٠

فى السنوات الأولى من فترة الستينات ، استمرت عملية زوال النفوذ الاستعمارى عن الدول والمناطق الافريقية بلا مشاكل . ففى سنة ١٩٦١ انسحبت بريطانيا من سيراليون ، وتنجانيقا ، ومن الشريط الذى كانت تحتله فى منطقة الكاميرون .

[وقد اختار الأهالى الذين كانوا يسكنون النصف الشمالى من هذا الشريط أن ينضموا إلى دولة نيچيريا . أما الأهالى الذين كانوا يسكنون النصف الجنوبى من هذا الشريط ، فقد اختاروا الانضمام إلى دولة الكاميرون] .

وفى سنة ١٩٦٢ انسحبت بريطانيا كذلك من أوغندا . وفى سنة ١٩٦٣ انسحبت من كينيا وزنجبار . وفى سنة ١٩٦٤ انسحبت من زامبياZambia [روديسيا الشمالية سابقا] ، ومن مالاوىMalawi [نياسالاند سابقا] . وفى سنة ١٩٦٥ انسحبت من جامبيا .

وهنا بدأت المشاكل بالنسبة لدولة روديسيا [روديسيا الجنوبية سابقا] . فقد كان هناك نحو ربع مليون من المستوطنين البريطانيين البيض يقيمون فى روديسيا بصفة دائمة ، وكان مثل هذا العدد من المستوطنين البيض كافياً لاقامة نظام عنصرى على غرار النظام المطبق فى جنوب افريقيا . وفى سنة ١٩٦٥ أعلن هؤلاء المستوطنون استقلالهم من تلقاء أنفسهم ، وانشأوا حكومة عنصرية بيضاء تتحكم فى الدولة بما فى ذلك الملايين الستة من الأهالى السود .

وقد رفضت بريطانيا استخدام القوة المسلحة ضد المستوطنين البيض . واكتفت بفرض بعض العقوبات الاقتصادية ، إلا أن هذه المحاولة قد أخفقت . وبهذا نجحت روديسيا — ولو إلى حين — فى اقرار النظام العنصرى ، والانضمام إلى جبهة جنوب افريقيا .

وعلى جانبى تلك الجبهة العنصرية التى تتكون من روديسيا وجنوب افريقيا ، تقع المنطقتان اللتان كانت تسيطر عليهما البرتغال : موزمبيق فى الشرق ، وانجولا فى الغرب . وقد أعلن البرتغاليون أنهم لن يخرجوا أبداً من اى من هاتين المنطقتين .

كذلك فقد كانت هناك ثلاث مناطق تقع داخل حدود تلك الجبهة ، وكانت تابعة للاستعمار البريطانى . وفى سنة ١٩٦٦ منحت بريطانيا الاستقلال لكل من بتسوانا Botswana [بتشوانا لاند سابقا] ، وليسوتو Lesotho [باسوتولاند سابقا] . وفى سنة ١٩٧٨ حصلت سوازيلاند Swaziland على استقلالها . أما منطقة جنوب غرب افريقيا ، فقد استمرت تحت حكم إنتداب جنوب افريقيا [وكانت هذه المنطقة قد وضعت تحت انتداب اتحاد جنوب افريقيا بقرار صادر من عصبة الأمم القديمة . وقد وافقت هيئة الأمم المتحدة على مضض على استمرار هذا الإنتداب بقرار صدر سنة ١٩٦٦] .

وفى سنة ١٩٦٢ استسلمت فرنسا أخيراً للأمر الواقع وخرجت من الجزائر بعد حرب استمرت ثمان سنوات . وخرجت بلچيكا من رواندا وبورندى .

وفى سنة ١٩٦٩ أعادت اسبانيا منطقة إفنى Ifni إلى المغرب . كما أنشأت دولة جديدة أصبحت تعرف باسم غينيا الاستوائية -Equato

rial Guinea وتتكون من جزيرة فرنـاندو بـو والمستعمرة القريبة منها والواقعة بأرض الساحل والتى كـانت تسمى مستعمـرة ريـو مـونى Rio Muni . [سنة ١٩٦٨] .

وبمجرد انتهاء عصر الاستعمار فى افريقيا ، عادت إلى الظهور بعض الأسر المـالكة القـديمة لتصبح على رأس نـظام الحكم فى بعض الدول المستقلة الجديدة . وانجح نموذج للأسر المـالكة الافريقية كان فى المغرب التى مازلت تتبع النظام الملكى حتى اليوم . وذلك على عكس ما حدث بالنسبة للأسرة المالكة فى جزيرة زنجبار . فبعد اسبوعين فقط من حصولها على استقلالها ، قامت جماعة ثـورية تمثـل الأغلبية السـوداء من أهالى الجزيـرة الأصليـين بـالاطـاحـة بـالسلطان ، واستـولت عـلى الحكـومـة ، وطـالبت فـوراً بالانضمام إلى تنجانيقا التى قبلت هذا الاتحاد مع زنجبار ، واطلقت اسم تانزانيا Tanzania على هذا الاتحاد الجديد .

وقـد حقق هذا الاتحـاد نجـاحـاً كبيـراً ، واستمر قائماً دون حدوث اية مشاكل ، وكان فى صالح قسمى الاتحـاد معاً . وذلـك على عكس ما حدث بالنسبة للوحدة التى تمت بين كـل من مصر وسوريـا فى سنة ١٩٥٨ ، حيث انفصلت سـوريا سنـة ١٩٦١ ، ومع ذلـك فقد استبقت مصر اسم الجمهورية العربية المتحدة .

ooo

وفى سنة ١٩٧٠ ، كانت قد مرت نحو عشر سنوات على استقلال معظم الدول الافريقية . وهى فترة كافية لاستنتاج أن نظم الحكم فى هذه الدول لم تنتهج النظام البرلمانى الذى أوصاهم به المستعمرون الأوربيون قبل أن يرحلوا . فبالنسبة للدول التى كانت توجد بها تـنظيمات سيـاسية كـافحت من أجل الحصـول على الاستقـلال ، أصبح رئيس أى من هذه التنظيمات أو الأحزاب السياسية رئيساً للدولة بمجرد اعلان الاستقلال . كما أصبح الحزب الذى يرأسه هو القوة السياسية الوحيدة فى الدولة . وذلك مثلما حدث فى غـانا فـور استقلالهـا ، حيث أعلن كوامى نكـروما Kwame Nkrumah رئيساً للدولة ، بـاعتباره رئيساً لحزب المؤتمر الشعبى الذى أسسه فى فترة ما قبل الاستقلال .

وفى الحالات التى كان يفشل فيها السياسيون الافريقيون فى ادارة وتنظيم حكومة مقبولة ، كان العسكريون يستولون على نظام الحكم على أمل انشاء هذه الحكومة . ولعل أوضح الأمثلة على ذلـك ما حـدث فى الكونغـو البلچيكى . فقـد انسحب البلچيكيون منه قبل أن يتوقـع أحد ، وتركوا البلاد تعانى فوضى شاملة إلى أن استولى الجنرال موبـوتو Mobutu عـلى الحكم فى سنة ١٩٦٥ . وبالرغم من أن حكم موبوتو قد واجه كثيراً من المشاكل إلا انه مازام قائماً ومستقراً حتى اليوم .

وهناك كثير من السياسيين المـدنيين الـذين رأسـوا بلادهم فـور استقلالهـا ، واستمروا فى الحكم فترة طويلة ، حتى أصبح من الصعب آنئذ تصـور البـلاد بـدونهم . ونـذكـر منهم الحبيب بورقيبه فى تونس ، وليوبولد سنغور فى السنغال ، وسيكـوتورى فى غينيـا كـونـاكـرى ، وفليكس هوفويه بوانيه فى ساحل العاج ، وأحمدو أهيدچو فى الكـاميرون . وذلـك بـالاضـافـة إلى الآبـاء المؤسسين الذين ترأسوا بلادهم فور استقـلالها واستمر حكمهم لفترات طويلة خصوصاً فى دول شرق افريقيـا . ونذكـر منهم جومـو كينياتـا فى كينيا ، وچوليوس نيريرى فى تانـزانيا ، وكينيث كواندا فى زامبيا ، وهاستنجس باندا فى مالاوى .

أما بالنسبة للرجال العسكريين الذين ترأسوا

الـدول الإفريقيـة المستقلة ، فقـد تفـاوتت أقدارهم . فقد انشأ بعضهم نظام حكم قـوياً استمر لمدة طويلة . وأوضح نموذج على ذلك نظام الحكم الذى ترأسه عبد الناصر فى مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢ . فقد استمـر عبد النـاصر رئيسـاً للبـلاد من سنـة ١٩٥٤ حتى وفـاتـه فى سنـة ١٩٧٠ .

وبالرغم من أن حكم عبد الناصر كان حكماً فردياً مطلقاً [أوتوقراطيا] ، فلا ينكر أحد مدى اخلاصه لشعبه ونجاحه فى توفير مستوى أفضل لحياة المصريين العاديين .

وعلى المستوى العالمى بصفة عامة ، وبالنسبة للعرب بصفة خاصة ، عاش عبد الناصر أزهى أيامه بعد مواجهته للعدوان الثلاثى [البريطانى الفرنسى الاسرائيلى] سنة ١٩٥٦ . فقـد واجه هذا العدوان بشجـاعة دوت سمعتهـا فى أرجاء العالم . ولكن على المدى الطويل ، وبسبب ظهور الكثير من الحركات التحرريـة فى مختلف انحاء العالم ، استنزفت مصر مواردها فى تدعيم هـذه الحركات ، فى الـوقت الذى كـانت فيه أحـوج ما تكون إلى هذه الموارد لاستثمارها فى التنميـة الداخلية .

وفى سنة ١٩٦٧ نشبت حرب جديدة بـين مصر واسرائيل التى اكتسحت الجيش المصرى فى ستة أيام ، تبينت فيها الهوة الواسعة بين تقدير عبد النـاصـر لقوة جيشـه ، والقوة الفعليـة التى كانت متاحة له فى تلك الأيام . وبعد موت عبد الناصر ، خلفه نائبه أنور السادات وكان أيضا من العسكريين . واتسم حكمه فى البداية بنظرة أكثر واقعية فى ادارة شئون البلاد . [ولقى مصرعه فى ٦ أكتوبر ١٩٨١] .

وعند موت عبد النـاصـر فى سنة ١٩٧٠ ، كانت هناك مجموعة من الحكومات الافريقية التى يرأسها عسكريون وتتبع نظام حكم مماثلا تقريباً لنظام حكمه . ففى سنـة ١٩٦٥ أطاح العقيـد هوارى بومدين ــ وهو عسكرى صارم ــ بأحمد بن بيلا رئيس الجزائر الذى كان من قبل رئيسا للجناح السياسى لجبهة التحرير الجزائرية .

ويبدو أن أغلبية الـدول العربيـة فى شمال افريقيا ، كانت ترى أن النـظم العسكريـة هى الاسلوب الصحيـح للحكم حتى يتبوأ العـرب مكانهم فى هذا العالم . وكان عام ١٩٦٩ هو عام انتشـار الانقلابـات العسكريـة . فقد استـولى العسكـريون عـلى زمام الحكم فى كـل من ليبيا والصومال والسودان [بالنسبـة للسودان لم تكن هذه هى المرة الأولى لاستيلاء العسكريـين على السلطة] .

فى ليبيـا عزل العقيـد معمر القـذافى الملك السنوسى الذى نصبه البريطانيون على عرش ليبيا منـذ سنة ١٩٥١ . وادعى القـذافى لنفسه حق الدعوة إلى انشاء دولة اسلامية كبرى تضم الدول الاسلامية المعاصرة . واستغل القذافى موارد ليبيا وعائداتها من البترول فى تكريس هذه الـدعوة . ولكن كـان من الواضـح ان دعوتـه هذه لم تلق التأييد حتى من جيران ليبيا من الـدول العربيـة المجاورة الذين رأوا أن مثل هذه الدعوة أصبحت لا تناسب الأوضاع السائدة فى القرن العشرين . وقـد رفضت مصر [سنـة ١٩٧٣] ، وتـونس [سنة ١٩٧٤] العرض الـذى قدمـه القـذافى للوحدة مع كل منهما .

أما اللواء جعفر النميرى رئيس السودان فى ذلك الوقت(١) فقد كان يواجه وضعـا مختلفا . فالسودان مثله فى ذلك مثل دول السـاحل العشبى بجنوب الصحراء كان مستقطبا لكل من عـرب الشمال والافريقيين السود فى الجنوب . وعندما تـولى النميرى دفـة الحكم ، كـان العـداء بـين

---

(١) عزل من الحكم فى ابريل ١٩٨٥

الشمال والجنوب قد تصاعد بينهما حتى وصل إلى مرحلة الحرب السافرة ، حيث أصر الجنوبيون على الحصول على الاستقلال الكامل عن الخرطوم . وقد أعلن النميرى منح الجنوب نوعاً من الحكم الذاتى . وكان ذلك قراراً سياسياً حكيماً يناسب الأوضاع والظروف القائمة ، ووضع حداً للحرب الأهلية ، ونجح فى تحقيق المصالحة الوطنية .

أما العسكريون الذين استولوا على نظم الحكم فى دول افريقيا السوداء ، فلم يحققوا لدولهم أى نجاح ، كما لم يصل أى منهم إلى مكانة بين بنى وطنه تماثل المكانة التى وصل إليها الحكام المدنيين مثل كينياتا ونيريرى وكواندا وباندا . وربما يرجع ذلك إلى أن نظام الحكم المدنى لم يفقد بريقه بين شعوب تلك الدول على عكس الوضع بين شعوب شمال القارة . وبهذا يمكن تفسير الوضع الذى حدث فى غانا عندما استولى العسكريون على الحكم وازاحوا كوامى نكروما سنة ١٩٦٦ . فقد أعلن القادة العسكريون أن حكومتهم حكومة انتقالية مؤقتة ، وانهم سيعيدون الحكم للمدنيين بمجرد حل واصلاح الكوارث الاقتصادية التى سببها نكروما بتبذيره . ومن المدهش أن قادة الجيش الغانى قد أوفوا بوعدهم ، واعادوا الحكم إلى المدنيين فى سنة ١٩٦٩ .

وكذلك الحال بالنسبة لنيچيريا . فعندما استولى العسكريون على الحكم سنة ١٩٦٦ ، أعلنوا أنهم سيعيدونه للمدنيين بمجرد قيامهم باقرار النظام فى الدولة . ولكن نيچيريا كانت تعانى وقتئذ كثيراً من مشاكلها الخاصة . فقد نشبت حرب أهليه استمرت من سنة ١٩٦٧ حتى سنة ١٩٧٠ ، بسبب انسحاب قبائل الإيبو Ibo من الدولة ، وانشائهم دولة خاصة بهم سموها بيافرا Biafra . وبالرغم من أن هذه الدولة قد حصلت على الاعتراف الدبلوماسى من العديد من الدول الافريقية الأخرى ، فقد تم القضاء عليها نهائيا . ثم قامت الحكومة الاتحادية [العسكرية] بتقسيم نيچيريا إلى وحدات إدارية صغيرة ، تقف كلها على قدم المساواة ، الأمر الذى يصعب معه حدوث مثل هذا الانقسام مرة أخرى .

وإذا وضعنا فى الاعتبار أن رسم الحدود بين الدول الافريقية قد تم فى الأصل بمعرفة القوى الاستعمارية التى رسمت هذه الحدود بما كان يلائم مصالحها ، فلم يكن من الغريب إذن أن معظم الدول الافريقية الجديدة قد عانت الكثير من المتاعب والصعوبات للاحتفاظ بوحدة ترابها . فمعظم هذه الدول كان يشغل بالفعل مساحات اقليمية اوسع كثيراً من حدود المساحات أو الأقاليم التى تشغلها القبائل المحلية . كما أن بعض هذه الدول ـ مثل السودان ونيچيريا ـ كانت تتكون من شعوب مختلفة عرقياً وعقائدياً وتاريخيا .

ومع ذلك فمن الملاحظ أن الحركات الانفصالية لم تحقق حتى الآن أى نجاح ، حتى فى زائير [الكونغو كينشاسا] نفسها ، وهى دولة مترامية الأطراف وتشغل مساحات واسعة . وعندما خرج منها البلچيكيون ، تركوها دون أى نوع من التمهيد الادارى الذى كان يمكن أن يساعد على اقرار النظام ، الأمر الذى أدى إلى حدوث القلاقل والاضطرابات فى السنوات الأولى التالية على الاستقلال . وحتى تتمكن زائير من السيطرة على تماسك الأقاليم التابعة لها ، اضطرت إلى الاستعانة بقوات عسكرية أوربية بين حين وآخر . رغم أن هذا الاجراء لم يلق ترحيباً من الدول الافريقية الأخرى ، ولم يكن لائقاً بكرامة الحكومة الزائيرية نفسها . ومع ذلك فقد كانت هذه هى الوسيلة الوحيدة أمام تلك

الحكومة للاحتفاظ بالأمر الواقع داخل حدود الدولة .

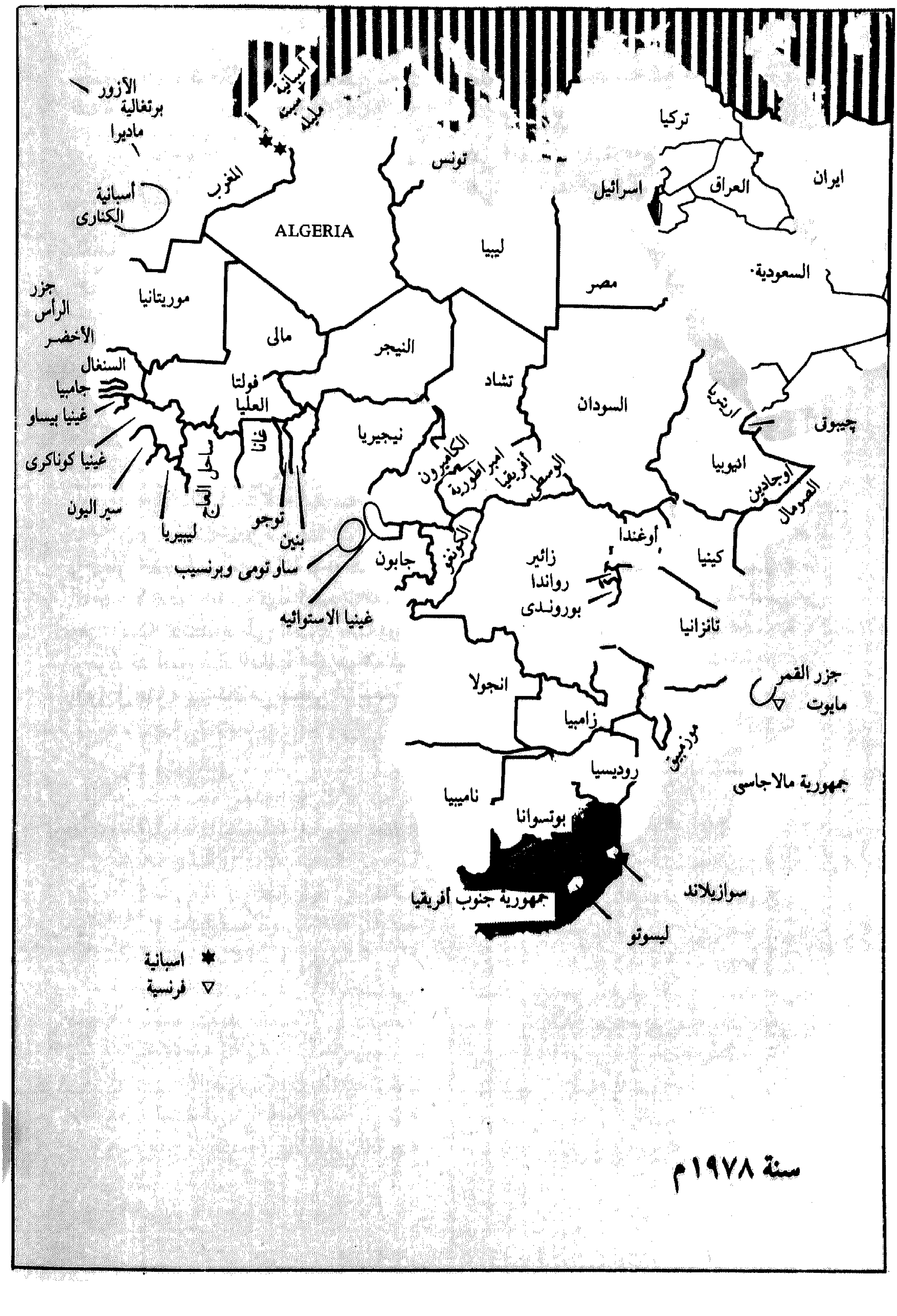
ومن الملاحظ أن معظم الافريقيين يقبلون النتائج التى تؤدى إليها الحركات الانفصالية . وذلك على أساس أن القارة لديها مشاكلها الخاصة الكافية ، ولا ينقصها أن ينشأ النزاع والشجار على مناطق الحدود بين دولها .

ومع ذلك فإن مشاكل الحدود بين الدول الافريقية تعتبر قليلة للغاية ويمكن عدها على أصابع اليد الواحدة . وبطبيعة الحال فإن بعضاً من هذه الدول تخرج خاسرة من تلك المشاكل ، ومع ذلك فإن « منظمة الوحدة الافريقية » تصدق غالباً على نتائج هذه المشاكل .

ولعل أهم مشكلتين من هذا النوع حدثتا فى توجو والصومال . أما مشكلة توجو فتتمثل فى أن جزءاً لا يستهان به من قبيلة الإيوى Ewe — وهى القبيلة الأساسية التى تتكون منها دولة توجو — قد أدمج منذ اعقاب الحرب العالمية الأولى فى غانا ، بينما كان من المنطقى أن يدمج فى دولة توجو .

أما مشكلة الصومال فتعتبر أكثر تعقيداً . ففى أعقاب نهاية العصر الاستعمارى فى افريقيا ، وجد الصوماليون أنفسهم مشتتين بين خمسة نظم سياسية هى : الصومال الفرنسى ، والصومال البريطانى ، والصومال الايطالى ، واقليم أوجادين فى اثيوبيا ، ومنطقة الحدود الشمالية لدولة كينيا .

أما جمهورية الصومال المستقلة [والتى تتكون من الصومال البريطانى والصومال الايطالى سابقا] فقد اختارت رمزاً للأقاليم الخمسة التى كان يجب أن تتكون منها . ويتمثل هذا الرمز فى النجمة الخماسية الأطراف التى تتوسط العلم الصومالى . وليس من المتوقع أن ينضم الصومال الفرنسى إلى هذه الجمهورية فى يوم ما . أما الاقليمان الآخران اللذان يتكلم اهلهما اللغة الصومالية فى كل من اثيوبيا وكينيا ، فليس من المتوقع انضمامها إلى الجمهورية الجديدة إلا باستخدام الحرب . وقد بدأت هذه الحرب فعلاً فى اقليم أوجادين سنة ١٩٦٤ .


الآزور
برتغالية
ماديرا
أسبانية
الكنارى
المغرب
ALGERIA
تونس
ليبيا
مصر
تركيا
اسرائيل
العراق
ايران
السعودية
موريتانيا
جزر
الرأس
الأخضر
السنغال
جامبيا
غينيا بيساو
غينيا كوناكرى
سير اليون
ليبيريا
مالى
النيجر
فولتا
العليا
غانا
توجو
بنين
نيجيريا
تشاد
السودان
ايثيوبيا
چيبوتى
أوجادين
الصومال
كينيا
أوغندا
زائير
رواندا
بوروندى
تانزانيا
جابون
الكونغو
ساوتومى وبرنسيب
غينيا الاستوائيه
انجولا
زامبيا
موزمبيق
روديسيا
ناميبيا
بوتسوانا
جمهورية جنوب أفريقيا
سوازيلاند
ليسوتو
جزر القمر
مايوت
جمهورية مالاجاسى
اسبانية
فرنسية
سنة ١٩٧٨م

سنة ١٩٧٨

فى الستينات تمسك البرتغاليون بمبدأ التصميم على عدم مغادرة المناطق التى يحتلونها فى افريقيا . وذلك فى عهد الحاكم الرجعى سالازار . ولكن فى سنة ١٩٧٠ ، وبعد أربع سنوات من موت سالازار ، قامت ثورة فى البرتغال نظرت إلى هذا الأمر من وجهة نظر جديدة فقد خشيت البرتغال فى عهدها الجديد من الثورات العنيفة التى اشتعل أوارها فى داخل المناطق الأفريقية التى تحتلها ولهذا قررت الحكومة البرتغالية الجديدة أن تنسحب من افريقيا كلية وعلى الفور .

وخلال عامى ١٩٧٤ - ١٩٧٥ ، انسحب نحو ثلاثة أرباع المليون من المستوطنين البرتغاليين وعادوا إلى وطنهم . وبالتالى فقد استقلت كل من انجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية ، التى عرفت باسم غينيا بيساو Guinea Bissau كما استقلت أيضا جزر رأس ڤيرد (جزر الرأس الأخضر) ، وساو تومى وبرنسيب . وفى انجولا حدث نزاع ـ من أجل السيطرة عليها ـ بين ثلاث من الحركات السياسية التى كانت تكافح من أجل استقلالها ، إلى أن سيطرت عليها الجماعة الماركسية التى يساندها الكوبيون . كما سيطر الماركسيون أيضا على موزمبيق .

وكان لانسحاب البرتغال من انجولا وموزمبيق تأثير بالغ على روديسيا ، إلى أن انتهى الأمر اخيراً فى عام ١٩٧٩ بخضوع المستوطنين البيض لحكم الأغلبية السوداء . وفى نهاية ذلك العام تغير اسم روديسيا وأصبحت تسمى زيمبابوى Zimbabwe . وقد تعرضت زيمبابوى إلى التدخل من جانب فرق حرب العصابات التى تنطلق من قواعدها فى كل من موزمبيق وزامبيا .

أما جنوب أفريقيا ، فقد ظلت بعناد الحصن الحصين لسياسة التمييز العنصرى ضد الأغلبية السوداء . وذلك بالرغم من أنها اضطرت فى سنة ١٩٧٩ إلى قبول استقلال جنوب غرب افريقيا ، حيث نشأت دولة جديدة أطلقت على نفسها اسم ناميبيا Namibia . ويشك كثير من المراقبين فى أن الدستور المقترح لتلك الدولة سيضمن استمرار البيض الذين لا يتجاوز عددهم ١٠٪ من اجمالى السكان فى السيطرة على ادارة دفة الحكم فى تلك الدولة .

ومن الملاحظ بصفة عامة أن بعض الدول الافريقية المتحررة ، لم تخلو من داء التنازع فيما بينها وعلى سبيل المثال نذكر النزاع الذى حدث بمنطقة الصحراء الاسبانية فى شمال غرب افريقيا . فقد اتفقت اسبانيا على تقسيم هذا الشريط الصحراوى الذى كانت تحتله بين كل من المغرب وموريتانيا . ولكن الجزائر عارضت هذا الوضع بشدة ، وقامت بمساندة وتدعيم إحدى الحركات المحلية التى تنادى باستقلال هذا الاقليم ، والتى تمارس حرب العصابات ضد القوات المحتلة .

ونشير كذلك إلى أن اتيوبيا قد حاقت بها المنازعات من جهتين . فقد بدأ الصوماليون زحفهم التدريجى للاستيلاء على أوجادين ، بينما ظهرت فى اريتريا بعض الجماعات السياسية التحررية التى أعلنت الكفاح فى سبيل الاستقلال عن اثيوبيا . وقد سيطرت هذه الجماعات بالفعل على المناطق الريفية بالاقليم ، بينما ظلت المدن الرئيسة تحت سيطرة الأثيوبيين .

وفى سنة ١٩٧٤ حدث فى اثيوبيا انقلاب عسكرى أطاح بالامبراطور هيلاسلاسى ، وكان من نتيجته سيطرة العسكريين الماركسيين على نظام الحكم . وقد ساندت روسيا هذا النظام وساعدته ضد الصوماليين . وقد نجح هذا النظام واستمر حتى الآن ، بينما فشل الماركسيون من الجماعات السياسية فى اقليم اريتريا (منتصف عام ١٩٧٨) .

ونشير كذلك إلى دولة تشاد التى تعانى الكثير من المشاكل ، حيث تدعى ليبيا ــ بل واحتلت ــ شريطا من أرضها فى حدودها الشمالية . كما أن بقية أقاليمها الصحراوية أصبحت تحت سيطرة حركة سياسية تحررية كونتها القبائل المحلية من الطوارق وتوبو .

كذلك فقد استمرت قائمة الانقلابات العسكرية فى الازدياد . وفى سنة ١٩٧١ استولى الجنرال عيدى أمين على نظام الحكم فى أوغندا ، كما استولى الجنرال أشيمبونج على نظام الحكم فى غانا . (ويلاحظ أن الجيش الغانى الذى قام بهذا الانقلاب قد وعد مرة أخرى بأنه سيعيد الحكم إلى المدنيين بمجرد أن ينتهى من اقرار النظام . أما الجنرال عيدى أمين فلم يعد بمثل ذلك ، بل ولم يكن يهتم بهذا الموضوع أصلاً) .

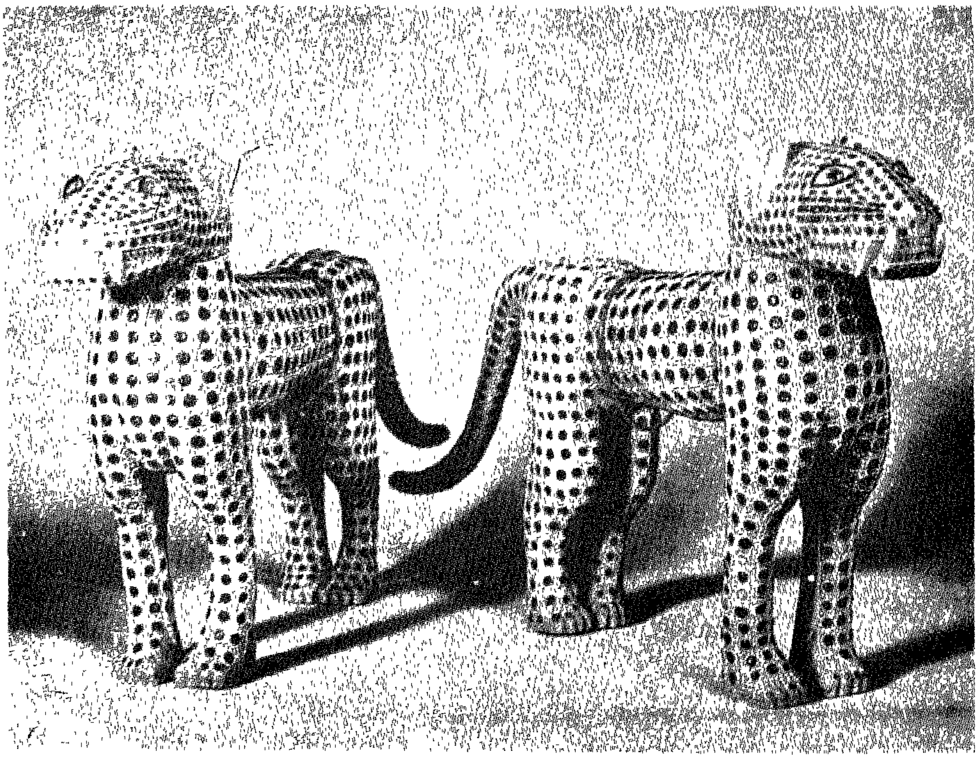
ثم توالت سلسلة الانقلابات العسكرية فى النيجر سنة ١٩٧٤ ، وفى تشاد سنة ١٩٧٥ ، وفى موريتانيا سنة ١٩٧٨ .

وفى سنة ١٩٧٥ اعلنت استقلالها ثلاث من الجزر المسلمة من مجموعة جزر القمر . أما الجزيرة الرابعة التى يسكنها المسيحيون (جزيرة مايوت) Mayotte فقد رفضت الانضمام إلى تلك الجزر المستقلة الثلاث ، واختارت استمرار الحالة القائمة باعتبارها محمية فرنسية .

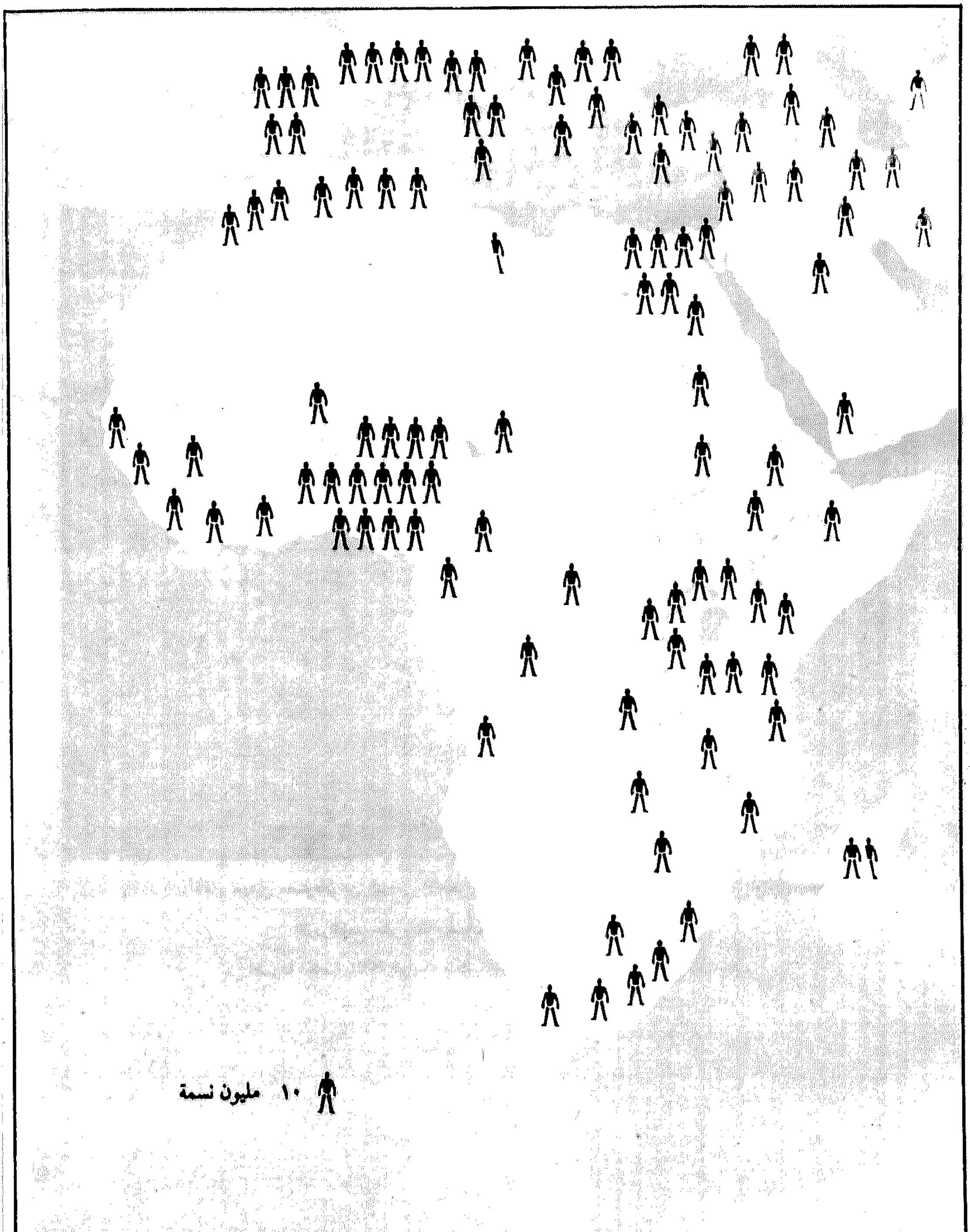
وفى سنة ١٩٧٧ حصل الصومال الفرنسى على الاستقلال ، واقيمت دولة جديدة هى جمهورية چيبوتى Djibouti (اسم المدينة الرئيسية فى هذا الإقليم) .

وكانت داهومى قد قامت بتغيير اسمها إلى بنين Benin فى سنة ١٩٧٥ . وهو اسم قد يؤدى إلى الخلط إذا وضعنا فى الاعتبار المكان الذى كانت توجد فيه امبراطورية بنين القديمة .

وفى سنة ١٩٧٧ قامت جمهورية افريقيا الوسطى بتغيير اسمها إلى امبراطورية افريقيا الوسطى .



تمثالان لفهدين مصنوعان من النحاس الأصفر المزخرف بالعاج والنحاس الأحمر يرجع تاريخها إلى
القرن التاسع عشر وكانا يوضعان على جانبي كرسي أحد ملوك بنين
من المجموعة الخاصة بالملكة إليزابيث ملكة انجلترا ومعروضان بالمتحف البريطاني بلندن .



التوزيع السكان سنة ٢٠٠٠ م

التوزيع السكانى سنة ٢٠٠٠

ما سوف يحدث من تغييرات فى الخريطة السياسية لافريقيا اعتباراً من وقتنا الحاضر حتى نهاية القرن العشرين ، يعتبر ضرباً من ضروب التخمين ، ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بشكل هذه الخريطة على سبيل اليقين . ومع ذلك فقد يكون من قبيل التنبؤ المعقول ، أن يصبح شكل الخريطة الديموجرافية (الخاصة بتوزيع السكان) على هذا النحو المبين بالخريطة المرسومة بالصفحة المقابلة .

وهذه الخريطة الأخيرة مماثلة للخريطة التى عرضناها سابقا والخاصة بتوزيع السكان فى افريقيا سنة ١٨٠٠م . مع فارق هام هو أن الاعداد المبينة فى خريطة سنة ١٨٠٠ ستزداد إلى عشرة أضعاف مما كانت عليه . وبمقارنة هاتين الخريطتين ، نلاحظ على الفور أن التعداد الاجمالى لسكان افريقيا فى سنة ١٨٠٠ (وكان يقدر بنحو ٧٠ مليون نسمة) سيصبح فى نهاية القرن نحو ٧٠٠ مليون نسمة الأمر الذى يعنى أن الأفريقيين قد تضاعفوا عشر مرات على مدى قرنين فقط من الزمان .

وبمقارنة الخريطتين سيتضح لنا أيضاً مدى التفاوت وعدم التوزان فى زيادة السكان المرتبطة بالاحوال الاقتصادية بين منطقتين افريقيتين فى أقصى شمال القارة وأقصى جنوبها . فمصر على سبيل المثال تعانى حالة من الانفجار السكانى تدفع المخططين إلى حالة من اليأس وفقدان الأمل ، فى حين أن جنوب افريقيا — وكانت تعتبر سنة ١٨٠٠م من الدول النامية — أصبحت الآن من اكثر مناطق القارة ازدهاراً من الناحية الاقتصادية .

أما المناطق التى احتفظت بمعدل النمو السكانى على نحو من الثبات ، فهى المناطق الفقيرة التى تعانى مشاكل القحط والجفاف فى الساحل الافريقى وفى القرن الافريقى .

ولا نشير فى هذه الخريطة إلى الاختلافات العرقية بين سكان افريقيا . ومع ذلك فلا يسعنا إلا أن نشير إلى التفاوت الواضح بين تعداد البيض وتعداد السود فى جنوب افريقيا . فطبقا للمعايير الحالية ، سيصل تعداد البيض فى نهاية هذا القرن إلى نحو ٦,٥ مليون مقابل ٣٥ مليون من السود ، بالاضافة إلى الجماعات الأخرى من الملونين والآسيويين والذين سيصل تعدادهم إلى نحو ٦ ملايين .

ومن هذا الاحصاء يتبين لنا أن نسبة البيض فى انخفاض مستمر ، فهى الآن تمثل نحو ١٧٪ من اجمالى السكان ، وكانت نحو ٢٢٪ فى الربع الأول من هذا القرن ، وستصل إلى نحو ١٣,٥٪ فقط فى نهاية القرن ، ولا شك فى أن هذا الانخفاض المستمر فى نسبة السكان البيض سيعرضهم للخطر الحتمى إذا أصروا على اعتبار أنفسهم جنساً متميزاً يستحوذ على كل الاشياء الطيبة لنفسه فقط دون اعتبار للأغلبية الساحقة السوداء . ومع ذلك فإذا استمر وجود البيض فى جنوب افريقيا حتى نهاية هذا القرن ، فمن المتوقع أن تستمر سيطرتهم على سلطة الحكم ، إلا إذا حالت دون ذلك ظروف أخرى .

ويعتبر معدل زيادة السكان فى افريقيا والذى يصل إلى نحو ٢,٥٪ سنويا ، من أعلى معدلات الزيادة فى سكان العالم ، والتى يبلغ متوسطها نصف هذه النسبة على وجه التقريب . ومعنى

هـذا أن الافريقيـين سيمثلون ١٢٪ من إجمالى سكان العالم المتوقع فى سنـة ٢٠٠٠م . فى حين انهم كانوا يمثلون نحو ١٠٪ من سكان العالم سنة ١٩٧٥ ، ونحو ٧٪ فقط فى سنة ١٨٠٠م .

ومعـظم هـذه الاحصـائيـات والمقـارنـات أصبحت الآن محـل دراسـة حتى يمكن وضـع الخطط والحلول التى تكفل عدم تخلف افريقيـا وراء غيـرها من قـارات العالم الأخـرى . ومن المؤكد أن الافريقيين يعملون جاهـدين لاعطاء قارتهم مزيداً من الأهمية فى عالم الغد .

ورغم أن القـارة تعـانى الآن كثيـراً من المشاكل ، إلا أن أهلها لديهم من الحيوية قـدراً يمكنهم من التغلب على هذه المشـاكل والقضـاء عليها . ولا شك أن الفصول التالية فى التاريخ الافـريقى ستتضمن الكثـير من البيـانـات والمعلومات المثيرة .

فهرس تصنيفى عام

قمنا بإعداد هذا الفهرس التصنيفى العام كبديل للفهرس التصنيفى الذى أعده المؤلف فى النص الأصلى للكتاب . ولايخفى على فطنة القارىء أن الاختلافات بين اللغتين الانجليزية والعربية ، وكذا ترتيب الأبجدية العربية يجعل ترجمة الفهرس التصنيفى الأصلى غير مناسبة ولا مطابقة لأصول اللغة العربية .

لذلك فقد تم إعداد هذا الفهرس التصنيفى العربى مستقلا تماماً عن الفهرس التصنيفى الذى أعده المؤلف طبقاً لأصول اللغة الانجليزية .

وعلى أية حال فقد أوردنا فى هذا الفهرس التصنيفى العربى «مواداً» مستقلة عن الغالبية العظمى من المعلومات التى يتضمنها الكتاب بعد الترجمة ، والتى تتناول أسماء الأعلام والأماكن والأقاليم والمدن والبلدان ، وأسماء الممالك والإمبراطوريات القديمة والجمهوريات والدول الحديثة ، وأسماء القبائل والأنهار والبحيرات والجبال ، بالإضافة إلى معظم الوقائع والأحداث الهامة فى تاريخ أفريقيا كقارة ، وفى تاريخ شعوبها وجماعاتها الإنسانية .

المترجم

[ت]

[ث]

[ج]

[ح]

[خ]

[د]

[ر]

[ز]

[س]

[ش]

[ص]

[ض]

[ط]

[ع]

[ق]

[ك]

[ل]

[م]

[ن]

[هـ]

[و]

[ى]

محتويات الكتاب

كتب للمترجم

أولاً : فى الفن والأدب والتاريخ :

١ ـ ألوان من النشاط المسرحي فى العالم .
٢ ـ خيال الظل والعرائس فى العالم .
٣ ـ زرع النوى ـ « رواية أدبية » .
٤ ـ الرقص والحضارة ـ « دراسة تاريخية . فولكلورية . إثنولوجية » .
٥ ـ مساخر من العاصمة والأقاليم ـ « مجموعة قصصية » .
٦ ـ عذراء سرابيوم ـ « مجموعة قصصية » [تحت الطبع] .
٧ ـ الڤودو .. وأعمال السحر فى افريقيا ـ « مترجم » ـ تأليف : جيرت شيزى .
٨ ـ الإسلام فى ممالك وامبراطوريات أفريقيا السوداء ـ « مترجم » ـ تأليف : چوان چوزيف .
٩ ـ أطلس التاريخ الأفريقى ـ « مترجم » ـ تأليف : كولين ماكيڤيدى .
١٠ ـ المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الامبراطورية ـ « مترجم » ـ
تأليف : الدكتور أحمد قدرى [بالانجليزية] .
١١ ـ مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية .
١٢ ـ أوليفر تويست ـ « مترجم » ـ تأليف : تشارلس ديكنز .
١٣ ـ الآمال الكبرى ـ « مترجم » ـ تأليف : تشارلس ديكنز .
١٤ ـ ثورة على السفينة بونتى ـ « مترجم » ـ تأليف : ولیم بلاى .
١٥ ـ توم سوير ـ « مترجم » ـ تأليف : مارك توين .
١٦ ـ مغامرات هكلبرى فين ـ « مترجم » ـ تأليف : مارك توين .
١٧ ـ رجال عظام ونساء عظيمات ـ « مترجم » ـ تأليف : ليزلى ليفيت .
١٨ ـ ديڤيد كوبرفيلد ـ « مترجم » ـ تأليف : تشارلس ديكنز .
١٩ ـ حقوق الانسان ـ أسئلة وأجوبة ـ « مترجم بالاشتراك مع عزة ثعلب » ـ تأليف : ليا ليڤين
٢٠ ـ فن الرسم عند قدماء المصريين ـ « مترجم » ـ تأليف : ولیم بك وجون روس .

ثانياً : في الاقتصاد والعلوم البحرية :

١ ـ اقتصاديات النقل البحري ـ « طبعتان » .
٢ ـ أساسيات النقل البحري والتجارة الخارجية « طبعتان » .
٣ ـ قاموس المصطلحات الفنية البحرية .
٤ ـ قاموس المصطلحات التجارية الدولية .
٥ ـ دراسة تحليلية عن عقد البيع البحري « فوب » ـ « محاضرات » .
٦ ـ عمليات نقل البضائع على سفن الخطوط المنتظمة ـ « محاضرات » .
٧ ـ عمليات نقل البضائع على السفن المستأجرة ـ « محاضرات » .
٨ ـ أعمال الموانى وعمليات الشحن والتفريغ ـ « محاضرات » .
٩ ـ قطاع النقل البحري في مصر ـ « محاضرات » .
١٠ ـ محاضرات في البيوع البحرية .
١١ ـ سند الشحن .. دراسة تحليلية ـ « محاضرات » .
١٢ ـ القانون البحري ـ « مترجم » ـ تأليف : إيمانويل دفورسكي .
١٣ ـ تأجير السفن ـ « مترجم » ـ تأليف : بيرجر نوسوم .
١٤ ـ انتاجية الرصيف ـ « مترجم » ـ تأليف : دى مونيه .
١٥ ـ الرقابة على الأعمال البحرية عن طريق الميزانية ـ « مترجم » ـ تأليف : ج . سيموندز .
١٦ ـ سفن الحاويات والموانى المعدة لاستقبالها ـ « مترجم » ـ تأليف : ا . إيفانس .
١٧ ـ حساب الوقت والعوامل المؤثرة فيه ـ « تحت الطبع » .
١٨ ـ مصطلحات النقل البحري والتجارة الخارجية ـ « أربع طبعات » .

المؤلف : كولين ما كيفيدى

ألف أيضا :

- أطلس التاريخ القديم .
- أطلس تاريخ العصور الوسطى .
- أطلس التاريخ الحديث .

وألف بالاشتراك مع آخرين :

- أطلس تاريخ السكان فى العالم .
  [بالاشتراك مع رتشارد چونس]
- أطلس تاريخ العالم .
  [بالاشتراك مع ساره أطلس ما كيفيدى]

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٧/٢٣٦٧

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٢٨٧ - ٩

بالرغم من صدور مئات من الكتب في أوربا وأمريكا ، تتناول التاريخ العام لقارة أفريقيا والتاريخ الخاص ببعض المناطق والشعوب الأفريقية ، إلا أن الغالبية العظمى من هذه الكتب لم تترجم بعد إلى اللغة العربية .

و « أطلس التاريخ الأفريقي » يعتبر واحداً من أهم الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة . وذلك للدقة المتناهية والتركيز الشديد في صياغة المعلومات الواردة فيه . وهو أول كتاب يصدر باللغة العربية متناولاً التاريخ الأفريقي في شكل أطلس مدعم بالخرائط ، وقائماً على منهج « الكرونيكال » ، حيث تتتابع المعلومات التاريخية طبقاً لتسلسلها الزمني . وهي طريقة تفيد القارئ العام كما تفيد الباحث المتخصص ، لأنها تتيح معرفة التاريخ في شكل علمي مستحدث ، وفي شكل حكاية تروي أحداثها وشخصياتها على مدى ملايين طويلة من السنين ، من تاريخ أفريقيا والأفريقيين .

٤٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب